الأعمال الشعرية الكاملة



الأعمال الشعرية الكاملة

الكتاب: الأعمال الشعرية الكاملة
المؤلف: خلف علي الخلف
شعر

الناشر:
جدار للثقافة والنشر | مالمو، الإسكندرية
info@jidar.net | www.jidar.net
الطبعة الأولى 2025

الترقيم الدولي:**978-1-326-23808-7**
التصميم الداخلي والغلاف: جدار للحلول المستدامة

The Complete Poems
Author: **Khalaf Ali ALkhalaf**
Poetry
Publisher: Jidar for Culture & Publishing
Interior and Cover Design: Jidar for Sustainable Solutions.

ISBN: 978-1-326-23808-7

سلسلة الأعمال الشعرية
قصيدة النثر العربية
جدار للثقافة والنشر

خلف علي الخلف

الأعمال الشعرية الكاملة

شِعر

المحتوى

نون الرعاة

THE N OF SHEEPHERDERS

2004

الملعون

الشاعر راءٍ وملعون

آرثر رامبو

هامســـاً مثل نعناعةٍ فاجأتها المواســـمُ: يا امرأةً باغتتها العذوبةُ، ادخلي تربتي واصعدي في نشيجي. سيلي على زمني برهةً من رذاذ سيلي على هذْي الجنائزِ، ستشرعِ الروح أبوابها للذهول، تطلق ريح النداء:
اختلي في هبوبي وارضعيني حليب ضحكتكِ الرؤوم. يا يمام الهديل الرجولي الـ ما غفى في هديلي، حوّمي في فضائي، اهطلي من جانحيك مطراً أعمى، يخضّلُني ابتهاجي،
خذي قلبي الطفلي يشـــدو بالرفيف، يفتح الدنيا، يوم الخطى في جانحيكِ تشيخُ. صحتُكِ - حين التغرّب هاض فيّ - أوحشتني النهاياتُ، رفرفتِ، وغبتِ، ظللتُ يذبحني حنيني حين أهمسُ مثل نعناع الخواء:
يا نسلَ العذابات، أجيريني من تصدفك الرهيف.

يجتاحك طقس العويل، يهب الوجيبُ بأصغريك،
اســـتفضْ، اســـتفضْ يا عويل التّســـقّي، لاقحِ الشـــيح النؤوم، اعتلي يا قلب شهقات الجماع، حمّى الرجيف المشتهى، هبّت النخوة في رحم العشائر، لُجّ يا قلبُ دعاءً أشهبَ القسماتِ:
يا ربَّ الشهامةِ إن العشائر تنتخي بإناثها، مُنّ بالأنثى عليهم
يا ربَّ المهج الذبيحة مثل ظلكَ في الملوك، من مالك الـــ عند الخلائقِ، أعطني أنثى لها قلب صباحيٌّ المذاق، كي تقاسمني هبوبي

ويح ربك من نوح قلبي المعرّى لم يستجب للتسقّي

تسطع شمس أحزانك، تشوي قلبك الضاري، فتعوي، مثل كلبٍ شريدٍ رأى غضب السماء في مساءٍ مكسور الجبين، يُهرع إليك الصبية الجاهليون، يرجمونك بالحجر الجنوني من أفواههم زاعقين بالبهجة الخائفة:

«ندّ أيها المعلون ... ند...»

تستنهض الشبق الحياتي، تطلع من روحك السومرية، بتلوعٍ طاغٍ تسائلُ: ما لهم لا يرون السماء كاشرة النيوب، تنحني لتعض أبصار الحقيقةِ!

ما للحقيقة ترتدي جسدي ويهجرني النهار!

آه ... زرقاء اليمامة كم عانيت من وجع البصيرة؟

لائذاً بالخلاء النواحيّ

تلقي السلام عليك حورية طالعة من نشيج الرمال، ينتظيك الدبيبُ الفرح، تخرجُ عن طورِك الدنيوي، تسبحُ في الرؤى، كاتباً على سرة الريح؛ أهوى الحواري. ثم تشربها. ترتعد فرائص السماء، ترغي وتزبد:

كأنك مجدت صوت الحياة في دفقه العذب؟ كأنك لم تومن بذبح المهج التي لمّا تزل تهوى لوجه الهوى؟ فليحل بك الغضب السماوي:

تطرد من ملكوت شهوتك الحالمة.

هي ذي السماء

تكره بوح لهفتك للحواري اليشبهن «مأرب»، تكره حُداء عينيك لسرة الريح، كي لا ترى في طي شهوتها امرأة من توهجٍ خاتلتك وفرت وظلت تنام على غيمةٍ من صراخٍ تشعّب بين السماء وبين الونين

يا لحريتي كم ضاجعتها الحراب،

يا لموتي كم ساورته المآتم!

خارجاً من مهاب الجلالة، كاتباً على عصـــاك الموســـوية، حسّـــك العويلي، تغرسها في جبين الرهافةِ، تنتشي كالغصون وتحيا

يا لك من نابذٍ للنعاس!
يا للعذاب الوداعي من جورصرختك النافرة!

تشخبُ كدمٍ فاصدٍ من شرايين الطلاقة، ترشح بالهذيان: من أين لي أن أبدد وحشتي الحاشدة كجيش توثب للنصر؟ من أين لي أن أقلم شهوتي للبراري؟

هذا بكاءُ فر ائصي، ذاك اشتعال الدم

شاهراً ما تيسر من شهوةٍ ومسير طويل، تبتدع المنشد الأزلي:
هل الأرض أوسع من كائني؟ هل الأرض أوسع من شهوتي للمسير؟ فلماذا كلما أســـرجت روحي صـــهوتها للرحيل، هبتْ رمال الليل وانكســـرتْ ظهور الخيل، وصارت الأرض أضيق من دمعة واجفه؟
تنتظر زمناً خرافي الخطى فيدهمك النشـــيجُ، تطلع من روحكَ الفراتيةِ، تبعثر الزمن مثل مسبحةٍ تقطع خيطها، تلهو به، وتمتد احتضاراً حافي الخلجات.

يا حاملاً عبء الخطى، أين تمضي في الخواء!
إن الدروب مآتمٌ شتّى، وهذا البرُّ أضيق من خطاك.

ترتدي العري وتخرجِ للنهار، هذا حصـــان الوقت يجفلُ، الصـــبايا التبرجن بالشـمس والتحفن سـمرة البرِّ الوديع، الرجال الذين أشـربوا الأرض لوعاتهم وجادت بالجفاف، الحقيقة الـ أيبست عشبها، الحروف الـ نافستك النصاعه، كلهم يجفلون.. تلهثُ نحو أمك؛ يا ابن الصحراء النعاس

يا أمُّ: أنا ابنك العذبُ، امنحيني سـعفةً للتفيؤ بين مفاتنكِ، أنهل من ناظريك حليب الأسـى لا حليب الرغائب، فما سـاعدتني الخطى لأنهل من سـربك المنتمي للغمام وأقول ارتويتُ.

يا أمُّ: إن الظما شـرّش في الروح، أتحفيني بندى من لهاث لأتلو وصـاياي كربّ شغوفٍ بعرشه:

- فلتحيا نسور الدم
- ولتعلو السماء

حلب 1989

جَمَل غـيدا

جمل غيدا يا حزين
مشلگح بذاك البطين
كل الجمال ترعى
إلَّا جمل غيدا حزين
تراث شعبي

سـبحان من أسـرى بهذي الروح صـوب جنونها تردُ النشـيد، توقد النيران، تبصر حتفها الدموي في غبش السيوف، الذابحات حضورنا السافي على وجه القصيد، تتلو على الدنيا مراثي حضورها،

جمراً من الصبوات تهمُرني نبياً، يتهجى عطش الموتى، ينثر على صحرائهم ظله:

هذا نبيّ الغارفين مداد بهجتهم بياضـاً من دم الريح، ألسـاهرين على مشـارف دمعهم، الناطرين الروح، الضـارعين إلى الخصـوبة أن تريهم صـوتها طالعاً من فجر أنثى يَسْـتَدِرُّ سـحابهم بللاً يبلُّ زمانهم كي يخرج المرعى، ألبائتين على الطوى يتضـورون، زادهم خبز الأمـاني، مـاؤهم عكر الحيـاة، يحتسـون وينصـتون، لسـراج الليل يحكي عن جمل غيدا الحزين، السـارجين الصـرخة اتقدت هواءً في النحيب:

من يوحدنا! ويرمي روحنا للرمل كي يلد النخيل؟ من يعطي السماء هوية الروح التي انسربت إلى الفلوات؟

المنشدين عويل موتاهم:

يا كوناً من الرغبات، يا عذراء فجر الروح، يا شـمسـاً تزيحُ النوم عن صـلواتنا، فلترحمينا؛ من شمس ماضينا التي انطفأت وما زالت، تباهينا

بميراثٍ من التمجيد يتلوه النشــيد خبزاً من الذكرى ســيبذرنا جياعاً حول أسوار الذبول، ولتبهرينا بحضور النخل ينمو في أصابعنا بفيضِ الماء يغمر ما تبقى من تراتيل النبوةِ، نرفد الأحزان بالجرح الجديد.

هذا نبيهمو يرفو شتات ثغاء باطنهم، يولي وجهه صوب انتشارك ضارعاً:

آتٍ إليك ظاعناً موتي وروحي ضابحهْ تشوي الأصيل، عيناي قافلتان من حمّى وخفيّ ذي القبائل، أطوي المفازات التي اعتصــرت لظى الأنفاس، أروي ذابلَ الأيام بالذكرى، أغرق في عمى الأحقاب في ســرِ الســلالة وهي تذوي في بحيرة الإغواء، ومبلولاً بإصباح الخليقة، على شفى الإشراف أجهرُ

إنني الحق وأنت..

... لم ترشــحي الماء علينا كي أعايرك مصــير أحبابٍ تفانوا في تشّــهي وجهك الباري، منذ تموز الذي شــربت دماه قوافل الموتى حتى طير بهجتنا الذي نزفَ سلالات الأسى على ذرى الإنشاد:

«جناحي يا جناحي»

لم أعايرك..

كي تورثي أرحامنا محل السنين، تجعلي الموتى يسنون الحياة ويذبحونا.

اســتري لي ما بدا من ســرِّ هذي الروح، ها كلّ الملوك قد احتشــدوا لذبحي، ها خطاّب أمي يجاهرون بموتِ حادينا الفقيد، وها كلّ الجهات تخون خطوي، من شرق هذي الروح يفجؤنا النواح، ومن غربٍ تداهمنا الرياح؛

ريحُ السموم الأذبلتنا، ريح الجراد، عجاج الذبح، ملوك العاج شــامتين بخيبةِ القرآن والبدو القدامى، ومازلنا نشــاطر الليل تلويحاً لطلّتك، كاشفين مطالع الخوفِ البهيج، مبطنين الشمس كي ننجو من السيّاف.

استصرختنا صيحة الأعمى البصير:

من يرى شمساً تهلل للسواد يرميها برمح الماء يُطفِئُها، كي لا ترينا الفجر ينضو سيفه يهوى علينا. ناشدنا الهواجر:

هل نحن قربانٌ لمجد الموتِ ينذبح البياض على خطانا لكي توفى النذور أم نحن جرح طاعن في الأبجدية منذ هابيل الشهيد؟

... مجّدنا ثراك، صلّينا ليوم قدومك العالي قدّام الخرائب، ساءلنا انتباهك:

يا تاجَ السواد يا ضوءاً لرقص الظل في عري الخرافة

هلّي علينا

هلّي

بأبّهة الهبوبِ، بمجده العاتي، ببسالة الريح التي تعوي على قبر الأفول، ارمي على شبق الظهيرةِ ظلكِ، وانثري وردَ المسرّة على قبورِ الغائبين. بللي بالشجو أقدام الحفاة، وارقصي في حفل تتويج التراب سلطاناً على عرش الرياح؛ سنفرق الخيلَ على مرمى من الأسلاف، نحدو بأعراس الرعاة، نشرب قهوة الروح التي هبت على الأيتام، نذبحُ بالصدى جوهرَ المعنى الحزين.

هلّي علينا

كهلالِ الهاجرة

كوني للشمس التي انطفأت سراجا، كوني بذاراً للصهيل، ينمو جموح الخيل فينا، نهذي بالجلالة، نسأل لوحه المحفوظ:

هل نحن شوقاً للحنين البكر للغة الفصيحة أم أننا أشلاء آياتٍ من البرهان أذبلها النشورُ.

هلّي علينا

استنجد بأطرافِ النشيد، يفضح الوشمَ في لوعة الكاهنات، هلول الماء من رحم السراب، سبايانا لسبي الخيل من فرس المديح، غموض الموتِ، رهبة الندب، أصوات العذارى النائحات على ملائكة الصباح الذابلين، بخور

الحرمل المنسيِّ ننثره على العصر اليباس، سرائر الماء التي يبست على شفةِ البليخ، أستنجد بأمي أن تعيد رضاعتي عري التباهي بالذكورة، وأبي الحادي حداء البدو أيام الفزع:

سنزوج الصحراء للخيل الجياع ولن تمرّوا

من دموع الحافيات الباكيات الدالعات صدورهن نجلو يماني البريق، منافحين عن هبوب الريح في ميعادها.

أستنجد بأطفالٍ عراة يمارسون الجنس في الوحل؛ ولم تنجب أراضيهم سوى موت نعناع السواقي والقرنفل

ونستنجد..

عشّاقًا يحفرون الصمتَ في ليل القرى ناطرين البدر أن يهفو لتبزغ شمسهم، بنات آوى يبشرّن بليل الخوف في الريف الحزين، هبوب الريح تشربه الأرامل، وتضاجعه العوانس كي تخامرهن ظنون الحيضِ، خصب ربات الحجول، مجد أزواج الأرامل حين تنبحهم كلابُ رغبتهن

وأستنجد العرّاف يفض بكارةَ الرؤيا:

جثةٌ تثوي على الخنجر، تمشي وتلتهم الضحايا تجفل امرأة حُبلى، فتجهض طفلها، ظلمة تفني النهار، ترتدي النار، وتعلو سحباً تمطر الموت، وتخمد، ثم يكسونا الرماد.

ما ترى يا ظل آدم؟

أرى الناس يمضون خفافاً في السواد، على تقبيل أيدي السراب يقتتلون، يكفون ازدهار الذبح بالتمجيد. أرى الماء توّاباً عمّا جناه من إثم التدفق. أرى أرحامكم في الشمس، قد هالت عليها الريح صفو نطافهم. أفعى الجلالة قد

شــربت خطاكم. أرى ســهيلَ يطفو في لياليكم. أرى أرضــاً تســامر بالحراب.

شمساً تذوبُ. ظلاً فاجعاً يزهو ويختطف البصائرَ...

أراكم، لا أراكم، لا أرى..

طوبى لمن آمن

أنه أعمى

وطوبى للنشيد.

حلب 1991

مـرّوا

أيها الموت يا خبز الجميع

أوكتافيو باث

في ليلٍ مذعور الأنفاس كنا نصـلي الفقيد. نبتهل إلى الله مثل قطا وردّ العطش لهفته:

يا رب الدهور

أَعْلِنْ حداداً لروحه. على مجده الذي أكلته الديدان وشـربت خلفه ماء وجوهنا على مُلكه الذي زحفت إليه الخطايا. واعْفُ عن ذريته التخثرت في كأس الميراث. ارحم عبدك العاري، المرتجف من نذوره، المرتدي عباءة الغسق نارنا مطفأة وصلواتنا تصعد إليه بساقها العرجاء و..

مَرّوا

مرت خيولهم التي هبت كريح ولدتها الأرض كصـواعق تنتحب، تخدّد وجوهنا بالتيه، كبرق يشق عتمة الصرخات

مرّوا

بسيوفهم الترى دمنا

رؤوسـنا تكومت على جانبيهم مثل أشـمال الحنطة، أكفنا الممدودة إلى الله تطايرت مثل حصى تحت حوافر خيلهم، صلواتنا تساقطت فوقنا مطعونة برماحهم و... فرّت الأرض من أقدامنا فاختلطت جهات الله.

بعمائمهم الملطخة بالريبة، بسـيوفهم الحبلى، وأكفهم المحناة، بتيجانهم المرصعة بالملح، وجباههم الموشـومة طاردوا دمنا، رائحة نسـائنا العالقة في ثيابنا، صراخ أطفالنا المختبئ في أسماعنا، التراب الذي تحت أظفارنا. شـقوا

أنفاســنا إلى نصــفين، هالوا غبار اللعنة على آثارنا. طاردونا كأمراء عصــرٍ منبوذ، كأثلام آلهة فرت من عالمها السفلي.
ركضــنا وأشــلاؤنا بأرواح منهكة مجردة من بهاء الأزل نَلْطَؤُ باللطم، لائذين بفلاة تحتضــر، تشــوى أقدامنا بحصــى وطأتهم المشــدودة بخيط من دم إلى أعناق السيوف نندب الأرحام:

يا للأعنة

تذبل الصــرخة على أفواهنا كخفافيش، تنحني لليل، نلوذ بصــمت مثلوم، متوسـدين سـيف گلگامش ننتظر ربّاً يمر، مثقلة خطاه بصلاة الخائبين، يقرأ الخيل التي هبت علينا، الهواء الذي ســمم بناتنا المخطوفات إلى جهات الندب، المأخوذات بفحولة ســيوفهم التي تشــرق كشــمس اللذة، الغرقى بأسمالهم، الاستغاثة الغائصة في برك الحيرة..
ننتظر ربّاً يمرُّ
نومئ له بالصلاة: اللهم بدد شملهم. اللهم ابعث لهم ريحاً صرصر. اللهم...
بخيولهم المطهمة بنسلنا، بأرجلهم النحيلة، بقلوبٍ تبرق كالفضة،
بعصا الرعاة التي حبلت بهم وبأغنامهم ساقونا؛ أسرى النبوءات التي تاهت على طرف المنام. غرفوا بكؤوس شهوتهم أجساد نسوتنا اللواتي مثل وعد الله، الناذرات خصوبة الأرحام لفحولة الفرسان في السير القديمة،
نساؤنا اللائي بصقن في وجوهنا دم النفاس
يا ألله:
من يقطف الثارات من شجر الأسى.

حلب 1993

الغريب.. الغريب

ما تناثر من سيرة الهجر

أجارتنا إنّا غريبان هِهنا

وكلٌّ غريب للغريب نسيب

امرؤ القيس

يابسة شمس أمي

مطفأ وجهها مثل حجر يتوسد النسيان. شاحبة روحها مثل نهار يرتهنهُ العجاج.

يابسة شمس أمي، وروحي -حرمل الشوق- ملّتها السواقي بعدما دثرت أطفالها الميتين بالعمى ونامت لتنطر صباح البليخ.

يا البليخ

طفولة النسيان أنت

ماء من مرّوا ولم يرثوا التراب

مجرى الأرامل، أرامل الماء اليهلن من أعالي المرارة مكللات برجفة الأيتام والريح الفقيد، نتوجهن أميرات عمر يمر كوقت السكارى. رميتَ نسلك فيَّ، وانسللتَ خارج الأرض، جثة مكفنة بسراج الحكايا،

تناسلتُ المآتم ساعية في ليالي النواح، ناثراً أيتام روحي شجراً للضفاف اليتيمة

يا لأبوة الأيتام يا لشمسي الأرملة

يا لخطوة الروح حينما تخرج قاصدة ليل «جدعان» ويا لوحشة الدنيا حينما رياح الهجر تخطف عباءة الخلاّن مني ثم ترميني غريباً في برِّ أسئلتي أناشد ما تبقى من سراب العزيمة:

ألا أحد يؤانس جثتي!

يا البليخ

نمت على عشب نعشك يوم ولدتُ، صحوت مبصراً سراج الحكايا حاملاً وزر دمٍ سال منك يوم جفَّ الهوى في عيون العذارى، صَمَتٌّ، ناهشاً كبد ندامتي طفل السؤال:

من علم الخلان سيرة الهجر لأرمى يابساً، لابساً بصر الحيارى، في التراب الغريبِ؟ تناديني الأراملُ:

مرَّ بنا

وارمِ بأرحامنا شمساً صغيرة، بازغة من نشيدك، نفيض بالضنى صوب البليخ اليجفُّ، رافدات تربة تترمّدُ كعيون العمر، تترمل كأجساد نباهي بها الله، نباهي بها الله أو عيون المرارة وريح الفقيد

مرّ بنا

«نذبح عليك» أيتامنا، أيامنا، ما ترك الفقيد من جمره في موقد البيت، نار التشهي الأوقدت أجسادنا، ملهوفة الروحِ راكضة وراك، ضارعة لريحكَ:

دعنا نشم ريح نسلك، نحبل بالشمس بازغة من نشيدك.

أركض في ظهيرة الربِّ سراباً أثخنته الأرامل بعطش أجسادهن، مرسلاً في أمة الدمع، صوتاً بللته الشجون، منذراً أيتام روحي بأرض تفرُّ من أصابع جوعهم، بشمسٍ تناط الرؤوس شاويةً ما تبقى من حنين الجسد، بسماءٍ تختلط بالأرض.. تخبزنا أيادي الله، ترمينا على جمر الفجيعة، تأكلنا أمنا، بطيرٍ يحط على هامة الروح، يخطفها من نشيدي.

أفتح سيرة الهجر بأصابعٍ هي الروح مبتلة بالحنين:

غريبٌ يقرأ خلانه طيراً إثر طير، أتجرعكم مثل دفلى، لأشـفى من دمٍ عالقٍ بين الخطى والحنين، لتنهزم القبائل عن تخوم العمر، لأصرخ:

عادتِ الروح مهزومة من حرب البراري، أنجبت شجراً يابساً يحط عليه غراب الندامة ينعبُ؛

هنا مر الغريبُ تاركاً أيتامه سورةً في سيرة الهجر.

غريبٌ تهجى أمه ماءً إثرَ ماء؛ لفي الغريبَ بشـــمس الهباري، احفني له بيديك حفنة من ســنين الهوى فقد يبس فجره مثل حمري البليخ، والريح طافت حول صوتٍ ضابحٍ في تربة النسيان:

إنّ الغريب مرَّ هنا

ناثراً أيامه

خاتماً

سيرة الهجر

الرياض 1994

وحيداً.. وحافلاً بالسواد

أيُّها المهر الأسود

أين تمضي بفارسكَ القتيل

لوركا

وحيداً

كما موقدٍ في ديارٍ رحل آهلوها وتناسوا جمره ميتاً، مثل راعٍ ضيع الإبل فخطّ على الرمل قطعاناً من الإبل وسرح بها. وحيداً.. وحافلاً بالسواد، تهلُّ عليه الليالي زذاذاً يابساً، يفرش لها تربة السنين الحمل أوزارها، فتبزغ من خافقيه شمسُ الرحيل. ململماً أشلائه من براريه، مكوماً عمره تلة من نحيب:

خلفي؛

قبور لا شواهد لها من خطاي

أمامي؛

برارٍ تتشهى الخطى لتَعْمُر مقابرها

غزالة روحي أتعبها الحنين لصوت أولادها ركضت صوبهم، اقتربت من نهر ريحتهم، أطلق سوادي صقر ظلمته، اصطاد منها ماء الحنين، فماتت مقتولة بظماها.

وحيداً

وملتفاً بلياليه في بريةٍ تقتات خطاه، أينما حلَّ يرمي السنين عن كاهليه يتركها، يتامى ينطرون صبح عودته ويمضي...

هاجراً مدناً ما أرضعته حليب نياقها، نازلاً مدناً ترمي العيون برمل الرحيل، وحينما تضبح الروح من شمس العطش يشرب من أصابعه ماءَ الكلام

[شرب البليخ كلَّ البليخ

شرب ماءً من فرات الصبا

وظل يصرخ:

يا عطشي]

مقتفياً ريحة البدو القدامى، ساعين للماء الذي يجفو خطاهم، يهرول صوب الخليج صائحاً: سأشرب ماء الخليج.

على شاطئ الخبر، حفر لصيحته قبرها، دثرها بأشلائه، ترك ظله شاهدةً للقبر، عاد يتمتم:

يا للخليج

كمذاق العمر

الرياض 1996

بناتُ بعل.. إناثُ البهجة

للبعل ثلاث بنات يوصفن أحياناً بالخطيبات

أما كيفية إنجابهن فغامضة

كلما بللني الماءُ بأنثى

هي الخيلُ، هي ما ينسلُّ من ضلع الصهيل، هي ما يتلى على الماء فيبتلُّ به تلفني بالريح، بالشـــمسِ التي تمطر الصــحو البهيَّ على مطارحِ نومنا، تلهيني بسحابة الجسد وتسرقني من الدنيا

كلما دثرني التراب بأنثى

هي القمح، هي النوم في حضـن العصـافير، هي ما يلم شـوك الأرض من أصـابع الأيام

تنثرني بذاراً، يستغيث برعاف لذتها، تسقيني جسداً من الحنطة وتسرقني من الدنيا

كلما أغوتني النار بأنثى

هي الشـــمسُ؛ من للنار غير الشـــمس!، هي ما يخطفُ الأبصـــارَ من محاجر جوعها، هي ما يردُ الروح من جهات الأرض

تشرقني مكحلاً بالنور، أبصُرها، تصليني بلهيب قامتها وتسرقني من الدنيا

حلب 1998

أحفادُ الريح

من رفاةِ الميتين، من بريةٍ تثغو بها الأرواح، من شمسٍ تخبُّ في إثر الضعون، تسرج لذةَ الإبصار في ليل الضغائن؛ يا نشيدَ السراةِ وخطو خيولهم، ورايات أمصارهم إذ تهلُّ مبايعةً على نحر اليقين

ها هم

كلحية أعمى أو حية صبحٍ، كالجنيات اللائي خطفن رداء الخضر، ليلبسن الماء رؤى الريح وينسجن من بصر الماء كفن الصوفي الأول.

كريح أنهكها الضيمُ. كعيونٍ تومض بالوجد وتبتلّ بماء العتمة. كليل المنادي، لا شمس تؤويهم، لا سيف يحمي حنطتهم. شربوا لهاث الخيلِ أمالوا الليل لسحنتهم؛ والليلُ خطايا من وَهَبوا ثأر الضليل لقاتله

ومضوا

روحاً لائبةً تتشوق سيفاً، من تحت عباءتهم، ترتدُّ زغاريد التأنيث

تشرق شمسُ الواصلِ، تهمرُ عينُ الله دمعتها عليهم، ما ولجوا الشام، ما سكبوا في الركن الشرقي من الأموي تحّنان الروح، ما صلّوا بردى، ما طلبوا ثأرَ الريح تهبُّ بأنفاس المضموء، وما رتلوا أحزانهم على أموات يثرب

إلا أن الريح تهذي بهم وتنادمهم، وتصلي لشمسٍ حملتهم وهناً أو ظمأً

وتذكر أولى خطوات سنّوها كأعراس الجنة أويتم الأعراب، ناداهم قوس الله:

من يشرب من حفنة هذي الريح خطايا الخيل، أنادمه، أهبه هاجر أو ابنة مريم.

صاح الحادي: من يشرب من حفنة مجدي دماءَ أبيه، أعطيه حصاني، وامرأتي المومس أضحية للشمس الغاربة، أعطيه نشيدَ الحكمة.

هاكم ولدي ينسجُ مقلاعاً من أردية التأويل أو من أهداب عيوني، يصقل من وهجي حجرَ الحكمة، بالحجر الأول يفقأ عين المبصر، بالحجر الثاني يفقأ عين الأعور، بالحجر الثالث يرمي الحكمة في أعينكم.

مثل الأسرار يشقّون

من شجر خطاهم قطفوا صهيلَ الخيلِ ورموا الهتّافين بجمر غضاهم، نهبوا الملأ من ميراث الفطرة، خطفوا نهار الله من أيدي الغافل

فاضوا

كبثور الجدري على وجه الفاضل نثرتهم ريح الخلسة، لم يتركوا زيتاً على نيرانهم. لم يتركوا حطباً لمدفأة الشتاء. لم يتركوا مأوى لأطيار الطفولة

كالظلمة

كالنارِ الموؤودة تحت رماد السيف

يمتشقون النأيَ

يَصْلَون البعد بنار الصوفي الأعمى

تكورهم النهارات بصاياتها تحملهم صوبَ عماء اللذةِ، صوبَ البصر المتوجس من ضوءٍ في دير الحنطة، صوب فزوع الفطنة، صوب بلاد عذراء كماء الله على صخر طفولتهم

أطعموا أطيار ثاراتهم من قمح خلاّنهم. أكلوا ظلال الموتى، شربوا فحيحَ أفاعِ الماء، ما فسروا أنفاسهم ولم يُؤنّثوا حيرة الدرب بأقدامهم. نهبتهم شمس صلاة الأضحى. نبحتهم كلُّ كلاب الحوأب، وقطا مثل صلاة الفجر ينحبُ أثار خطاهم

وأنا أرمي بالسعف مشراق الشمسِ، أدفن موتاي الشبقينَ بمراحِ الإلفة، أنبشُ بأصابع قلبي قبرَ المدفون بـ «دامر» أودعه خطاهم، أزعم أن الله يهبُ الريح هبوباً من خاصرة التنوين أو شفة نون الأنثى

أعفِّر وجهاً ما مسّ مياه الجنب بقشرِ الحنطةِ، تذريه نساءُ قريش اللائي يخطفن العشبة من روحي، يرمنّي لهاثاً، يغدوني الليل

رسولاً

ضيع حكمته بين منازل الإعراب

ثم نام.

ساروا بمطايا تنوء بحمل صلاة الغائب، حفّتهم أطياف ملائكة تقرأ في الإصحاح السابع من سفر الحكمة، وعصائب طيرٍ تهديها نجوم تبرحها الشهوة، وكلب مشلول يقتات ما يسّاقط من نفس مُضنى

طافوا بالكون

لإرجاء النذر الأعسر

لم يضوهم ليل الصبابة. لم يبسطوا أرواحهم لأقدام الأسى. لم يذرفوا دمعاً على ميراث قتلاهم. سموا الراء رايتهم وسلطان الله على أرضٍ أثقلها اليتم وحوافر خيل الأعراب. سموا الياء يماماً يسترهم من صبح الوارث. سموا الحاء حنيناً لا تغرب عنه شمس الثارات

هبّوا،

تبرأُ ريح الندب، تَعوِلُ بالبُرص:

هِزّوا عمدَ البيت يسيل لعاب الظلمة يسّاقط ليلٌ ضامر.

وأنا كالشك أبارح ثالوث الانصاف، أنسج ليلي من حبر الرغبة، ودُثاري أنفاس المضـــموء. أصـــلي مرتجفاً كالملدوغ ببرد الأيام. أهجس بالريبة، أخال أيادي الواهب تقطفني من زهو نشيدي ترميني في نار الترتيل:

من ضل سـراطي المسـنونَ، من داس النمل المشـمول برحمة سـيفي، من أكل «تفاح البرية» ثم ناداني باســمي، من آمن بالريح.. ســأصــليه بلاداً ما شــافتها عيون التيه

يَصْــهَدُني عرق الرهبة، أخرج من عشــر المؤتلفة، أســفُّ مدقوق الرمضــاء، تأكل أحشــائي نارٌ كالســيف الخائف. أشــرب منقوع الريح.. يبتلُّ لهاثي. أهرب من ليلي

أجوب تخوم الصحراء

أنشد رعيان الإلفة

ما مَرّوا؟

سراةٌ يشبهون ماء زمزم.

حلب 1999

التنزيل

The Revelation

2007

لو ألقي مما في قلبي ذرة على جبال الأرض لذابت وإني لو كنت يوم القيامة في النار لأحرقت النار ولو دخلت الجنة لانهدم بنيانها.

الحلاج

وريث البراري

الهفوةُ تغفو

يسترها الناحلُ مستبشراً خلاصهُ من حواف الخَواتم لا الأصابع ترتوي من خِصل التورية ولا الشفاه تلثم البلور ومثلها الفارس، عيناهُ معصوبتان ويداهُ ترنيمةٌ للأسى

التباريحُ تجهشُ، النبوةُ تغتسلُ بعطش ِالإبل، الذبّاحون طافوا ببياض ِالقبورِ، تركوا نِسوتهم معلقاتٍ على حبلِ الدهر كعمرٍ تجففهُ الخطيئةُ، الأقواسُ تظهر في سماءِ الله مثخنةً بدم الابن والترانيمُ تسبحُ في نهره وهو يَشْرَقُ بالأسى.

الناحلُ

على ضفاف الأبد ينزع السلاسل، مرتجلاً مهدهُ، حافراً قبره عند وسادته، يقرأ الرؤيا كما وردتْ على لسانِ يوحنا، يسرق الكتابَ من رُفة العرش، يفضُّ أَختامهُ

المروءةُ تتزينُ بكحلِ الهند وخلاخيل الفصاحة وزوجة ابن الورد تُدَفِئ فِراشها بِشَبهِ الناحل

تعرفهُ البراري

عابراً مثل دم ٍيسيل

يرتِّلُ الخُطى مزاميراً، يُضرمُ الغفوةَ بِريقهِ، يلوثُ الريحَ بأنفاسهِ، ويروي النشيدَ بماءٍ يسيلُ من حَلمةِ الموت. ظل يبكي الرُّحَّل وعيناهُ ترنوان للقبور، بلّل الهاجس بمقاماتِ الصبا، وعليهم كان يبكي

من عينيهِ كان الطوفانُ، من أَضلعهِ صنعَ نوح الفُلكَ، غير أنَّه ظلّ على اليابسة يعصمهُ النشيدُ، وحين مشى على الماءِ نقر الطيرُ خُطاه
حملته الأوهانُ عارجةً على ساقِها، سَرَتْ به إلى ليلٍ خجول. عبدتهُ المآذن، أصغتْ إليه الأجراسُ وهو يحفرُ قبرَ أمه على كتف البليخ. آلف القطا، عَصَرَ لهُ الماءَ من أرْدُن العاشقات.
منذ الطفولة كانت خطاهُ تصير قُبَرَات وهو يركض خلف «مْلَهِيَة الراعي»[1]. في الرمق الأخير من ليله، يشتلُ الأناشيد، يطوف حول قبور الألفة يلقنها الوصايا كما رواها شيوخ الشريعة. أبصرهُ يحيى بن زكريا يأكل من شجرِ الصدوقيينَ، نَهَرَهُ، فقالَ:
الصائمُ يأكل قَرنَ الغزال

رأى الثلجَ على بياضِ المرايا فابْتَهَلَ. أضاءَ مِحرابه بالشموعِ التي خطفها من ورثة تيموثاوس. شيّدَ من نُخالةِ اللغة وثناً لم يعمّدهُ يوحنا ولم يعطه الربُّ اسماً وظل يجوب البراري باحثاً عن إلهٍ ينسبُ إليه أبناءَه. يعجِنُ طحينَ الفِطرة بدم السنونو ويفرقهُ عن روحِ الحبيبْ
المرايا ناءَتْ بصورتهِ، هو الذي تحسده الملكات على تاجه. الأطفال يصيحونه: ملك الملوك والقطا يدعوه الراعي قاده تموز إلى ظُلمتهِ وأخرجَهُ مجدولاً كصيفِ العذراء
تَرحلُ إليه المدارات الجهاتُ تلتفتُ إليه. يسندُ جَرّتَهُ إلى حضن الثاكلة وينوحُ:

---

[1] مْلَهِية الراعي: طائر صغير وجميل نسميه أحيانا مْحَني ذيله... يطير على مستوى منخفض ولايبتعد في طيرانه مما يجعلنا نمضي النهارات في مطاردته معتقدين أننا سنمسكه بعد قليل.

مثلكِ رائحة الأزل تفوح من أرْدَانِ الخالق؛ أجدل ضـفائركِ بأصـابعِ الشـغف وأهجو المدنَ التي أنجبتني، لم أفتحْ أزرارها، لم أمد يدي إلى أشجارِها غير أنها أخرجتني من مَلكوتِ الفاطرِ، الذي تُسَبِّحُ باسـمه الديدان وعاشـقةٌ تنامُ على حبلٍ من مَسَد

على شـواطئ حفرها بائعو الخيل وقراصنةُ الدمعِ وعاهراتٌ يضاجعنَ رملاً لم يندمل، تهجرهُ العاشــقاتُ وتفرُّ منه النبوءةُ، يحبس دمعهُ في زنازين عينيه ويُخَلِّدُ الصوتَ.

ضحكتُها ترنُّ كأجراس الوالهِ، غير أنَّه لا ينام يشرب الليلَ من أصابعها، يخطُّ صِــباه على راحة اليد مهيئاً طريقَ اللذةِ ويُشْــرِقُ في برِّ الشــامِ، منيراً مراعي الحوريات وشاهداً على صبرِ الضحية وهي تذبحُ بالسيف العاري.

مَنْ يضــفرُ الأناشــيدَ؟ يربطني إلى برِّ الشــآم حيث نســيتُ نبيذي. تُشــرق الصــباحاتُ وأنتَ تذوي مثل صــدى هجا صــوتهُ ومحزوناً تبكي كمن أضــاع إسوارة العرس، أو كريحٍ أضاعتْ نسلها بين الجبال.

ســفح البابليون دمكَ في كؤوسِ الغواني، اضــطهدكَ نســلُ داوود، وما زالتِ الخيلُ تُصهلُ عند تخومكَ وقد أرْدَتْ فرسانها في حروب الرِدة. تنادمُ السُلالات التي تعبرُ صحراءَكَ وتنسى أنَّكَ أضَعتَ عباءتكَ عند تخومِ الربع الخالي. تحفرُ كل يومٍ قبرَ أثينا كي تَعُدَّ أصــابعها، منشــداً للجنائزِ عند ســفح الأكروبول كسرابٍ أضاعَ أقرانهُ:

مَنْ يُريني نَعشـي قادماً على إبلِ الروحِ في شـروق اليمامة، لأغمسَ قلبي بعسـلِ السِّدْر تَدمَعهُ الملكاتُ في سهول تهامة وأفرقه للعابرينَ صَوبَ أثينا.

تضفركَ الأنوثةُ بأطرافِ جدائلها؛ تحبس ابتهالاتكَ بجوار النهدين:

ما كانت الأنثى بدءاً، بل حطباً في تنور العاشـق، وما أَردتُ الشـجى لأغري نارَها ببيادري لكنها الروح تُشــوى على جمرِ البصــيرة. أغرف الوجدَ من صــرخاتِها وأفضح المكنونَ في رُطْبِ نفسي:

لم يغســل أحد قلبي بالثلج، وما ســرحت بأغنام أبي واحترقت بموقد البيت مراراً، غير أنَّ النشــيد باغتَني في صِــباي؛ على ظلي هبطَ الوحيُ وســالتْ عليَّ النبوةُ فزمَّلّتني العاشقات..

(وصنع معجزاتٍ أكلها النمل؛ غافلَ البائعَ وسرقَ إسوارةً لحبيبةٍ لم تجئ. لَحِقَ بأبيه في الظلمة الى بيت الجمّال عَبرَ البليخ من المَخَاضَـة ولم يرتجفْ من الماء. أمسكَ الأفعى من ذيلها وأخافَ أقْرَانَهُ. ونساءُ أبيه بالعباءاتِ السود والمناديل البيض حمَلنه مسير سنين، كتعويذة في صناديق عرسهن، وما زال حياً...)

على العتبة كسر كأسَ النبوةِ: ما حاجتي للرسالة وأنا إلهُ الذنوب!

هَا أنَا أوْلِجُ الليلَ فِيْ صُـبْحِهَا * وَأوْلِجُ صُـبْحَهَا فِيْ سَـوَادْيْ * أغْمِسُ الأمْوَاْتَ فِيْ ضَوْئِهَا * فَيَقُومون عُشَاْقَاً ثَمِلِين

تُشْغَفُ بِصِغارِ القَطَا وعلى ظلكَ الكونُ يبكي

يا وريثَ البراري

ها أنتَ واحدٌ أحدٌ هَجركَ الطير والخُلانُ ناموا فأينَ تواري الألوهة

يا حَفيدَ الغزال

أثينا كانون الثاني 2002

صبواتُ السيف

هذا عُريُ المُتْرَعِ بالقُربى يئنُ وئيداً، يحفر أســئلةً في ظلِ الموتى يباري حَمْحَمَةَ الخيلِ، مثل الشبقِ بسيرتهِ الأولى حين يفرُّ من صلب العاشق صبحاً مذعوراً.

يرجِمُ ظلاً منذ الطوفانِ يطاردهُ وبِلا مأتم يجتازُ الندابات

يَحوزُ بُرهانَ الموتِ يوقظُ شـهوتهُ تصـرخُ في الجسـدِ الخاوي تُلبِســه العَتمةَ وتطارحهُ نواحَ الموؤودِ

هـذا الطـالعُ من رحِمِ الـدهرِ، المشـــتولُ كبُرهـةِ شـــبقٍ حولَ الحَلمَـة، اللاثقُ بالرشف بياضاً، أو سعةً من جمرِ الهجرِ بين سَديم الفخذين

المتوســـدُ وقتاً مفضـــوحاً، أو أعمى عرّاهُ الملحُ كفراقٍ ينتصـــبُ وتداً في قلب الناحل

ما كلُّ الطيرِ تفرُّ كالشـهقةِ من صـدرٍ مشـطورٍ بالفأس ما كلُّ الماءِ يسـيلُ وقتاً مهجوراً

لكن الخطوةَ آياتُ الرُّحلِ، معراجُ فراقٍ ينمو في شـــاهدةِ القبرِ، تَعُضُّ فاتحةَ الوهمِ تغدو نُدباً مثل سطوعِ البُهتان

وهو المرحومُ بلغةِ السـيفِ الواضـح، يحطب شـمسـاً من ليلٍ قسّـمهُ الأعمى، تاريخاً يتدفأ بالســيف، بالومض الجائر، بالوهم المنقشــع عن ماء ســواه، يدمدم: هذي قســمةُ ربّي، ويذرفُ أنثى جائعةً لا يُطعمها الســيفُ صــليلَ الصَبَوات

هذا الوجدُ نشـيدٌ، قبرٌ فضّ بكارتهُ الناحلُ بالوسـطى يهمي فوق طيورٍ تعدو، ترفّ، لا تصل الأفقَ كدمٍ جائع وهذا الكون يضِـنُّ بأنثى تكسـر رغبتها كالظل، وتمرِّغُ صــرخـة حلمتهـا بترابِ الـذاهـل. توجعـهُ الحلمـةُ فينوءُ بكتـاب الجوع

وفؤوس الحطابين. تنفضُّ الواقعة، تعيد الأنثى بكارة مشيتها المرة، تسرف في لين الجسد المثلوم، تهجى السُّهْدَ وتطفرُ كالصرخة في شعبٍ ذاقَ الكأس

يا مفتونَ الوجدِ تساقطْ

أوقدْ هذا الشبقَ المشتعل، هذا الفيضَ العشوائي لروحي الثرثارة لا تفتعل الغفوَ على جيدي كالطيفِ الأخرس. أمددْ صوتكَ وأقبضْ نهدي النافرَ بالعَبَرَات؛ فأنا أنثى، لا يرضعني القادمُ، لا يحطبني الغافلُ. أنطرُ سيفاً يقطرُ شبقاً لمَرأى الرأسِ مفصولاً عن جسدِ الصبح أدخله ظلامي، بئري الموءود، فأبوح فراغاً يبصرُ

لا تنظر فيّ

لا سِرَّ لدي

ما طرقَ بابي أعمى فأبصرَ إلا الناحلُ، والبصرُ سرابُ الأعمى. من ماتوا على بابي لن يرحمهم ربي، ما كانوا شهداء صهيلي. برق اللذة أعماهم. ضاقوا بهباء الصحوِ، مدوا أياديهم إلى وردِ الرَغبةِ في النّهد النافِرِ

ذابوا

أنا الوهمُ

ظلي الله

شجرُ السِّدْر نشيدي وأسيلي كشروقِ البازغِ من ليلٍ صلاّه الصبحُ. صوت شخيب الدم يفتنني. أفجرُ وهجي، غوايةَ لَبَني، أردافي المنحوتة كالآيات، سُرّة عرشي، أسيلُ عواءً يقضمُ رَغْبَتَهُ، يخضُّ دمَ الرّحل..

تسري الروحُ بأغوار السر الكائنِ في البُرهةِ، العائثِ بالشجوِ والمبتلِّ حنيناً. لا أحدَ سواي يطوّح بالوهجِ، ينقّض على العاشق كالباشق نزوَتُهُ في الظل

من يحنو عليّ تجثو في الصحو خيول الدفء عند قدميه، وفي الليل أحنو عليه كأنثى وارفة، بشهوةِ فارس خانتهُ امرأةٌ سافرةُ القحلِ

من أحنو عليه
يرعى في جسدي صراخاً
عُريَ صباحي الفارغ
يسبّحُني وينسى الله.

أثينا 2002/2/28

ندب على قبور الجهات

إلى عبد اللطيف خطاب

كان يردد نوحوا عليَّ فجثتي هيابة وموتي أكيد

أنا أولُ الأسلاف

الموغلُ في سِفر الضَنى، شبيه الأبديةِ، نسلُها، صوتُ أجراسها، حبيسُ الزمن، موقدُ الشموعَ والمستضيءُ بدمها، أرتقي الزمنَ على نحيبٍ يتمزقُ

أنتَ صوتٌ

الصوتُ صليلُ الحسرات، مرآتُها، عرشُها، مآتمُ الغائبين

والرعيةُ صمتٌ

صمتٌ يتحسسُ شمساً غريقة، صمتٌ تضنيه الأنفاسُ، صمتٌ ينهبُ الحقولَ والظلامَ المهجور. ما كانتِ الرعيةُ صوتاً، وما قاد الرعاةُ أنفاسَها وهي تئنُ. تتلو البكاءَ على حافةِ الأسوار، تقرأ سيرةَ الأعراسِ في بلادٍ دَفنتْ راياتِها

البكاءُ سيرةُ الأئمة

صخرةٌ تتدحرجُ من أعالي الأبد

إذن لنُعيدَ البكاءَ من أول الزمن، لنُعيدَ الضراعةَ النهمة، أيامَنا المبقورة الأحشاء، الدمَ على أفخاذ الأبكار، الرهبةَ الظامئة للعيون المطفأة كقناديلِ جفَّ زيتُها. لنُعدِ النهارَ الذي بَهُتت راياتُه، الليلَ الحافل بالإشارات، الأصواتَ التي شردتْ عن قوافلِ العابرين

لنستغيث؛

حالمون بصوتٍ يحيكُ البكاءَ، بالأخيرِ من نسلنا وفي يده العبور، لاهثون مثل ظل تعبَ من الخطى وهو يترصدُ الليل

من سـيطفئ الوهج تحت أقدامنا، يخطف السـيفَ من يدِ النميمةِ وهي تحزُّ حياتَنا، يفرشُ البُسطَ للضراعة كي تستريح من نواحِها. من سيحاور الصليل!

رجاؤنا حبرٌ

والصلاةُ بياضٌ لا لثامَ لهُ

أيُّها البدءُ

يا صراخاً ينامُ في كوةِ المصير

هِبْ لنا شـجراً نحتسـي ظلهُ، عتمةً تلوذُ بها الصـبايا النافراتُ الأنوثةِ. هِبْ لنا من بابٍ هائجٍ كالقيامةِ شاهداً أو دليلاً.

جســدٌ يغســل الضــوء وتتمرّى به الســماواتُ، يوقظني على صــوتهِ. اللذة إذ تحفها الموســيقى وتشــيّعها وما مثواه ســوى الماء. أناغي حلماتهُ بتمتماتِ الشـفاه، أصـغي له، كما تُصـغي الأجراسُ لصـوتِها، أحتفي برائحتهِ وهي تبخّر الكون، اقرأ لذته بأصابعي..

الرغباتُ تتشــكل موكباً للأعراسِ، الشــهواتُ تفيضُ نهراً أبيضَ والذكورةُ ما عادتْ صمتاً

الإغواءُ صـوتُ ماءٍ ينسـكبُ من الأعالي، أصـابعُ تقشـرُ البهاءَ، تلامسـهُ تسـتلذُ التفاصـيلَ، تَعدُّ الندوبَ وتغتصـبُ الجرح. وما كانتِ البصـيرةُ جرحاً وما كانتِ اللغةُ صوتاً غير أنَّه جسدٌ يخبز الصمتَ على نارهِ ويأكله، فاشربِ الماء لتعرفَ طعمَ الحليب

أنا الحالمُ بالمدنِ العالية الليل؛ حيث الســيوف قصــيدة العاشــقين، حيث الجدران تحبس أنفاســها، والدمع يجري أمام البيوت، والرُّعَافُ يســيلُ كلما فاجأ الصوتُ حامله

هذا صيامي مقيد بالنذور. الصدأ يتحللُ عن حدِّ البصر وعيناي تُبرِقان بنبوةِ النائمين. لم أنسَ الظلامَ غير أنَّ أصابعي أبصرتِ الطريق

أنا التالي..

أحفر الميراثَ حتى أخرهِ لأرى جفافهُ

سأتبعُ صوتي متلفعاً بوصايا تُنسج من جسد الرغبة. الرغبة سُلمي. الفرائسُ دليلي إلى أولي وصعوديَ صحوٌ لجبالٍ سفوحُها الدهشة. الأعالي وليمتي. اللهاث لا يفارقني وعثراتي تجثم فيَّ

ما أكثرَ النجوم عند تخومِ الحكمة تزين الموتى، تكحِلُ الفجرَ بالرتابة وبأصابعَ آثمةٍ يسرق الباطلُ الوميضَ من خُرج السماوات. وما كان سحراً وما كنتُ مسحوراً، غير أني أصغيتُ للدليل.

أيُّها القادمُ كثغاءِ أغنامٍ بعيدة

كنايات تحلم بالخروج من قبرها

ماذا قرأتَ بأصابعكَ غير غريزة التناسل

من الذي أوحى إليك أنّ الأيام تنتظرُ خطاك

تمشي بأصابعك والمدينةُ ليستْ جسداً. الأيام هنا تحسو زمنها على مهلٍ ولستَ رسولاً لمملكةٍ يحرسُها الطينُ، لستَ مطراً لتذيبَ سيوفنا، والخديعةُ ليستْ صدأ لتزيله عن سكاكينِ الأصوات

لا شيء يغريني أن أهدم الأسوار لتدخل فاتحاً

الحقيقة صوتي

يرتّلهُ بشرٌ عراةٌ من كل نصرٍ

وما كانتِ الهزيمةُ ثوبي

أيُّها الموتُ

يا زمناً يضمره الآن

تنبتُ في حاشـــيةِ الغرابةِ يداً تتبادلنا عند بابِ المصــادفة تدق كلَّ ريحٍ عابرة، تخيطنا إلى العدم لتنســجَ القبور. تتواردكَ الخواطر أرواحاً، تقطفها عاريةً كالسحابِ

يا طعماً نتذوقه كالعبرات ويمضــي بنا قبل وصـــولِ الحواس. يا حارسَ الوَداع بِعطشهِ الطويل

النومُ وجهكَ الذي نراه تطير بنا إلى ما يبدو أنه الليل وأنتَ تحزّنُا بســكينِ المصير كلما هممنا أن نركضَ ننامُ

ننامُ

تتناثرُ حياتُنا كغبارٍ

العراء مصيرهُ

الظلمةُ أبدهُ الذي لم نُبصره

حبيبي

في الريح ضــاعَ صــوته. العتمةُ أكلتْ وميضــهُ. الترانيمُ نسـجتْ أنفاسَــهُ وهي تخمد كنارٍ غريبة الموتُ سَبِحَ في نهرهِ.

عليكَ

لتبكِ البلادُ. لتندبِ النداباتُ ويفضــحنَ أســرارَنا. لتشــقَّ النســوةُ بياضَ وجوههن بالهلاهيل.

لغيابكَ

فلتختبئ الخضرةُ في السهول. تصمتِ الأشجارُ ويخفِ النهارُ ألوانه.

لغيابي

لتقصَّ العذارى جدائلهن تنثرها للشمس. لتجف ضروع النار وتدخلِ النسائم في غفوةٍ لا تنحسر. لتتعرَ الغبطةُ حتى تفقد بهجتَها

ليرسمِ الرجالُ على جدرانِ بيوتهم شمساً من الحيرة يمحوها سؤالٌ يصحو على صوت الندابات:

آه آه، نَشُمُّ رائحةً تتلفتُ في الدمِ، نُضيءُ الدروبَ بالموتى، نبتهل أن تخرج رائحتهم من أنفاسنا، نُضمِدُ جِراح البيادر بهباري ساحتْ رسومُها من الشمس. نَرِدُ التمائمَ النائمةَ بجرار الفخار نسرح بالنحيب في سهول أتعبتها الأشلاء. نترك النهود على عواهنها..

نلطمُ

نلطمُ

نخمشُ الخدودَ بأظفارٍ نسيها الحراس بأصابعنا. نشق السواد عن قاماتٍ تأسرُ الموتَ مصابة برصاصٍ يكرهُ الارتجافُ. المكابداتُ تتهاوى أمامنا، المراثي تسيلُ كدمِ الذبيحة. نحتفي بالمراثي مختبئاتٍ بفيء قامتنا قبلَ قدومِ القبائلِ

أيُّها العطشُ يا نسلَ الموتِ ويا ضوءَه البعيد، تراودُنا عن سرابِ شهواتنا، وبالندبِ نسترُ العوراتِ ونحن عراةٌ تضللنا الدروبُ بالفجيعة

أيَّتُها الفجيعةُ الـ تحلُ ضيفاً

دعينا نُحصي أسرارنا لنفرقها للقبور. لم نألفِ الموتَ لنقدمَ له الروحَ ماءً نستقبلُ به الغرباء. ما لكِ تأخذين البشرَ إلى سرابٍ معتمٍ

وما كانوا عشباً لتحصديهم مطعمةً قطعانكِ الداشرة

أيتها الفجيعة

ما عادتِ السماء ملاذنا لنضرعَ إليها. ما عادتِ السماء سوى مسرحٍ للفولاذ تتلقفُ الأصوات تستدلُ بها على بشرٍ يتوسدونَ أبصارهم، تدفنهم بأشواقهم. لم يغمضوا أعينهم وما سترهم الليلُ كي يفرّوا

الجماجمُ تطل من حُفرِ الموتِ كي ترثي الأحياء المثنى والجمع، الذكر والأنثى، الفواصلُ ونقاطُ الدمِ على سَعفِ الحروف. النسور طَلَتْ ريشَها بالنعاس. الغزال نام على الماء. الساحراتُ نَسَجْنَ بُسطاً للأيتام. الأغاني نبتَتْ على الضفافِ حزناً تحرسهُ الأراملُ والأرضُ سياطُ الأقدام الهاربة والسماءُ عيون. الطيرُ ينقر القمحَ من عيونِ الجُثث. الزغاريدُ تشربُ من بئرٍ مسموم وتجفَلُ. العروسُ تتحنى بالدم، تكتحلُ برمادِ العريس وتحبلُ من الهواء. المآتمُ ضيعتِ الموتى. المراثي تقرأ المسماريات. اللسانُ يتذوق الدم. الكلابُ تتبول حكايةً ترتجف..

الدمُ حرفٌ أول. الدمُ حرف ثان. الدمُ حرف يستبطنهُ النص ويُنْذِرِيهِ، الأشلاءُ حروف المدِّ والسيفُ كتابٌ تقرأه النسوةُ

الندّابةُ ترثي نفسها. الرجالُ يلطمونَ الريح يشقونَ العطشَ بخناجرهم، فيرتعدُ الله حين تفاجئهُ الطَعَنات

ها هي الحربُ

تجردُ الملأ من ثوبٍ طرزهُ الثغاءُ تتركُ ظلَ الرحمن عارياً في البرِّ المثقل بخطايا التوّابين. تعيد المكانَ إلى رغيفٍ غمّسه الربّ باللبن المسفوح على عورة الأشلاء والصراخُ

صوتُ فجرٍ جريح

الحربُ ضباعٌ تتناسلُ العويلَ كي تُطربَ الدمَ تُرَقِّصَ الأشلاءَ تدقَ الأوتادَ، لتربطَ السماءَ وترمي الغبارَ في خوابي العيون. جماجمُ يثمرُها النخلُ لتؤاخي التمرَ. نملٌ يحفر جمجمةَ الصوتِ. بشرٌ يرتجفون من بردِ العورة. كونٌ يأكلُ الندمُ أحشاءَه والخالق يابس في الـ..

رميتُ الحسرةَ فوق قبورِ الخُلان، تركتُ خطاي، صرختُ دماً، ظلاً يتبعني آناءَ الليل وأطراف الصـمت. علقتني الجبالُ من أهدابي إلى غيمٍ أبيضَ لأرى دمعاً يهبط على الأرض وحياً سـرقت نبوته. كنت أحوّم فوق تركة اليقين، أبصـرتُ السماواتِ تترجلُ تربطُ خيلَها إلى عكرٍ يشتقه المعنى

فتشتُ ملابسَ القتلى

عن مراثيَ تركوها لتقرأها النسوةُ بحلماتٍ تقطر فضة، عن ذكرياتٍ تهيل على رأسها تراباً أسود، عن سرابٍ يعكسُ أمسهم كمرآةٍ لم تحفظ صورتهم. فليت فراقهمُ وعلّمتُ مقابرهم بخطا كالقدورِ على أُثفيةٍ واحدة. راهنتُ على الطيرِ أن يعرفَ مراقدهم، على ريحتهم أن تقودني.. ليلهم اشـتريته بقنطار دمٍ وبعتُ نهاري لأطعمَ كلباً تركوه يحرسُ هيلَ غيابهم

ملْتُ. رجفتُ. سـهوتُ. تمايلتُ كمن تأخذه الغفوة وتعلقه على شـجر الحال ويستغرق بصلاةٍ تقطرُ دماً. يا يداً عمياء لا تقطفيني..

قولي: ما الموت؟ لأصـعدَ إليه، أتوسـده، أناغيه كأطفال يَحبُون إلى غدٍ لا نراه. أمشط شعرهُ لتعشقه النسوةُ. أضعهُ على سريرِ الأبد.

أضاجعهُ كي يلدَ الخلودَ

أيَّتُها السلالمُ التي مرّتها أقدامُ الأموات

كيف أهجو السـماء والأرض قبرها! كيف ألوذُ بالصـحراء لأنجو من البحرِ!

وأنا عذابٌ يتهجاه الجنُ، أنا السـيفُ لحروبٍ تلثغُ بالراء، حرف يُثاكل أوَله ويجامعُ بناتِ آوى ليلِدْنَ الخديعةَ وأنتم قرآنٌ يتقرّاني كي أومن بالحكمةِ تقطُرُ من حدِّ السيف

القَفرُ بيتُنا. الخطيئةُ تسكن الشـفاه. وهذا الصـوتُ آخر الليل، يشجُّ العواءَ العاقر بفأسه:

يـا حـارسَ الأنهـارِ المُثلمـة بنـا، أيُّ زمنٍ تتشـــوقُ خـذنـا، نجففُ القتلى من وصـــاياهم، نعذبُ الأرضَ بأشـــلائهم، نرسّــخ آثارهم في ســـيرةِ الإنطفاء ونذيّل أوراقَهم بختمٍ نغمسهُ بالرماد

ميراثنا آخر الصــــرخات العارية، أبناؤنا دمعٌ بلا وجه، غير أنّا ســـنســـتأنف الزمنَ، ســـنصـــنعُ مجداً للمقطوعين عن نســـلهم. نَطلي بيوتنا بالطين، نحمل الحجارةَ المســـكونة بالجنيات لنبني مأوىً لهذه الصـــحراء ونشـــيّد ما يأتي من الأيام

رُحى

رُحى عـاهرة تطحنُ آثـارَ من مرّوا لنـأكل خبزهم. المراثي تجفُ مثل نواحٍ أنكره دمعُه. نكحل الأبيضَ بالمناجلِ ونحصـد اليباسَ بأبصـارنا. الريح صـرّتنا، الريح النـاضـجة دامغةَ الحضـور تجتازُ بنا نيران المســـاءاتِ ونشـــعلها عند شـــواهدِ القبور

النجوم لم تلد أمهاتنا. لم نَرهن ولادتنا لنوافذِ الصـبرِ، غير أنَّ الصـمتَ يمطرُ قلقاً تشيعه البوادي إلى يومهِ. سنُبقي من النشـيدِ أسـمالَه، من الحلماتِ هذا التلألؤ، من الليلِ تمتمات دفنتْ رأســـها بلا صـــوتٍ في عراءٍ غادرته الأمهات. نُبقي للذكرى حجراً ندونُ فيه الأسماء. نزرعُ ما بقي من الظل وردةً للبدء

لسنا أول الشهقات

ولا آخرَ الفجر

نحن أوراقُ الصـمتِ، طنينهُ، نحرر أجسـادَنا من لعنةٍ طاردتنا، نسـرق حوافَ النهاية، نطرزُها بِرســـمِ الجُرحِ مرتين. لا أحدَ يلمُّ شـــهقةَ الأغصـــانِ من شـجرِ الآخرين. لا أحد يُعري الزبَدَ من مائه النائم

انظروا صوبنا، صوب نهودنا العارية، عراةٌ كأنَّ الكونَ عقدٌ لامرأةٍ مالها جيدُ، بقاءٌ غامضٌ صلاةٌ غريقةٌ مكانٌ لا يَفنى

الموتى يُمســكون ما بقي من مائنا يقودونَ ما ضــاع من وجوه إلى أملٍ يتحرّى موته، إلى رغباتٍ مستديرة كأيلول، إلى سلامٍ يتشكل خارج القومِ نجوماً، غير خاشيةٍ سيوفَ البلاغة

ها جُرحنا

نجرؤ به

نُمجِدهُ

نتذوقهُ

نصنعُ الملحَ من دمِه

نمجدُ الرحابةَ المضيئة

نحن القساةُ القساة

نحمي وسادةَ النيام من حلمِ الليلِ

أصابعنا مكسورةً ونلامس الحُبَّ بأفواهِنا.

حلب - الرياض 2003/2004

سَدْوُ الغياب

ها نحنُ

يأسٌ يشربُ المفردة ويبتاعُ الخواتم

الأراضـي تنأى والشـموسُ تنوس كإبرة ضـوءٍ. ضـيعنا أشـباهَنا واتكأنا على الخراب. الجنون يشرب معنا ماءَ الفُراق والباهيات يعتصِمنَ بأجراسنا

خُطى معتمة

خُطى تركلُ الأبديةَ

خُطى تنهشُ المُبصِرين

نصيحُ:

أيَّتُها الخُرافة، يا أمنا، من يسـفحِ الأيامَ كمياهِ الجَنابة على عتبات العمر! من يرمي سهامه صوبَ عيوننا لنبصرَ الماشيةَ ترعى عُشبَ أيامنا وتدلق أحشاءَها في الصحون!

المراثي كتبناها لأحبةٍ غادروا. الذكرياتُ حفرناها بمساميرَ صدِئة. وكنا هناك نرمي الضُحى بصـراخٍ عطشٍ لاهثٍ في البراري وفي الظهيرة نعُض على الفيِّ بأسـناننا كي لا يغادر ونعود متلكئين بخطى تهربُ من قبرها في المسـاء وكنا هناك

دونّا الطفولة على تُرابٍ يضمُرُ. لعبنا بعوراتِنا على الملأ.. ولم يكن يسـوّرنا غير ضـوءٍ ينعى الله بمفرده. وتركنا الخَرابة تواجهُ حَتْفَها في الظهيرة. ورِثنا الخطى الطويلة، المدى الذي يَسـرح بنا حافياً، شـمسـاً تغرق في احمرارها عند تخومِ الدنيا، غدراً يبتهجُ بدم الخلان، أصابعَ تفرك حلماتِ الخطيئة

ركبنا خيلَ أيامنا وسـابقنا شـهوة البصـر. ورِدْنا ماءً ينبع من النون حيث الخطيئة بلا قبور والشـهوة على مرمى من الفَرادة. كنا نغني للقدور «فورْ يا قدريْ فورْ قبلْ كلَ القدور»[2]، وما كنا غير فقاعات تحصـدها الريح وترمي بها للهباء. ما كُنا غير ضوءٍ ضلَّ المكان، عَتمة نُسيت في القبور

اليابسـةُ ترملتْ كأمهاتنا. العيونُ هرمتْ من الدمع والعمرُ يبسَ وهو ينطر الخُلاّن. وها نحنُ شـجرٌ يتعرّى، ماءٌ يخيطُ عبرته إلى العيون، ليلٌ يقشـره الضوء، صباحٌ حاسر الرأس كالقشعريرة. ها نحن عراةٌ، أمطارٌ، طيورٌ تنقر الحُب، أواني فارغة من العمر على الرفوف، أجراسُ مراييع تقود الرعاة إلى حتفهم، كلابٌ تنبح على زول يركل ظنوناً تؤانسـه الليل، ماءٌ شـحيحٌ يشـربه الحظُ..

نشمُّ أشباهنا لنضلل المنفى، ونبصرُ السوادَ كأمهاتنا. نخبئ ما تبقى مِن الروح عن طُلّابِ الثاراتِ في صـررٍ ورثناها من الأمهات ونمشـي إلى حتفٍ أبيض.. أبيض مثل ظهيرة تموز في قرانا. نسندُ الوهمَ على عصا الحسرة ونفرقُ الحنينَ لأطفالٍ يغمسونَ خبزهم بشاي الآتي..

المخاضةُ تودي بنا للضفة الأخرى وتغتالُ الدروب من تحتِ أقدامنا

المآتمُ تغزلُ النشيج. المآتمُ تنسجُ أعمارنا بسدو الغياب. المآتمُ تُلبِسُنا ثوباً من الخيش لنتحسسَ الفجائعَ في الصحوِ والسهوِ وابتلالِ الخُطى بالفُراق. المآتمُ تأكلُ ما تبقى من لقمة الصراخ فننشد كطفولة أكلت قمرها الحوت

«ياحوته خلي قمرنا يفوته

اسمعي دق النحاس

---

[2] مقطع من إهزوجة يرددها الأطفال في طقس احتفالي أثناء سلق القمح ليصار إلى تجفيفه وجرشه ليتحول إلى برغل

اسمعي صوت الاجراس»[3]

والمآتم تسـدّ أذنيها بحليب أمهاتنا أو بزبد شـهوتهن وهن يمارسـن العذاب مع السواد

ها نحن

وذاكَ صُراخ أجسادهن في بهائها العاري، وهُن يمارسنَ شهوةً كبّلتها العشائرُ بعابرٍ أعزلَ[4]. الهواءُ يلفح أجسادهن العارية لتمسّه الرعشات، النهارُ يحضنُ الأجسادَ ليتدفأ بنيرانٍ تشتعل، الترابُ فراشهن والله يراهنّ فيتلو شهقاته السرية

لم يكن السرابُ حلماً غير أنّا ركضنا وراءه

وها نحن أعمارٌ يابسة يحطبُها المنفى

الرياض 2003/9/22

---

[3] مقطع من إهزوجة يرددها الأطفال أثناء الكسوف معتقدين أن القمر أكله الحوت وتُحدث الأصوات وإطلاق النار لإخافة الحوت ويترك القمر أما كيف صعد الحوت إلى القمر!

[4] يسمى هذا الطقس لعبة السكارات: وهي(لعبة) جنسية تمارسها الحطابات من الإناث غير المتزوجات في منطقة أعلى الفرات حين يمر بهن عابر غريب ولا أحد آخر حولهن فيجتمعن عليه، يكتفنه، ويعرنه ويمارسن معه مداعبات جنسية خارجية في طقس يبدو أنه متوارث من طقوس الخصب الرافدية وآخر مرة مورست هذه (اللعبة) في خمسينيات القرن الفائت، حين استطاع رجل الإفلات. واغتصاب إحدى الفتيات مما أضطرهن إلى قتله لأنه خرق قوانين اللعبة

حجر الليل

بعد قليلٍ

تنام الفواصلُ على سرير اللحظات لتولدَ أبديتي أنا العارفُ صوتَ الهُنيهة، وكاتبُ تاريخَها وبنهمِ الجائعِ التهمُ عرشَ الأيام. الأبدُ ينام في جبتي وأوصاله تعبر الجَلبَةَ نحو سواي

ما كانت التواريخُ تتصدعُ وهي واقفة كاللقالقِ على ساقٍ واحدة ما كانت الصرخاتُ تحلم بالمعنى الذي يسدلهُ الكائنُ على مسرحهِ وما كانتِ الكلماتُ تُمحى بالوهم المسنون، غير أن الظلامَ يستجيب لأصابعِ الصوت وهي تستمني الظل والكتابةَ ترثُ الأسماءَ أو بلاغة الخرائب. العروشُ تنهارُ رجفةً إثر رجفة. الممالكُ تنقسمُ على نفسها وتسلك المنفى والكتبُ تحترق في شفاه القارئ المهووس بالنقاط

وحدهُ الشاهقُ

يبصرُ الممالكَ تنحسر

يبصرُ النارَ تحرق المسافات وتضيء البعيد

ويبصر اللصوصَ يسرقون حجرَ الليل

يقايضُ الخرابَ الذي على مدى عمرهِ، بحفنةٍ من شعير الطفولة. يسودُ دهراً ينمو بصورٍ ضالةٍ مقطعةَ الأوصال؛ لا المعنى يصل حتفه ولا الموسيقى تضرمُ النارَ في موقدِ الكلمات.

أثينا 2002/2/11

العاشق

ها هو العاشقُ
تسيلُ أصابعهُ ويذرفُ أناشيدهُ
السماءُ اتكأتْ عليه والسهامُ أخطأته. على صدرهِ سورةُ الطوفان غير عابئٍ بآلهة الماء. الممالكُ تبارتْ لإرضائه. الكهنةُ قدموا له النذور. الشيوخُ لهجتْ ألسنتهم بذكره والنساءُ قدِمنَ من كل الممالك كاشفاتِ الوجوه حاسراتِ الحياء ليتعمدن بأناشيده

العاشقُ
المتواري في وجده الناذرُ أجفانه النادمُ على من مرّوا به، الغزاةُ تجنبوا دمه، الأيامُ أوهنته والوطنُ فَرَّقَهُ على الأصقاع. يبذر ماجناهُ بأبريلَ على سورِ المدينة وفي تموزَ يقطف أشجانهُ وينسى.. البحارُ أضاءت مناراتها، أخرجتْ حورياتها، أحيت كل النساء الـ غرقنَ ليكتحلَ العاشقُ بأسفارهِ أو يروي ظمأه.

من يبكي العاشق
ولا سيفَ له!

أثينا 2001/11/10

مات هناك

كائنات تزدحم لتؤدي فرائضها. ضجيج يعلّم الجهات كيف تتطاير. فزع يشق أكفانه عن طفلة تحترق. أيادي تلّوح لجنينٍ يتشكل في حفنةٍ من تراب اللغة... بأصابع فاغرة دمها أخيط روحي إلى نصفها مُعلِّقَاً تميمةً على عنق الغيب كي لا تجفلّه ظلمتي. أحسب الأفق شرفة، أطل على أيامي الـــ تثغو تتزاحم على مورد الغموض. دروبي تجري أمامي وتترك خلفها صلاةً بُقرتْ أحشاؤها.
استدر يا هواءً يزاحم المنفى؛ هذا وجهي يتلو العويل لتحنَّ السماوات. أيامي مفزوعة تفزّ من نومها. لم يبق غير التفاصيل؛
أَفْقَأُ عيون الطير كي لا تراني. أقود البروق إلى جهة مذنبة. أرضع الجهات حليباً خبأته لعطش يدور فوق أشلائي كأجراس تنعي الحكاية

أنا اختلاط الليل بالمرآة

ضيعت وجهي في خرائط المعنى وتهتُ. رأيتُ الجحيم يحمل وردة عند بابي. أفسحت للنصل الأخير طريقاً كي يرى قلبي. أهدر المشهد المطمئن أفتح النوافذ على مدى أحمرت عيناه من البكاء أشدُّ التعاويذ من شعرها؛
خذي رملي، ابني به نزهتك الأخيرة. انتظاري مستنقع الغبن وخطواتي فصل أخير من انتصار الغزاة. أخدع الطين بأناملي لأشكل أثارك طفلاً من الوهم يقف عند نافذتي. أدنو من قوافل الأسرار أسألها عن موتى سميتهم حلمي أنبش قبر الضوء لأوعده سؤالي:
هل مات توْأمي؟

الرياض 2003

شمس الناحل

البياضُ الذي نرممهُ بالضوءِ تأكلهُ اللعناتُ. الشمسُ التي أكلتْ أبناءَها ورِثها الناحلُ. على حافةِ الأفقِ تقفُ الأهدابُ مبللة بخرابٍ لا يندم، تتهجى صوتاً بعيداً يعُدُ الطعناتِ. خطايانا تتوهجُ كنارِ بُداةٍ في ليلٍ أعرج
وحدهم أطفالنا ينطرونَ خبزَ وجوهنا، بمرآةٍ أغرقها النحيبُ، غير أنّا لا نصل

تحملُ شمسكَ الغاربة بكفنٍ أبيض وتنسى دفنها. أيامكَ السود تسرحُ بها أرملةٌ لا تعرف طريق النهر وقد نسيَتْ صوتَكَ
أملَ تركتْ وجهكَ كرغيفٍ على صاجِ التنهدات، بيتكَ القديم تداعتْ أركانهُ والذكريات، والحطب الذي تلمه العاشقة ما عادَ يكفي
كي توقدَ كلَّ هذي الرياح.

الرياض2003/5/14

المرود والمكحلة

I

الصوتُ الذي جاءَ من بعيـــد كصدى لأجراسِ الهاء واحتل مكحلتي الصغيرة. اللحنُ الذي بللتُ به المِروَد، كي أكحلَ النون، ارتجفا أمام مرآتي. تلمســـا عينيَّ كأعمى مضـــللٍ بالملح. داريتُ بأصـــابعي النحيلة ارتجافَ الكحل، تمايلتُ أمام المرآة كمن تتوهمُ الرقصَ، حافيةً كعروسِ الأصابعِ..

السرُّ انكسر كدمعٍ زُجاجي. الأجراسُ خفتتْ كنهايةِ عزاءٍ سومري
وحدهُ اللحنُ ظلَ يرتجفُ
على المِروَد

II

الأعراسُ تجيئكِ والوصـايا محملةً بكحلٍ يقبل العيون. شـجركِ المثخن بنداءِ الإغواء تســـتظلُ بـه طيورُ الرغبـة؛ لا الكحـلُ يرتجفُ أمـام العين، ولا المِروَدُ نسي أصابعكِ
وحدها الأعراس
تمرُّ
دونَ أن ندري

حلب 10/6/2000

الجسد.. سؤال اليابسة

الجسدُ المبتلُّ يضمرُ الوقتَ ويسرقُ الشهقةَ من العيون

الجســـدُ الذي يتأمل الكحلَ في عينِ المرآة يفيضُ نشـــيداً، يرمي الإغواءَ على حافة الحروف. ينحني الضـــوءُ كشـــبقٍ مرئي، يعانقُ جســـداً مبلولاً بالبهجةِ يقبّل شفاهاً تقطر ماءً كحرفٍ نسيتهُ اللغةُ الضامرةُ، يلامسُ الحلمةَ ويداعبُها كبكاءٍ مكتوم

الحَلمَةُ مفتاحُ الريحِ. الضوءُ شبقُ الغائبِ، مرآةُ لهاثِ المحموم

ينحدرُ الضوءُ إلى سهلِ البطن كعذوبةٍ مبصر في ليل شجّره السهد؛ يتعرقُ ألقاً، يرتجفُ من ثلجِ الغيبوبةِ في دفءِ الإشـــراق، يرتشـــفُ الخمرَ الشـــجوَ تفاصيلَ عَطاشى مرّوا

من بئرِ السُّرةِ

يتوارى الضوءُ خلف أصابعِه، يجوسُ جبالاً ترتعشُ من فَرطِ صهيلٍ يسمعهُ الكونُ ويستر رغبته خَجِلاً من إعلانِ حياة تنمو..

تضجُ الوردةُ صـراخاً يتجلى آلهة تجمع أشـتات وصـاياها؛ الكتبَ، الرسـلَ، إشراقاتِ الفيضِ لعشاقٍ صوفيين، تطلبُ ماءً

ينعتق الجسدُ من عطشِ الكونِ

ويبتلُّ

لهاث الوردة

الرياض2003/5/10

مآتم الذاكرة

ندم

الشمسُ التي تقشرُ بهجتَها، الماءُ الذي يجري حافياً، الصِبْيَةُ الذين يراقصونَ أخِيلتهم، لم ينسوا

كانتِ الأرضُ تتزينُ بأقراطِ النميمةِ، لكنها لم تنسَ

الشجرُ العاري كمتهمٍ وحيد، الصلواتُ التي بكتْ باكراً، الندمُ الذي خَلَعَ أرديتهُ ونام على وسادةِ الضمير، لم ينسوا

كنتُ أباريهم إلى آخرِ الملح أو إلى صدىً يتوجسُ الريبة بأقرانهِ، غير أني لم أنس

لن ننسى في العَتمةِ التي تخبز الوجوهَ أن نقول:

أيتها الأم

سلاماً

الرياض 14/3/2002

الجثة

الشجرُ الذي يبكي على حافةِ النهر، الصراخُ الذي يسدُّ أُذنيه بوجهِ التوسلات، الأُفقُ الملونُ بسوادٍ قُلمتْ أظفاره، الجثةُ التي تشيعها امرأةٌ خرساء و وحيدة

إنَّها جُثتي

لا تبكوا

الرياض 2003

مهاجرون

أبصارُهم ترتجفُ من بردِ الأفقِ
وعلى أهدابِهم تقفُ طيورُ الفُراق

أثينا 2001

مرايا

اليابســـةُ التي قبل البحر، مفارقُ الكلمات، المســـرحُ المُعتم؛ كانوا يحتفلونَ بموتكَ، والبحرُ شاخصاً إليهم. لم أنادِمْهم، لم ينكسرْ ظلي. صاحتِ اليابسةُ: لموتهِ مذاق الأحياء. دمدمتِ الكلماتُ: لموته جرس خافت كأنه الصهيل.
المسرحُ المعتمُ
أنشدَ قصيدةً مائلةً للضوءِ ثم حفرَ قبراً للقصيدة
البحرُ كان الشاهدَ الوحيد

حلب 2003

كُحل الرغبة

KOUHL OF DESIRE

2008

إلى غيلان و إنانا الر افدين

صغيرين.. كدمعة تنهمر من الروح، حملتما وزر الغياب

مولاي.. يا أسوداً لا يُضاهى بدمع

الأصابع تخيطُ الضوءَ؛ الأصابع تخيطُ الأسودَ بـــالأبيض؛ الأصابع العمياء؛ الواهنة؛ التي ترتعش بإبرة تدوّنُ الزمن، ترتل المســميات على حجرٍ أســود، وتنكر الدم إذ يسيلُ تحت مساماتها.

ها هو السواد تخيطه الأصابعُ بالضوء

تنسى أيامها، قبورها، مدافن الأحياء، تتعثر بالماء والماء أسود..

أيُّها العالم أرممك بين فاصــلتين وأتنحّى جانباً كي يمرّ الســوادُ. أمشــي وراء صداه إلى بركة غصّتْ بدعاءٍ يتمرّى في صورتي؛ و..

الماءُ

ألفي الممدودة إلى ظهر فرسٍ تجفل مني كلما همَّتِ اليابســة بي. الماءُ خاطتهُ العجائز ثوباً؛ شققتهُ يومَ الرحيل،

والماء أنثى؛ عطشٌ لا ترويه الحيرةُ، والماءُ أولُ الواصلين إلى مأتمي والماء صوت ينادي:

يا أيُّها الأســود الذي في ســديم المروءة لك ملحنا؛ صــناديق ملؤها الأســمال؛ جفاف قد شغف بالحلوق؛ لك نعمة الهجرات واترك لنا أمنا

تعبنا من لهفة تنطر الغيم..

وأنت يا أسـوداً لا يملُّ السـواد تنسج مراثيَ؛ أثواب دعاء؛ بُسطاً من السحر تحملنا إلى الله

وما الله قبر

وما لله ريح

وما لله غفوة الواصلين

غير أنّا نصدق ريحك إذ نعي بشغفٍ مدفونٍ بين حروف تنبئ الموت، ونرحل عنك أول الضوء

ومولاي أنتَ تظلُّ أسوداً لا يضاهى بدمعٍ

ننشج فوق قبرك

خذنا..

عشّاقًا مرسلينَ؛ نتلمسُ الضوء في وجهك أسودَ ونشهق بالغربة؛ نقطّر الصلوات في بهاء الرحيل؛ نحِنُّ للخطوة الـ غادرتنا؛ للمراعي ترعى بها أفواهنا هيبتك. نرتقي أولَ العشق لنكون السراة إلى مجدك الـ ضاع منكَ، ونتقمّص السهد مبادلين أرواحنا في ظلّك؛ نشمّ البُعاد من تحت إبطك؛ نرتوي من ريحةٍ فارقتنا.. وأنتَ صلاةٌ تقطّر أحزانها. أدخل نسغك نشيداً؛ أبدل ضوءَك بعبرةٍ صارتني؛ والضوء ارتحال؛ والضوء وجدٌ يفوحُ بأترابنا

فلا تبدل الضوء باسمي وتطعمهُ للسواد

فالضوء يتمُ؛ والضوء وصلُ؛ والضوء أجراسُ الخطى مالنا غيره.. نحفنُ منه ما يضيء؛ ونطعم منه الحبيبة إن اشتهتْ؛ نتركه يسيلُ على عناقنا يبلل لهفة الأجساد وهي تختلط ماءً؛ ونشهق بالضوء حين نصل سدرة الارتجاف!

منه تكتحّل البصيرة؛ ونرسم معراجنا للحبيب؛

نكحّل به المقامات؛ ونستر الكشف بأصابع ترتعش حين يسيل الحبيب

فغفرانكَ الذي لا يتّسع للماء وهو يتشكّل روحًا نراه

توحي بسوادك للصمت كي يخنق صوتي؛ وما كنتُ زانياً بأيّامي غير أنكَ أقفرتَ مُهجتي بالغياب؛ والغيب أسود

سأمضي؛ نميمةً بلا ساقين، أماكنَ تتلمّس صورتكِ مرسومةً في بهاء الظهيرة؛ فلا تهربيني بقامتك التي مثل صلاة الغروب

صبّ لأجراس حلمتيك تدندن تسابيح الخرافة على شفتيك عشبة الضوء وأغنامي خطيئة صلاتي تلامس كحلاً يغني حول عينيك والبياض صورتي؛ البياض قامتي؛ البياض نشيجي

أشربُ الليل بآنية الجمر؛ وما كان ناراً، لكنه جسدي؛ يجفُّ في صحراء يرسلها الربُّ لي كلما استيقظ! يداكِ تعيد الخليقة إليّ وتنفخ فيّ لهاثا يشبه الروحَ أحيا؛ تورق قامتي في ظلال صهيلك تجفل غربتي من بسملاتك وأنت تتمتمين بين شهقةٍ وأخرى:

باسمكَ أطعم جسدي للضوء

وباسمكَ أعجن قمحَ قامتي رغيفاً للمصلي غربةً في جسدي

خذيني

إلى مأتم الحب

أرضع ما سال من حلمة صوتك وأرى صورتي في البياض الذي هدّني. أجدل ما تناثر منه بأصابع هي الضوء إذ يخجل الليل منها وأنت فراق الأبد؛ لونه؛ سمته؛ إذ تغيب الجهاتُ. أتناسل مثل قطيع النبوة؛ أسعى إلى صحوِ صبحك وقد نسيته الليالي

أسقط من شجرٍ أورقني ليلاً؛ لأحمي مرورك من عبرتي، وأروي شجر الغائبين أحفن ملحهم؛ أسحن أثارهم بيديّ.. أجدل الماء سلماً وأنت تصعدين الروح شهقة لا تميل.

يا أسوداً لا يحدُّ

يعذبني حضوركَ وأنا أخيطُ الضوءَ بالمنفى لأنسج ثوباً أستر به الصحراء في جسدي

أرتقي الخِدرَ

يرتقي الخِدرُ سلالم روحي

إلى السين.. السين سؤال؛ والسين نهرك إذ يفيض مواويل فراتٍ حزين. أصرخ مولاي: لا تحسب السين شمساً فتشطر أيامي بدورة الوقت فالسين وجدٌ يباري الصلاة لتحضن وجهكَ؛ وجهي

والهاء صوت المنادي على عشبة فارقت أرضها أمسك الهاء بيدي وأحنو عليها كأمٍ فارقت نسلها: يا هائي وهوائي إذ يسد العجاج نوافذ الحال؛ بك أرمّمُ ما يعتري جسدي من ندوب الغياب..

أدنو من البئر؛ أبصر فحيحاً: هاء؛ تشرب رائحةً سقطتْ منّا يوم ابتللنا بسهوٍ يفرّخ فينا الملوحة؛ وأشهقُ

بالياء ماءً

يراوغ لهفتي ويتجلى عراة يخلطون الريح بالضوء لتنجبني، والياء اغتصاب البكاء بدمعتين. وأصعد نحوكَ؛ أشقُّ ستار الحروف لتبكي اختطاف النبوءات من قبور الخطيئة

ومولاي أنتَ، صوتك غباري؛

لمّ الخطايا من خطاي

أنا من سيقود المشيئة دون أجراسكَ؛ وأنا من عاف خمركَ وقد تركته الخرافة على بابنا

فلا تأخذ الراء مني

كيف أناديك ربي! وكيف أعدُّ جراحي وأشتلها كغيبٍ يعمي البصيرة! خذ بصري إن شئت؛ سأنسج الراء يدًا عمياء تقطّر الرائحة من البراري وتمسح بها جسدي، مثل زيتٍ تسيلُ منه رائحة الربّ؛ فينهض شبقي من قبره؛ لأنثى تباري أيامي كظلي؛ هي الضوء

والضوء: عتمة نسيت نفسها في سمائك

والضوء: ارتجاف الكحل في عين الحبيب

أجفل إذ يلامس الضوء وجهي وأنا عتمة غادرتها الصباحات

أصـــابعكِ ارتعاش؛ صــوت بكارةٍ تختلج؛ زهوةُ الفيض إذ تشـــرقُ اللذةُ بين

جسدين مجدولين ضوءًا وماءً

وأنا نداءٌ

مولاي لا تأخذ الضوءَ مني؛ تربطني إلى حجرٍ أسودٍ أصيحُ

في غربة أنبتت جسدي

الرياض 1 / 1 / 2004

أيُّها المُرتَجى: استغاثات الغريب

لتكن الأجراس عالية أيُّها النشيدُ

ودعنا نلمّ الحفاة؛ نولِم لهم الأرض؛ فالبداية نهرٌ والعبور ســرابٌ أو فتنة، والابتهال يترصــد الغريب؛ يمد يده إلى لهاته ليخرج الصــوت وما كان نحن. نقتاتك، نتوســدك أيُّها المُرتَجى. العيون ترعاك كدمعه صــيغت على عجل والفضــاء خيّطنا إليك؛ وأنت تحاذينا في مرورك من جانب المقبرة؛ فترتعد أسماؤنا

ولنِتْ ليلْ ولِنت حسرةْ

بسْ غيابْ

وننطر الدرب اليجيبك

وتوهَن الإيد التنادي؛

أيُّها المُرتَجى؛ يا بياضــاً يأكل غيمنا يا ســطوةً تنهر الاكتمال يا لوناً يتبدد في الاتساع ونحن قبره ومراياه..

الوَسَــنُ على جفون الأكُف؛ والضــراعةُ ترتدي دمعها؛ تتلو غصــتنا كأرملة قتلتْ زوجها وتندبه:

بيضــاء خطاك؛ الطرق أكلت أقدامنا؛ ضــمدناها برماد الخطيئة، والقناديل مازالت تومئ لنا بالضــوء، فلا تشــقّ لنا القبور، لا تحتفي بأيتامنا؛ اتركهم حجراً أو شاهد.. نريدك ربًّا جليلاً نحطبه بالذنوب..

الضلالة تتّسع أيُّها المُرتَجى وتغدونا بياضها تقودنا نحو حتوفٍ من كل صوبٍ ونحن نتغرغر بماء لهفتك؛ ونسرح بخيل عُقرتْ في خطانا.

ابتلينا برملك وما كُنّا الثقاة. ابتلينا بصحرائك وما كُنّا سناما. ابتلينا

وهاي ننطرو انترجى الگاع تنشگ

وتردنا من غيابك

لا جسر نمشي عليه و انته تدري

ولا هِدمْ نتدارى بيه و انته تدري

ووهنت الخطوات بينا

وارتجينا الميْ

من عين العطش

و انتَ تدري..

أيُّها المُرتَجى

الأخضر رائحتكَ، وزندكَ جلالٌ يتقمّص الإيضاح فيك دفنا أمواتنا ونطرناهم؛ فيك حفرنا قبورهم وضيعنا شواهدها وأنت تماطلُ؛ تسرفُ في الصمت ونحن نتوجسه وقلنا لك لا تعمّر مدناً بغير ساكنين. لا تعمّر مدناً بثلج يسوّر الغرباء. لا تعمّر مدناً بصحراء ترمّل الأجساد

وقلنا لك القلوب القلوب؛ انها مأوى الغرباء؛ بيوتهم؛ جمرهم؛ أُمهاتهم؛ أبناؤهم والقلوب ليست حجارة وأنت تدري..

لست واحدًا أو أحداً؛ غير أني أصغي إليك بنباهة كلب الرعاة وأحشره في غيّابة الاصطفاء لينجو سعاري

أنا لوعة المخصي أو فرط اشتهائه للأنوثة؛ أتناسل الشكوى لتجعلني وليدًا يرضع صوته من صدرِ صحراءَ ويغصُّ بالذي غادره.

فيا أيُّها الذي سفحتك الظعون في هجرة تسعى إلى النفس أرني صوتك

أرني ما تحلّل مني في مجرى يجفّ إلى مســعاه وحافياً أعبر المُرتَجى لأغزلها في نشيدي

عيوني عطش لخطاكْ و انتِ تمرين

و انتِ سواد العين و شلون اشوفكْ

الرياض 20 / 1 / 2004

كُحلُ الرَّغبة

الرغبة تكتحل؛ الرغبة تغمرني كطعنة تعلّم أصابعي الاستلقاء تجهل اللغة، الفاصل بين الذنب والبراءة الرغبة عري الأموات..

لم نلهث ما يكفي لنشيّد نورها لم ننطفئ ما يكفي لتهجرنا نتوارث صداها ونضيّع ما تختاره الأعراس. نردم الهوة بين ما غنمناه من أسمالها وبين السكاكين التي تنهش نهارنا

تعالوا أيُّها الموتى

تعالوا

لم نعد نرى توأم الحميمية يصلّي مفردا. لم تعد الصلاة تكفي للوثوب إلى ربنا لنسرق وجهه. لم يعد ذاك الوميض الذي يخطفنا من خرائب الآن..

ونحن بشر بفأس عارية؛ فأسٌ تضحكُ مشرقة الحواف لتشجنا عن الشوق

والشوگ

چن گبرْ مهجورْ

إيترجى الفاتحهْ

والشوگ ضيعنا ابطريگن ما تدورْ

وموّتنا البعدْ

وغدينا بانتظار البارحهْ

شمساً ضامرة زمناً يكورُ أيامه وما كُنّا جسراً لتعبرنا الرغبة كالذئاب.

العبورُ سحرنا؛ وليمتنا لعائلة المصلين؛ والذئاب لا تصلي، لا تعرف اسمكَ، ولم نكن يوماً نسلها؛ كُنّا كل هذا الزمان نرسم الخديعة لنسرق انتباهك؛

نمشي إليك فوق دمامل أجسادنا؛ نشتري وردة اللهفة بغيم مسرّتنا ونزرعها على جانب المصير؛ نسوّرها بحياتنا الفائضة، على مرأى من الفصول

حياتنا، التي لم نصنها؛ لم نحتفِ بها؛ لم نداعبها كطفل يسرق البسمات؛ فلم تترك أثراً

الأمانة التي خناها؛ العذرية التي أغرانا شبقها وما عرفنا الولوج إليه. امتلأنا رغبة بها وما فطنا لجسدها أنت ضللتنا كسرتَ سلم السعي إليها؛ ولم نكن بغتة لتفاجئ التهوّر

على حافتك كُنّا وأنت تذبلنا بالوصايا. لم نؤثر الغرق في نهرها؛ كُنّا نخاف آية الحمّى ترتجف فينا كلما انزلق وعيدك الــــ ما حفظت غيره. لم نجازف كريح تلقي بأنفاسها؛ ولم يمهلنا الفناء لنبتهل...

لا نلومكَ يا سيدي لكنّا نقيم صلاة الغائب على أرواحنا. أرواحنا التي انتهكتَها بسيوفك، ونحن نجمع الخطايا لنوقدها ناراً تستدلُ بها على أيامنا

وكالعائدين من الموت نذكرُ الأسفار؛ نروي سيَرنا للأبد الذي يرفع صوته ليوقظ فينا الزمن ونرحل.. نرحل؛

لا حِنة علْ كفوفْ

ولا كحل بالعينْ

لا ماي نلگى بالدربْ

لا أمل نگعد بظله

بس حنينْ يسترجيف القلب

ويغازل الشوف

وأنت نداءٌ ونحن تيه؛

نصغي للعويلِ ترسله أطلالنا؛ ويطربنا نواحٌ تلهج به أيامنا السالفة

وكنّا انتظارًا يتلوّى كالمرارة وهي تعصر زوراً في صوت المغني نستردُّ الضغائن لنطعن بها الأحبّة؛ نُسدل الهروب على ما يطاردنا وننسى الحياة التي بين أنفاسنا؛ وبالرمل تدفن البهجة كلما أطَلت، ونحن نشاركك السيف لقتلنا، ونبتهج بندب الأُمّهات

ترمّلنا؛ قلنا: الأبد أرمل

قُتلنا؛ قلنا: الزمن لا يورّث

قُبرنا؛ قلنا: التراب سيرة البدء

وأنت تتكاثف في سمائنا وتطارد رحلتنا بالأبابيل ولسنا غزاة.. لم نغزوا سوى فراشهن وهُزمنا. تركنا رائحة يتيمة معلقة هناك

وناديناك: ها نحن أشعث أغبر؛ نقسم عليك؛ ألا تسترنا بالفجيعة اصغِ لأسرارنا، للألفة التي هجرت منازل القلوب، لا تتلهف لدمنا؛ طعمه عزلة، ورائحته تزكم الميتين

لا تسلبنا المخيلة، وأعطنا جمراً يوهّج وحشتنا. أعتق رقابنا؛ أمواتك نحن.. مالك وللقرابين!

اقترب منا نفتح لك دفتر الأيام لترى حضوركَ وغيابنا لترى الكؤوس فارغة من البهجة ونحن نشربها، لترى أنّا ضريح عافه الزائرون؛ بابه الأرامل؛ غطاؤه الخيبة؛ حارسه صقر يأكل فضلات الصدف

نمْ معنا في الفراش، تلمّس أجسادنا تصطك برغبة واهنة، أبصرها مفردة كرائحة الأمس، لا صوت لها ولا لهاث يستنزف التسابيح، ولا تناغِ أحدًا:

ألمك بالحظن واردْ اسمع الخلجاتْ

بيك اداوي هل وجعْ واعبرْ سنينكْ

واحظنكْ حيل يل وجهك صهيل الخيلْ

بيك اداري كل فرحْ ينسكب دمعهْ.

اگلك يا جسم يشهگ صلاه

هلْ جسم كلو جروح

حيل ضمني و انجرف بيّا نهر دافي

يبّس ضلوعي البرد

و انه اناطر هلْ إدين

تعصر من القلب لهفة

وتنگط بحظنك

حياة

وما كان رجاؤنا يصلُ

كنا بشـرًا صيّرهم الانتظارُ فزّاعةً، يشـتلون المرارة سـعياً؛ قطيعاً ضلّله جرس الهاوية، ويجهل أين تكون المراعي؛

فيا سيدي خذني ابنا لأناديك يا أبتِ:

هذا شــجري وذاك ماؤك فلا تقطّعني بالحنين. والحنين ابتلاء أوّله تذكّر الماء وآخره سراب يغتصب العمر في الظهيرة.

لم تكن تذكر أسماءنا حين رجوناك:

خذ الحيل منا واتركنا ضامرين في ترابنا. لسـنا ماءا لنسـيل في كل الدروب ولم تكن أمنا عاهرة لتضيع أنسابنا، ونظل ننادي وجوهاً غريبة يا أبتِ..

لم تكن حائطاً لتسندنا يوم أوهن البرد خطانا؛ لم تكن أنينًا لنكتمكَ؛ لم تكن عطشاً لنرويك، ولم تكن صحراءَ لنجتنبها.. كنت درباً ومشيناك..

ناديتنا:

أنا الغاية وانتظاركم،

أنتم خطى تتحلّل من صـفاتها؛ تضـمر نواحها على هيئة الأبد. الحيرة مرآتكم
وأنتم تتشكلون على هيئة الطير، وينتحل السراب أسماءكم

أوهنتنا الحيرة على هيئة الســؤال: أين المنتهى؟ والأفقُ واحدٌ لا صــفات له؛
الفناء يركض خلفنا شـــاهراً ذكورته ليبني بنا.. أقدامنا تمشــي على جمرٍ لا
يستهان به؛ والعيون تصرخ دمعاتها اليابسة كأيلول
ما عرفنا البداية ومضينا إلى نقطة في أعالي النون نحسبها نحن
وها أنت تشوي أقدامنا والخطى
وهنت

الرياض 7 /2 / 2004

الـرَّســولَـةْ

أيّتُها الفيضُ الموقن بمائهِ. ألتنامُ على زندِ الفجرِ كي تحاكي الله.. ما كنتُ بعيداً غير أن الســـنينَ أخرتني. روت لي الحكايا لأظل في بطنِ أمي ســـنيناً. ولـدتُ وجدتكِ غادرتني. ما حيلتي! كلما شـــممتُ رائحة الصـــبح فيك أنادم قهوتي؛ أختصر الطريق إليكِ بي

أنثر رائحتكِ في عيونِ من يأتي وراءكِ، عبركِ، قبلكِ ألعنُ حسرتي التي تضجّ في جســدي وما كان جســراً إليكِ، غير أني أطعنه بحضـوركِ يا بهجةَ الماءِ، أولها، لهفتها.. وبي عطش لا يحدُّ

أحبك موتاً هواءً تناسلَ في البعدِ قربي أجنح لـ الليل أنادم النجم الذي يطوف في كوكب الربّ أنتِ قلت النبوءاتُ تأتي وقلتُ تأخرَ الوحيُ عني ليشـــرقَ في صـــوتكِ صـــرخةً للبَرِيْة قلتُ هي على النهرِ تعمّدُ العابرين وقلتُ خذي مني تالي السنين إنها في حفنتي..

قلتُ هو الربُّ يجثو على ركبتيه يطلب غفراني؛ أخّرتني حكاياهُ في بطن أمي؛ وأنت تشقين أرضاً بعيدة، وينمو سدرُكِ جسداً من الأيام. وأبصرتُكِ تخطفين الهوى؛ شهقتُ، وكانتِ الصحراءُ صوتي، جسدي، عصابةً فوق عيني، سواداً يغسلُ شعرَ الحروفِ بالرملِ، يجفّفه بالرحيل

أيتها الرسولةُ الرسولةُ وما كنتُ شعباً ضلَ هدى الحبِ ليرشدني الله بكِ!

أترك قهوتكِ الصباحية في مذاق خطاي لأجدل طريقاً من الشمسِ والحيرة.

الحيرةُ شمسٌ تجفُّ. صعودٌ إلى أزرقَ لا يحدُّ أدعوهُ ربي؛ بصرٌ لم يجد ربنا في قبره قلتُ صلبتُ تحسستُ موتي قلتُ صعدتُ مني إليكِ

والسماواتُ خيطُ حذائكِ

بياضُ صرّتكِ في مهَادِ الأسى

ثوبٌ لخجلٍ يقطرُ من شجرِ نهديك

والأبديةُ أغصانكِ اليابسة؛ رعشةُ اليتم فيّ؛ نومي على طارفِ السّهدِ دونكِ

وأنتِ المياهُ التي لا تملُّ العطاشْ

ومنكِ أخط الهوى عنبراً على أولِ الريحِ كي تبلَّ الأقاصي: أحبكِ ليسَ سؤالاً وليسَ ارتعاشَ قصيدةْ وليسَ ارتجافي على عتباتكِ وليسَ تراباً أعمي به الناظرين وليسَ انتشالاً لوجدٍ وليسَ تصحيح أخطاء ربي وليس ابتكارَ الحياة ثانية وليسَ افتعالاً لغفوٍ على صدركِ وليسَ صراخاً بوجهِ رملي وليسَ خطى تبدأ منك إليك إلى الموت وليسَ انتظاراً لمائك وليسَ انتظارَ يديكِ تلامسْ ندوبَ السنينِ في مقلتيَّ وليسَ بصراً وليسَ شمساً وليس ماءً وليس غطاءً لليلِ الغريبِ وليسَ حراسةً أوهام دمعٍ هو التوقُ إذْ يفترش تربتي وليسَ اكتمالَ يومٍ نسيناهُ صبحاً..

ليسَ لأنك جنون يبتكر سيرتي

وليسَ لأنكِ.. تعيدينَ روحي إلى أمِها

وليس لأني أخاف موتاً يواسدُ عزلتي...

أنتِ كتابُ الأبجديات؛ وردٌ على مفارقِ العابرين؛ جرسٌ يرتل الضوء صلاة غائبين؛ سلالُ بخورٍ نستقبل بها الأعياد؛ حنّاءُ نخضب به شعر الأيامْ؛ مطرٌ يبللُ صغارَ القطا في أول الصيف، يغسلهم من غبارِ السنينْ

أيتها العالية: وريثةُ الروح؛ شمعدانُ البهجةِ؛ أكاليلُ البياضِ على رؤوسِ العرائسِ

بياضكِ صبحٌ. نومكِ صبحٌ. يتمكِ صبحٌ. سوادكِ صبحٌ. رائحتكِ التي تتدلى من شجر الوقت صبحٌ

لا رائحة أيامك تنثني؛

ولا زيت سراجك ينتهي؛

توقدين الشموع على قبور الأحبة فتتناهى أرواحهم وأنت صلاة..

سحابٌ يجيءُ بغتةً يقبلُ عشباً أضناهُ فَقْدُ الرعاة وصوت ناياتهم لستِ حجراً طاشَ في الهواء؛ وما كنت قبلةً خاطفة بين عاشـقين يودعان أيامهم في مطار. لسـتِ صـوتاً لأجراسِ الكنائس تقيم قدّاسـاً على روح غائبٍ لن يعود. لسـتِ فجراً ضلتْ خطاهُ مشيةَ الصبحِ؛

أنتِ: حياةٌ تضـمرُ عمراً نتوارثه منذ آدمَ حياةٌ تنهر الخيل وهي تفتح أيامنا للأسـى. نداءُ البعيدِ لصـوته؛ موسـيقى ترتّلُ خطاه وتفتح لها البيبان أنت ما فقدنا من الحب

لسـتِ وردةً في مزهرية، لسـتِ حديقة، لسـتِ شـجراً يداعب أوراقه الريح والعابرون، ولستِ بساطاً تمدّهُ الأيام..

يا طاقة المتخيل؛ تبدع الروح على هيئتها؛ على مائها وهوائها، أيَّتُها الألفةُ التي ترمي غيمَها على العابرين؛ المارةُ من جرح الهواء؛ العابرةُ إلى دمي من رائحةِ الظلمة.

العبرةُ تسـتفيقُ على صـوتكِ، وأجراسُ الكنائس تبارك هلولك كفضـاءٍ يندب الروح

المارةُ الحفاة يسـألون من تكون؟ القصـائد تخفي ظلها في عباءتك وأنا أطرّز الوقت على فستانك المنسي؛ وأطلب من النهار ديَّةَ جُرحي؛

ووحدي ألمُّ الغبارَ من هواءِ مرورك، أنقيه كحبات عدسٍ بأيدي الأمهات، وأنت تغزلين الهواءَ كخيطٍ رفيع تربطين به الروح

أبتكرك طريقاً، نداءً، مرآةً أتملّى بها داخلي لأحنو وأوقظَ جثتي كما شـجرٌ يرتجي الماء؛ كصهيلِ خيول تمرُّ

صــوتي يصــير ســحاباً؛ غمامةً من الريح والعطر حين أناديك أُمســكُ فرحي بيدي، يرقصُ منتشياً بموتهِ

أقرأكِ سورة في كتاب ِالهوى

أنادم الربَّ

أعطيه حروفي

لم يعد لي غير أن أعدَّ أيامكَ منتظراً خطاها

أدوّنُها في كل صوتٍ؛

على وجوه المارّة العابســين، على زوايا البيوت، أبوابها المغلقة، حجارة الحيطان، ألوّنها كما رغبة كررتها الذنوب

أحبكِ كمن يرمي نفسه في ماء نهر يفيض

أيتها العالية، ولســتِ نجماً، القريبة إلى خطوتي ولســت تراباً أنت التي تجيب الضراعة ولستِ ربّاً

أغسل الماء بكِ، بوجهكِ، بجسدكِ الذي يرتل الصراخ وأشربه. أستحم به، وتذهبُ كلُّ الخطايا التي ما عرفتْ قامتي أو تجيء

أتلمّسُ سورةَ الحب مرسومةً في جبينكِ

ألمسُ نهديكِ مثل قطا ضيعَ الصائدين

وابتلُّ ابتلُّ

ولستِ ماءً

الرياض 2003 / 2004

أُنثى الفَراسَة: شهقَةُ القَرين

أقود الفراسة إلى حقلِ أيامك؛ آمر الفعل أن ينحني ليؤرّخ اليقين هذي هي
يا ليلاً مأخوذَ الأنفاسِ بها
دعْ عنك لونكَ؛ اِنحنِ بسوادكَ؛ لامسِ السنابلَ الـتضحك مثل نهودٍ جفلتْ من الرغبة

هذي هي
دعنا على بابها نتلقنُ الضوء نرى الخوف يشهق برائحته حين ندنو من صهيل الفتنة. لن نرتوي؛ سنضرع لأنحائها ألا تجفل..
جئنا نمشط الحلم عند عتباتكِ.. الشهقة تقف حجراً في طريق نسيته الأقدام، وتركنا النوم في فراش الجنيات، خطفنا حصانَ المعجزاتِ كي نُربي ولعنا بالسحر.
ها أنا أفارق الليل؛ أطل على نبرةٍ بُحَ صوتُها؛ أصعدها كجبال عارية؛ شهيقي يتلوني وأكتم رغبتي في الزفير؛ أحبسك.. لم يعد جوفي يتّسع..

أراود البعيد عن نهده؛ أدعوه لوليمة يصنعها العري وليمةٌ عامرة بالشفاعة لروحٍ تُدلني إلى مأوى المطر. أحدّق في الوجه
آآه يا جحيماً يقطع المغفرة أعطني جذوتي؛ دلّني إلى كيف أنجو من بياضٍ يخلّع الأبواب، يرمي الجمر فوق شهيقي
ها أنا أغرف الماء من شفةٍ تنز بالريح وأترك مآتمي ترتعش للفراق الطفولة تحتسي السُّحبَ وأنا جسدُ جنيةٍ مهورةٍ بالقرين. كل ما يدنو من البهجة يحتضر؛ كل التواريخ تلهث بالعتمة وتغتصبني على بابها

كيف ألامسُ دمها ولا يشـــهق النوم كيف أخبئ كنز الغرابة في تمتامتي وأنا في فتنة الطريق إلى جثة الفجيعة

تعالي لنحصِ ما تناثرَ من جثثِ الطيرِ وهي تعبرُ ســماءكِ أغافلُ عمري أرضــعُ من حلمةٍ غُســلت بالغموض أســتدين طفولتي وأطلب من الريح أن نلعب الفرار

و...

ها هي الهاوية تشع؛ أطفر في شهوتي:

يا ســرابي.. لا تقتل الجمر فيّ. خذني إلى شــبقٍ يعرف الماء يعرف كيف يخنق الوحشة في رائحةٍ تدفع البابَ

أردكِ لي

أكسو جثتي بروحٍ أستلفها من النشيج؛

هاتي صوتكِ يتلو عليَّ كتابي، قودي النار إلى مكان القروح...

أمسكُ الرؤى وأتركُ الهواء ينشج:

هذا توأمك يا الغارقة في اليقين؛ يا المعطوبة اللذة ألهواء يتعفنُ كلما أملاكِ بياضُ الآخر اخطفي بياضــك: جيفة تتناســل.. ضــيعك الريحُ والثلجُ واللون والغفلةُ النائمة.

أضـع الوردة أمام باب صـراخكِ لتخطو الظهيرة إليك. أحرّضُ الثلجَ كي ينهمر ماءً من على أغصانكِ أغرف بغتتك من صراخي. أرى اختلاجي شاهقاً..

ألتفاصيل تلهج بشراسةِ الجرح. الأعراس تروّض شيخوختي الماثلة في النحيب يافتنة الإفصاح..

ليشعلَ النائحون صدايَ

ناراً تحرسها الضلالة

يا الغزارة إذ تهطلُ من شـــاهقِ الغيم، فيشـــرب خوفي الوســـيم صـــدى حمّى تجوب صوت المؤذن

لنحصِ الخســـارات.. لندسَ أجســـادنا في عالم الغيب نربّي التراتيل في بهو أوجاعنا نضـرم الأمس في شـهوةِ الفقدِ؛ نسـتلذُّ بولعٍ يطرِّزُ أرواحنا على ثوب الغياب

صبرنا

أشعلنا جحيم الفقد وتدفأنا به كأرواح عاقرة؛

جمعنا بقايا حيضِ الفداحةِ لنصـــنعَ ســـحراً يعيدُ الحياة لأيامنا الأرملة؛ من غرّرَ بأشلائنا لتتشكل جسدًا يعيد شراهته للحب والفقد والحزن والارتباك!

قتلى قتلى

نقتفي نقاط الدم في طريق العذوبة

راحلتنا صوت النائحات علينا

أوشكُ أن أفلي الرائحة عن نارك المطفأة

أوشك أن أزرع الخطيئة جنة في لذة المغفرة

أوشك أن...

بقاياي تحســو الهزيمة من لذة الكأس بين يدي حضـورك يا الســماء المصـابة بخناجر الأسلاف يا الفرس الجارحة للطريق

أباغت المشهد: بروق تكتحل برماد كاهلي؛ والسَكينةُ تقودُ الكواكبَ إلى سحنةٍ فقدتها السماء

تلوحين بنحيب يشبه الغيم:

يا عابراً بهجة أضـــاعها جســـدي؛ لا تســـرف فيّ.. شـــهيقي رماد الســـنين وأنتَ زفيري. صمتي عارٍ من جسدي؛ وشهقتي شردت في العشاء الأخير.

هذا جسدي ليس سومرياً.. المسه؛

تغويك اللعنة بازغة من وضوح النهدين! المساءات تتالى؛ أزيّن شعري لموتى لا يمرّون.. يا سوادي الأخير:

النتوءات تطفح من رمادٍ يشكّلُ قامتي؛

لامسها؛ لامسيها...

بين موتين نتبادل الهتاف

يحيا هذا النهار البهيج إذ يسترد من الليل شغفاً بالحياة

يحيا هذا الجرح فاتحاً فمه دهشةً ضارية

وتحيا أشلاؤنا إذ تجتمع من عويلٍ بعيد

نشكّلها جسداً وننفخ فيه

نداءً؛ حياةْ

الرياض 2 / 1 / 2005

السَيدة البيضاء التي لا تخطفها الزرقة

تتكئ على الزرقة؛

تضحكُ فتخطفُ البياضَ مِن الكون

لا تتجسد؛

قلتُ: حواسٌ؛ رائحةٌ تعلق بكلِّ ما تمرُّ به. ملمسٌ لا يفارق حتى في النوم. عذوبةٌ تسيل.. يزداد عطشك كلما شربت من يقظتها قلتُ: تذهبين، تظل رائحتك تصلّي في المكان.. أغفو؛ ألمس الرائحة التي بطعم الكستناء وهي تمدُّ يدَها لتلامس وجهي. لا تمشي على أرضٍ ولا تطير في سماء. لا تبني بيتًا.. ولا تغادر. تتأرجح فيَّ كبهجةٍ مشاع

أقول: ماء: لونها حياة. طعمها أزرق. رائحتها ولادة الكون. تسيلُ على غفلةٍ من اليقظة كقشعريرةٍ فقدت وعيها

لا تبادلها الكلام.

الكلام فائض

صعدتُ سُلم الغيب؛ أبصرتُ ثمارها تتدلى من قوسِ قزح نبتَ فجأةً كاحتفال..

دخلت متاهة السلاسة؛ حيث الشبق غضٌ والشهوة مكحلة بالظمأ؛ وبيدٍ ترتجفُ أبعدت غلالةَ النوم لأرى سرير الحياة؛ تسربتْ إليّ، فتحت فمي مثل أبله غادره الكلام. قلتُ: سأجمع فيوضات العشاق من كل العصور وأخبزه رغيفاً واحدًا...

اختلطت الزرقة الـــ تتكئ عليها بالبياض الذي تضحكه، ولم تحتج للكلام لتقول: حقي!

قلتُ: سأعجن ما غادره المحبون في دفاترهم المخبأة وأصنع منه كلمة واحدة؛ أقدمها لك حينما تشرقين كارتجافٍ حاف يسري في جسد اليقين. أشرقت.. ولم تتكلم.

قلت في سري: أدرك الآن لمَ لا تتكلم الشمس!

قالت: احفنْ من دمي كي تنهض. فوقعتُ في بئر الطاعة قالت: ها أنا حياة منثورة فيك.. تخلص مني. فربطتُ شرودي إلى شجرةٍ أنهكتها المعاصي

كانت تحول كل الدروب لنداءٍ يشدني صوبها كلما أَغمَضَ البعيدُ عينيه. عثراتي تصحبني كالبخور وأنا أمضي غير آبهٍ بأمم تطاردني قلتُ: أريد أجنحتي فأقدامي يبست. عمدتني برغبة الطير وكتبتْ بحاسة اللمس على هواء داخلي: ستعود

قالت: سأكون دماً أو نفساً. فجمعتُ بعضي من زفير الجهات

أيتها البيضاء التي لا تخطفها الزرقة:

قليلكِ كثيرٌ؛ قيامة الأموات من عطشهم. وجسدي راية المصلين..

تعالي نعبئ رائحتك؛ نجعلها علامة لبراءة الجرح من سكين الفقد، نبيعها على الأرصفة.. للمكتئبين؛ من فارقتهم حبيباتهم؛ اللواتي خذلهن عشاقهن؛ من فقدوا أوطانهم وأمهاتهم؛ للحزانى...

حين تغيب

الشوارع، الأرصفة، الدروب، المقاهي.. تئن تحت أختام فقدت أسنانها، وينامُ الحرّاس أمام عتبات اليأس؛

ولا أرى في الوجوه سوى ليل يفقأ بصري، فأمضي متعثراً في المسالك، مغمساً قدميَّ بمحبرة الذاكرة لتعرف الطريق.

الهواجس تنتابها أحياناً: كأن تغيب مثلاً كمصـــادفة فاجأها الصـــيادُ. كأن تشـــعر أن جودها ارتباك يتعثر بحراب الخطيئة. كأن تفكر في الطريق وهي تتعكز على ســـلالة قديمة للريح. كأن تظن غيابها جرعة الدواء الأخيرة من جُذام الرجاء. كأن تفكر: ســـلـتُ أكثر مما يجب وأقدام الماء تتعب من الشـــساعة. كأن تحاسب رعونتها حين نكون معاً، وتضبط نفسـها تغتسـل بصورتها على المرآة لكنها تعود راكضة حافية حين أقول لها:

أحبّك حتى تنفجر الشمس.

الحياة قبلها كانت وقتًا يتجمهر أمام ســـنين تطلُّ منتحبة على القتلى من الأيام.

انتظرت طويلاً على شـــواطئ الأنهار؛ انتظرت في مقاهِ الآخرين.. وكنتُ أهربُ من الظمأ بغريزة حصانٍ بريّ؛ أزيّن الفتنة بآثار متسولين يمرّون بي.

حين أبصـــرتها من بعيد، فتحتُ كتاب النذور فوجدتُ رســـماً لها. قلتُ: ســـينقطع بيننا حبل الليل. ســـأعرّي روحي حينها؛ أنفخ فيها من مطرٍ منبوذ؛ واتركها تجفّ في شـــمســـك من ماء الآخرين. لن نســـقط في حفرة الموتى؛ تلك التي ينسجها الليل وهو يعبر نحو عزلة مرصعة بالملوحة.

إذ اذكر أن الحب كائن يتفيأ الصمت..

إذ أعود لاهثاً نحو جدران النوم، أتلمّس ما تساقط منكِ في غرفة العزلة..

إذ أغني بمفردي «.. بياع من يشتري حزني ومواويلي...»

أقول أنتِ..

أتأملُ أيامي المغلولة إلى الأفق.. قلبي ضلّ طريق البيت؛ والدروب تفرّخني طفلاً يحبو إلى عتباتك ولا يصل. أرضع صورتك وهي تخرجُ من خزائن الأمس. أعلقها وساماً على صدر عائدٍ من حربٍ معتمة؛ لم يحالفه الليل فيها.

ألتفت فلا أرى.. فأشهق إذ أرى الهواء يعرّي جسدي منك؛ ومثل مجنونٍ أروي الحكاية لمن لا يعرفك. أضـــيء زنزانة النداء بجمرة تركتها خطوتك. لنتقمص الألوان ونسدل الأزرق على المدن التي بنت مزاراتها لأشباحِ الخطيئة فالخريف سيأتي كريح، أو ورقٍ يسّاقط كدمع المغادرين، من على أشجارٍ تومئ برأسها للغزاة..

يا زمني الذي يمتد كطفلٍ

وينمو كالمفردات

وحيناً أراكِ النوافذ

وحيناً الباب الذي تركتَه مفتوحاً كي لا تتعبُ يدكِ..

وحيناً أفلي الأغاني المجروحة عن أثرٍ لكِ

أقول لجدراني: كانت هنا تتأمل صورتها..

سألتُ الشبح الذي ينتظرني على قبضة الباب: هل حملتَ شيئاً من عَرقِ نومها؟

كيف أقول للمساء تمهل ستحضر بكامل نزهتها بعد قليل! كيف أقنع الهواء أنه دونها بلا رائحة؟

أشردُ في طفولة مبحوحة

أقلّدُ الموتى

أبادلهم جثتي

المسافة خنجر الوقت، والله لم يستطع أن يكوّر الأبعاد نقطة.

يدي تمتد لتفتح مشهداً لم يكتمل:

سلامٌ يصعدُ سلم البيت، ليخلق جنوناً من الرهافة في حيّزٍ صغير، أسميه عزلتي

تصلُ محملة بنزهات يقوم بها الهواء إلى حدائقَ بِكرٍ ولم يَعِد بها الإله أحداً
تهبطُ من سحرٍ يقطن أعالي الفتنة: جسد وديع، يرتجف بقبلاتٍ لم تذق حتى الهواء.. هاتَ شفاهك – تقولُ- لنزرعِ كائنات لا تعرف الكلام، ولن يعلَمها أحد كيف ترفو كفناً!

كأن الأرض خالية من وعود الجنة. كأن الشهقات الموسومة بحضورها تجثو على قدميها لتلوّن أظفارها

تارةً تمشط شعري من الليل

تفتح قلبي على مصراعيه

تارةً تلامس وجهي بشبق الناسك وهو يقبّل كتاباً مقدساً تتشبث بي، لأن الوقت يتسع ويركض مثل هاوية وتارة أناديها: يا كلَّ ما بقي على الأرض من صلواتٍ لم تَصِل الله، دعيني أحفن الشفاعة المتدفقة من بياضك وأصنع مشاعلَ للطير.

ووئيداً أتصاعدُ فيها نفساً ضيّع كل طريق. أجلس في شرفة وقتها. أضللُ الدروب، بأن حلب قبل الأندلس، وأن العبور إليها يبدأ من نقطة في القلب.. وأخيّبُ توقعات الوشاة إذ أنجو من كمينٍ نصبته لي جثتي!

وكنتُ..

في الوجد الذي يخطف الحنين ويُعريه، أبعثر الحروف لأنسج هواءً يمر بكِ، أعرّي الزمنَ من الوقتِ لأجعله أبداً ساكناً أدعو الله أن يتّسع، ليحتويني بكِ.. لم يكن الله ضيقاً.. ولم يكن دون مُسمى؛ غير أنكِ أخذت المسميات منه وأعطيته الاتساع؛ لتصبح الضلالة والهدى صلاة واحدة...

نطيرُ في زرقة ترتعش؛ لم تشرب من لعابكِ، ولم نحمل أثراً لك... ورأينا الحروف تسجد على صورتكِ وما كان سحراً، ولا غرابة تشحذ الدهشةَ فأنتِ هواء يتجسّد حيلة للعاشق؛ والعاشق تراب يتعرى لوقع صورتكَ

والعاشـق اختلاط الريح بغبار القوافل وهي تسـعى إلى الحجّ، وتتيه عن كعبة الربّ حين ترى الماء والعاشق ليل يحرسكِ من فجيعة المنتهى..

وقال ربّي:

من حجّ بصورتها فقد أتاني

ومن شرب ريقها جعلته حارس جنتي

ومن لامس وجهها جعلته رسولي وحمّلته الوحي إليها

ومن رضع حلمتيها أسميته ابني...

الرسائلُ لم تصل؛ والعراة أمام بابي يسندون الخليقة ببهاء أجسادهم.. أنتِ الحياة إذ تتعرى بغتة، والعاشق يعرج بين سمائكِ ونهديك

قوافلُ الوجد تنام على سـفح بطنك الذي يشـبه العرش نموت هناك ونحيا مختلطين بثغاء الذين عذبهم شوقهم لصورتكِ

وما كنتْ مرعى

غير أن العاشق حلَّ بكْ

وماتْ...

كأنما الرؤيا تخاتل المبصر ليَنْعَم باشتعال البصيرة!

أركضُ حافناً رغبتي في شفاهي، أدخل الجهات التي تطوف حول وجهك

وما كانت الشـفاه سـرمداً أو فجيعة أو مِنَّةً من بقايا ربٍّ ضـيعه حراسـه وما كانت الشـفاه جسـراً للعابرين إلى جنةٍ تقدُّ قميصـها بالأصـابع وما كان الليل وجهي، غير أنه يتكور على شـكل أصـابع تتلمس جباه ملائكة الرحمن وهم يسجدون لإبليس!

وقلتُ لهم:

من لم يحلَّ به صوتها ليس من عبادي

ومن لم يصلِّ على سجادة دمعها فقد ضلَّ ناري

ومن لم يحضنها كأجراس صوتي كان تراباً

كان.. طغاة ومرّوا

كانتِ الآلهة قبلكِ وذهبتْ تحرسُ أوهامها

وأنتِ تختلطين بفاتحة المصلي؛ فلا يعرف الله أنتِ.. أم منكِ ولدَ وبصورتك يتجسد للعباد؛

وأنا اختلاط بينكم...

تنسجين الدنيا بأصابعك سجادةً كي أصلي

أستعجل الطريق نحوك.. بلهفة الصائمين للماء

صحو لا يستريح

بكاء لا يهدأ إلا ببَركة يديك.

مثلك كان الوقت مسيّجاً! يغوي المتعة كي تشاكس الشوارع والمطر، وكلما كان الليل غزير الأحلام قلتُ: سأجيد الفؤاد كي لا أسقط.

كنتُ أولدُ بين يديكِ كقافلة وميض، وقد أثقلتني ظلمة الكواكب. آن لي أن أبيت عارياً يكسوني مطرُك؛ أن تسعفني رحمة البياض؛ يا نجمةً تهذي فوق رأسي: مذعوراً كرجلٍ يركض أمام الموت.

حدقي بي، تري تفاصيلكِ تسبح في دمي وهو يئن بالقتلى أجتزئ من شفتيك قبلة تتسع لتغفر للكون خطاياه، وأنت تدونين حاشية البهجة على طارف أيامك

كاهلي صغيرٌ. لا يحتمل سوى صرة ضحكك. لا أريد لجثتي أن تلازمني الطريق.. مدي يدَ الماءِ لتقطف رأس الملوحة.. وقلتُ: المكابدات أخذت أيامي إلى المقبرة؛ ما بالك تجفّفين الضحك بشمس الوهم!، تخلعين نكهة الماء عنك!

سأنحني مثل شبقٍ، اقبّل جنون خطوتك وهي تمضي..
لن أصغيَ لشهقة الغروب تتلو دم العابر، كمثل طاغية صغير.. لن أصغيَ سوى لأصابعك تزرع شجر الرائحة على وجهي. ولن أحفل سوى بدمك وهو يقتل وحشة الغريب. أشبّهك برأفةٍ صارت جلدي، أشبّهك بسماءٍ صارت بيتي، أشبّهك بكل بعيدٍ يقود البصر إلى منازل الضوء

يا لهذه الأنثى: أقولُ
كلَّ يومٍ تغسل الضوء بماء رحابتها
كلَّ يومٍ يمضي قلبي إلى مدرستها لابساً «مريولاً» من الزرقة
كلَّ يوم تنبت في طريق المدرسة أغانٍ
كلَّ يومٍ ترافقني العصافير إليها
وكلَّ يومٍ أقول لها:
صباحكِ غيمةٌ ذاهبة إلى المدرسة.
تشبه فيما تشبه قبلة شوق
وأحياناً أقول: النهار وقد جعلناه مخدةً نتوسدها كي ننام. وأحياناً أشرد.. أتخيل نفسي عصفوراً يتسلل عبر نافذتها ويحط على ضحكتها. وأحياناً لا أنام كي أظل حاضناً صورتها
وأحياناً أنام كي أطبق جفني على صورتها
وأحياناً أنام وقبل أن أنام أقول:
«وك تعال بحلم واحسبها إلك جَيَّةْ واكَولن جيت»

دونك؛ أنكمش إلى نقطة تائهة؛ الفصـــول تتعاقب على جثتي. أرى قلبي حافياً يهرول خائفاً والدنيا حصــى مدبب. دونك؛ تُســبل الحكايا أجفانها وتخلد إلى قبرها؛ أتحوّل خرقة بالية تمسح غبار أي شيء

دونك تنهار الجهاتُ

جسدي يذبل وهتافي لا يصل

أنت التي تبني من الله بيتاً لنا تعالي؛

لأمضي في واسع صوتك، أنحني أمام الفصول وأطلب منها الصلاة حين تمرَين تصـحو الليـالي حين تنـام، ويغفو على خـدهـا الصــبح! أطلّ عليها وأخفي التوابيت خلفي أسجد خلف رائحتها فتسجد معي الأرض والكائنات

أصلّي:

خذيني إلى رحمك فلم أجد ســلماً لأصــعد نحو الســماء؛ لا تلديني إلى الأرض والناس

يداك المشيئة

وأنا حارس الحلم

أقف على بابك متسوّلاً أخرساً

أقول للهواء:

قف لا تمر.. إنها نائمة.

الرياض – المنامة – حلب 2006 / 2005

نواح الغريب

حكاية لم ينقرها الطير

STRANGE’S HOWLING

A TALE NEVE BEEN KNOCKED BY A BIRD

2008

إلى

البيضاء مثل غيمة..

سوزان

شكر

لابد لي من شكر الأصدقاء الذي تفاعلوا مع هذا النواح بتعليقاتهم خلال نشر أجزائه عبر تاريخه الممتد بين عامي 2003 إلى صيف عام 2006 وهم:
جاكلين سلام - حامد بن عقيل - حنا حزبون - دلع المفتي- سوزان خواتمي - سمية السوسي - سمر الأشقر - عصام الزهيري - فتحي أبو النصر - فاطمة الشيدي - كريم سامي سعد - ماجد المذحجي - مسعد الحارثي - نادي حافظ - ناهدة دوغان مولوي - هدى الجهوري - يونس عطاري. وكذلك شكري لسعد الياسري الذي راجع مسودة هذه الكتاب.

بمثابة مقدمة

أعمى غرناطة

نترك الأسماء على الأبواب تئن من وحشة البرد ووهن أصواتها، ونلتحف بيأس يتدفّأ بمفردات عارية.

ماذا يفعل الغريب، حينما تتناوبه الأوطان، وهو بلا وطن، وحيداً وعارياً يناشـــد الظلال، أن اتركي الغريب يتفيّأ قليلاً، ويناشـــد أمه التي مثل غيم داكن!

ماذا يفعل غير أن يتكئ على امرئ القيس معزياً نفســـه بوجع قاله غيره «أجارتنا إنا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب».

وليســـت الغربة هنا الاغتراب الذي يلتحف به الكثيرون، ولا الغربة بمعناها المكاني، وليســـت غربة الروح كما المجاز الشـــعري.. إنها غربة الخلّان، أولئك الذين يبنون الذاكرة والمكان ويشـجرونه ويســورونه أيضـاً.. غير أنهم يرمونه بأسى الحنين.

في الغربة يأكل الغريب من ذاكرته، ويشرب منها كذلك، فاقداً بهجة اللحظة.. لا بمعناها الخاطف، بل بمعناها المقيم.. تلك البهجة التي لا يمكن لها أن تنمو في الغربة كنخلة صقر قريش.

وحينما الهواجس تنتاب الغريب، فإن ذلك قد يقوده إلى القســوة، وهو في حالة عدم إدراك حسـي لما يسـمى الحب! عندها لا تغدو عبارة درويش «أنا لا أحبك كم أحبك» اشــتغالاً على اللغة وتأويلاتها، بل إنها اشــتقاق للمعنى من الحيرة، التي يقع فيها الغريب تجاه ما يعرف بالحب.

كما أن نداء بيرس «ألا لا يموتن أحد قبل أن يحب» يصبح سعياً يومياً لهذا الغريب.. غير أنه لا يجد سوى الأسى والوحدة على مفارق المقاهي المترملة من الخلّان.

وهنا قد يكون أحد الحلول اللاواعية هو تحول هذا الفيض نحو جهات أخرى، إذ عندما تفرغ المخيلة من صورة محسوسة لمحبوب حتى لو كان غائباً، فإن هذا السعي للحب قد يرتد إلى أحد شكلين: إما حب الذات وتجلياتها، والإلتصاق والتوحد بها، أو تحوله إلى قسوة غير مبررة في كثير من الأحيان.

وهكذا تمضي الأيام! صحيح أنه في بعض الأحيان يساورُنا تساؤل نيرودا «ترى أحزنُ الذي ينتظر دائمًا، أكبر من حزن الذي ما انتظر أحداً؟»

غير أن هذا التساؤل لا يأتي ليخفف الوحشة، بل ليزيدها ويحيلها إلى ما فوق اليومي الذي يعتصر الغريب..

والغريب في وحشته.. وتشرده.. وتبعثر أجزائه، في غربة لم تعد المسافة تعني لها شيئاً، لا يعود معنياً بشروطها: قسرية.. أم طوعية. ولا في إحالاتها الموضوعية؛ فهو ينسج الأمكنة والحنين من سيرة الخلّان. ولا يفكر على طريقة السياب «الشمس أجمل في بلادي من سواها» بل أنه يجرد الحنين من مفهوم الوطن ويحيله إلى الوجوه | الأمكنة...

وهكذا، نمضي هكذا، بدون همزة على مفردة كالروح، وبدون نقطة على أول البوح، وبدون يد تخفف عن الجسد أساه!

وإذ اعتدنا حينما نكتب عن مفردات ذهنية مثل الغربة والأسى والوحشة أن نحيلها إلى الروح، وأرى أن الجسد هو أول من يتحسس الأسى، وأول من توهنه الوحشة، فتصبح استجابته للحياة أوهن، بانفعالاته وحركته وتعابيره.

هكذا إذن، إنها الحياة التي لا تنتظر أحداً.. وستستمر سواء شعر كائن غريب بتبدده، أو بيأسه، أم لم يشعر!

أحس به أنسباؤه الغرباء في بلاد غريبة أخرى أم لم يحسوا!

وإذ يقول النواب:

«ربِّ كيف يشـتاق إلى خمر جناتك من لم يسـكر». فإن هذا يمكن أن نحيله إلى مفهوم الحب والقسـوة.. إذ من هو شـريد وغريب ويائس، كيف لا تعرف القسوة طريقاً إليه!

ومن تطارده لعنة القبر، ويظل يسـائل نفسـه ترى بأي أرض أموت.. وكيف ستنقل جثتي إلى ترابها؟

ومن يفتتح صبحه بخبز اوكتافيو باث «أيها الموت يا خبز الجميع» ليس لنا أن نرتجي منه أن يوزع ورداً على العابرين.. بل سينتظر ورودهم على قبره!

فاغفروا للغريب

أما يكفي هجران الأمكنة له وذبول اسمه في سيرة الخلّان إنه أعمى في غرناطة!

ذلك الذي كتب عنه لوركا قائلاً لامرأة اصطدم بها أعمى في مدينة غرناطة:

«فلنغفر له يا سيدتي

فلنغفر له

أما يكفي أنه أعمى في غرناطة!»

أيكفي كل هذا، لتغفروا كل تلك القسوة بكل هذه العزلة والحب

أنا الذي أعمى، غير أني لست في غرناطة!

الرياض 7 /12 /2003

مدخل إلى رواق الحكاية

الوجوه التي تسندنا

أحياناً تصبح الأرض التي نمشي عليها

أحياناً تكون الجدار

أحياناً تكون السماء

ودائما يتركون غصـــة حينما يبعدون.. لا يتركون أثرا، وكل غياب لهم يحفر جرحه على حواف الجسد، لا يشفى ولا يندمل. وهكذا تمضي الأيام دونهم.. منهم من نخيطه من الوهم.. وكثيرون هم الذين حين نتحســس أجســادنا نلامسهم. ليسوا وهماً، حتى عندما تطويهم الجهات شمالاً أو جنوبًا.

إنهم جرح لا يأخذ دلالته من المجاز، بل يأخذ معناه من النزيف الذي نراه يسيل..

إنهم جروح لا تتقرح، ولا تتقيح، تظل تنز دماً صــافياً كوجوههم.. قالت لي الغريبة في ســيرة منفاها «لقد كبر أطفالنا يا غريب.. دون أن ندري» من يومها وأنا أرقب أطفالي من البعد وهم يكبرون.. وليس لي غير أن أراهم نجوماً في ســماء أيامي تؤانس جثتي، وكلما قالوا لي جملة تدل على أنهم كبروا أتذكر ما قالته الغريبة، وأشهق بغربتي... يا الله كم قصيرة هي الأيام!

لماذا لا تكون الأيام دائرية؟

لكنني أمضي في مدى مفتوح على الغياب و..

أتمتم في العزلة:

لو أستطيع أن أنسج من صورهم سجادة أحملها معي.. حينها سأظل أصلي دون وقت محدد. مرات أقول ليتني أستطيع أن أنسج من ضحكاتهم حصيرة.. حين تتعب أقدامي الحصى يفصلونني عن ألم المسير..

-إلى أين تمضي بنا يا قطار المصائب؟

سأمضي..

«وحيداً وحافلاً بالسواد» وأعزي نفسي أن أصدقائي وطني وأعزي نفسي «تدرون المحبة وطن» المحبة وطن دون جهات.. هكذا لا نمضي به، ولا يمضي بنا، ولا نعرف تخومه، ولا يطالبنا بالمسير، وحين تكون المحبة وطناً سنغلق سيرة المنفى هازجين:

هؤلاء هم أتحسسهم في عزلة تحنّي أكفها

عزلة تلبس ثوب عرسها

الأفراح تحفر القبور لتخرج الهلاهيل

والنسوة يقفن شمال البياض

عاريات إلا من الغيم

ويرفعن السماء كي تظل العابرين

رواق الحكاية

[1]

يـأتون فرادى على غفلـة من الزمن، كيف نبـددهم هكـذا، كيف نلامس وجوههم الغيم، ثم نصفعها؟

على غفلـة من الحيـاة التي تبعثرنـا يـأتون، نتركهم يغـادرون هكـذا..، هكـذا؛ ويسكنون دمعاً لن يجف.. ومثلهم لا يكفيه الدمع.. ومثلهم لا يجف.

أيُّها السـديم لا تكتمل؛ أحفادك نحن، نكتهل بين هزيمة وأخرى، ننقش الكلام على شغاف القلب كي لا يضيع.

وها أنا أضـيّع وجهي في الأمكنـة، لا المغفرة تطالني، ولا الـذنوب. أمضـي في نشيج غامضٍ يحتسي الأيام، لا ظل لي ولا شكل، أبدد صوتي بالريح، وجسدي بالسكاكين.

ليس فراقاً يفيضُ، وليس نبيذاً من الدمع تسكبه أشلائي، غير أني أبكي.

أسـلب من البعد جوهر الضـلالة، وأشـهق، يا طيوراً تنقر البياض: هذه جثتي اعتذاراً عن الصلاة

هذا بصري يقودني لألوّن ما يتسع من الخرافة

هذا دمي، أسفحهُ في دروب لم أمشها

مرت بي الجهات، ولما أزل واقفاً أتأمل بكاء الخطى. مرت بي السـنون، وكنت أنظر ببلاهة الكاهن. مرت بي الرائحة وكنت أزيّن المعنى، وأرتدي جرحي عباءة تسترني عن العري.

وكنت غريباً كطعم الدم

حالكاً كفجيعة تعلو

ليلاً لم يعرف المارة..

آه من يتوضّأ بوجهي، ويصلي في غربتي

من يفض بكارة الفجيعة؟

ها أنا أفتتح طقسـي.. فافتحوا جسـدي لتروا آثاركم، لتروا كم من الجروح تركتم، وأنتم تغادروني

لسـتُ ضـليّلاً، ولا ملكاً لأرض لم يفتتحها البكاء، غير أني همت، سـلكت مسالك لا تؤدي إلى جهة أو أحد، وكان زادي الغبار، ومائي سراب لا يضيء أشطر النهارات كي أمضي.. بلا دليل

ها أنا أدون إسرائي في وضح الظهيرة، ولن يصدقني أحد.

[2]

تعالي يا هدى، كنت أحتاج أحداً يفصل دمعي عني لأكمل النواح وكنتِ أنتِ.. سـأقص لكِ الحكاية، ألم تكملي حكايتك ذات يوم لأجلي! سـأروي لكِ إذن آخر الجروح التي فُتحت للنزيف، وكل خطوة جرح، وكل فراق دم.

كنت أبحث عن عشبتي

وفي الطريق كنتُ ألهو بالصلاةِ أحياناً، وكنت ألهو بأن أعيد خطاي، فأمشـي فوق آثارها.. كان بصـري هو خريطتي، وكان الظلام عورةً أسـترها بقلبٍ (عذراء)، وحين يدهمني الجوع، أسـتلف من ذاكرتي بعض أيامي وأطحنها دقيقاً، والدمع ماءٌ وفير. كنت أخبز دقيق أيامي على صاجٍ من الخيبة.

كانوا يمرون، ولا أحد يلتفت لأعزلٍ يؤانســـه حلم حبٍ، لا يســـهو، ولا ينام.. علّمتُ الدروب بنقاطٍ من دمي كي أعرف كيف أعود، وكنت -عندما طال الدرب- ألتهي باصطياد الغبار، أبلله بالخرافة كي يُؤكل.

طال الطريق يا هدى، وفقدت دهشــة المســير، و.. على عجلٍ من الخطى كنتُ أشـــرب ماءً يختلط بالمراثي، وكلما ماتت خطاي أحفر لها قبوراً، وأترك من جسدي بعضه شاهدةً للقبر، وأمضي.

وهكذا لم يبق مني سوى شبح بروح نافرة تطل على الحضور، ولا يبصر أحد غيابها!

في الطريق إلى عشبتي صادفت الكثير.. الكثير

رأيت؛ في السماء التي كانت تطبق عليّ فجأة؛ نجوماً تمارس الجنس رأيت غيماً يمر من فوقي حاملاً المســرات، ولا يلقي عليّ الســلام رأيت الصحراء تتحول لـ امرأةٍ فاتنة وتدعوني إلى وليمة جســدها رأيت البياض يهطل من غيم غامض، وليس فيه مطر رأيت حيوانات ملهوفة تركض وراء حفيف ظلي [أنا الشـــبح الذي لا يرى]

رأيت الأسئلة وهي تغدو أفاعي تأكلني في كل حين

رأيت فؤوساً لا تحملها أيادٍ تحفر قبور خطاي

رأيت كل هذا في الطريق، وكنت أراهن على نداء بعيد، حتى أني لثقتي راهنت بمفردةٍ هي: العمر

كنت أســمعه أحياناً بين حلمٍ وحلمٍ مثل ضــوء خافت [كنت أســمع الضــوء صـــدقيني].. كنت أحنّي المســـافة بأثرٍ تركته الجنيات على طريقي، وهي تمر مسرعة إلى أين؛

كنت أتحسس كل صوت ألامسه كي أعرف أن كان هو ندائي الذي يمتصني.

وهكذا نسيت العشبة، ولا أدري كيف صارت نداءً.. هكذا أصبح حالي.. لم آبه للأمر - أن أصــبحت العشــبة نداءً - وبقيتْ تقودني رائحة النداء، لم يكن له رائحة دائماً وإلا كنت وجدته. أيضــا تمرني الرائحة كلما غفوتُ وظننتُ أني أصــبحتُ ســماءً، وهذا الحلم قليل التكرار لكنه يتكرر! إذ لا أحد يريد أن أفقد شهوتي للمسير.

لا تشاكسيني وتقولي من هذا الـ أحد؟ لا أدري.

هكذا كنت، حين مرت في لحظة صــحوٍ جنازة.. تأملت خطاياها، تأملت المشــيعين، تأملت ذنوبها، تأملت نحيبها المهدور، تقصــيت ســلالتها، تقصــيت سلالة الماء الذي غُسلت به.. تصوري كان كفنها مطراً أبيضَ

صرخت: يا ندائي

هل أكمل لكِ كيف اجتمع الريح والغيم والملائكة والـ الله..

[3]

سأكمل يا هدى فها مسعد يقول: أكمل.

وأنا بحاجة لأن أرى دمي وأؤانســـهُ بالهذيان وأنت نائمة في هذا الوقت، ولا يجرؤ الهذيان أن يقول لك استيقظي أريد أن أكمل الحكاية لكِ.

إذن ليســت الغربة يا مســعد، ولم يعد يشــكل المكان اغتراباً لشــبحٍ ليس منه ســـوى روح نافرة.. ليســـت الغربة مكانًا، والروح لا مســـتقر لها، ودعني أذرف الحكاية.

حين صــرختُ يا ندائي بُهتَ المشــيعون، وألقوا بالجنازة على الأرض وفرّوا.. لم يتتبعهم بصري، ركضتُ إلى جنازتي.. لم أكن بحاجة لأصابعي كي أفك الكفن،

كان يخنقني ارتجافي، وأنا أرى النداء [هكذا تيقنت بدايةً مكفناً بمطر أبيض

قلت أغني له، أهدهده، أحتضنه بكفنه..

هكذا ساورتني ظنوني، وارتجافي

قلتُ: هذا ندائي [لم أكن جازماً حينها)، لأَسُدَّ المسالك كي لا تفاجئني الجهات

قلتُ: أرى خلف هذا الكفن بهاءً ينام.. ليس ميتاً

قلتُ: لأقرع له أجراس الحنين ليصحو

قلتُ: أصابعي تداهمها شهوة البياض

قلتُ: هذا مطر يشفُّ عن نداءٍ أراه كزغاريد الأعراس

قلتُ: لتغرِ نداءَك المكتوم بالاختلاج

وقلتُ: يا عرائس الصمت تقدمي كي ترقبي الآمال

وقلتُ: يا جنون الضوء بالمباغتة

وقلتُ...

الحكاية كانت تتسع يا هدى، لم أعد أعرف أيّنا كان يبحث عن الآخر، ولم أعد متيقناً إن كنتُ أنا من كان مكفناً بالمطر الأبيض أم هو! حينها آمنت أن للحكمة آلهة، وحينها كنتُ أجزُّ شبق الحلم من شعره، وأرامل- لا أراهن- كن يصرخن:

تعال نرضعك النسيان واترك شعره

تعال إلى نشيدٍ يرتل سيرتك المطفأة

تعال...

المتاهة شاهقة، ونحن مفتونات بالصراخ

كان ندائي [كنت مرتاباً للآن] أمامي وحيداً، وأنا صرت غيبوبة تجري، وكنت أبرأ شيئاً فشيئاً من ألم المسير..

فارقتُ الزمن -أو هو الذي فارقني– بدأت أستعيد بعض شواهد القبور، وبدأت روحي [خمنتُ] تشعُّ. أبصرتها، لامستها، تحسستُ وشماً قديماً تركته الفتنة عليها حين عبرت بيتنا ذات يوم، هتفتُ حين عرفتني:

ها هي الروح عادت من سفرٍ بعيد.. عادت.. لم يبق إلا القليل، بقيَّ أن أدنو من رائحتها ليتشكل لي جسداً على هيئتي السابقة..

ووقفتُ في عراءٍ بلا جهات [وإلى الآن لا أعرف كيف لعراءٍ أن يتشكل هكذا دون جهات] رفعت ضراعتي لأغوي الكون أن يحضر:

وكانت الريح.

أعرفكِ أنتِ سليلة الريح.. ستقولين: ماذا قالت الريح؟

[4]

لا زلتِ نائمة يا هدى والحكاية تستَعِرُ داخلي، لم أعد أستطيع انتظارك حتى تنهضي من نومكِ، وتشربي قهوتكِ، وتسمعي فيروز «طل وسألني إذا نيسان دق الباب... خبيت وشّي وطار البيت فيِّ وغاب...» و..

فأنا أخوض في لغز الحكاية، وقد تشبَعَتْ بدمي وأنا تشبعتُ برائحتها.. ولا يمكن لمن يرشح بالهذيان أن نقول له هدى نائمة، لا أحد يطلب حكايتك.. وكذلك لا أستطيع أن أفطم دمي عن رائحتها. صحيح أنها تمضي خطوة باتجاه القشعريرة، لكنها تتركني مخضّبًا بصوت عارٍ يشبه نعشاً. لستُ ذواقاً لطعم الأصوات مثلكِ لأقول ما طعمه.. أنا أسمع الضوء، قلتُ لك قبل قليل، وأنا أشم رائحة الصوت.

إذن كان صوتها وهو يغادرُ [لم أعد أعرف صدقيني يغادر ماذا.. أنا أم هي أم الحكاية] يشبه قرآنًا يُرتل على قبرٍ أو لأقُل: كان له رائحة الضحى..

أو: حين رأيتـه آخر مرة كـان عنقود عنـب. دعيني أقرب المعنى: كـان فـاقـداً الوعي.. كان حافياً.. كان يسدُّ الهواء بقامته.. يا الله .. تخيلي، قامته قوس قزحٍ، ويلبس أسوارَ من الذهب.. هكذا كان!

ماذا تريدين أكثر، وقد هرّبت لك جزءاً من آخر الحكاية إلى أولها، هكذا فقط أجازف لأصحو، أجازف ليس من أجل رشـوتك كي تسـمعيها، بل لأن الطريق طويـــــل إلى هنا، وجسدي محموم يريد أن يقول كل شيء بكلمة واحدة لأنه أصبح يتفتت.

أجازف لأن النهار قارب على الانطفاء مرة أخرى، والحكاية لا تنام ومواكب الصباحات مرّتني مكتظة بأناس يقيسـون الليل بأظفارهم وأنا مضرج بجمر يكويني بالفقد، ولا أستطيع أن أمسك الرعدةَ وهي تلجُني كل حين.

هكذا.. هكذا أعود للحكاية، لم أنسَ: كانت الريح أول الواصـلين إليّ، وأنا أتضرّع فوق الجنازة

أنا أرى الريح، لا أحد سـواي رآها، كانت الريح حين حضـرت لضـراعتي تلبس عطراً أخضر

قلتُ لها:

أنا موجَعٌ بإسرافٍ.. يا أمنا

أنا شحوبٌ ينتحر تحت عرائش النسيان

تكدستُ مثل جبال تنهار فجأةً

أسدلتْ تاريخا وثنياً على ما قبل حضورك

اضطهدتني الدروب والعشبة والحلم والنداء والـ..

نهرتني، وحين لم أصـــمت صـــفعتني، بيدٍ كيد بحارٍ غريق. جثا دمي على ركبة واحدة وصرخ:

وسّعي هذه الأرجاء اختنقتُ

شرّدي الكفن عن ندائي [هكذا صرتُ أسميه دون أن أتأكد] أريد أن أراه ملوناً أريد أن أحدق به. أعد أضــلاعه.. ألامســـه فقط.. لتنبجس الرؤى كنبع من الضراوة، أريدُ...

أمســكتْ يدي، وقادتني إليـــــــ. إلى فوقه.. يا ألله كانت رائحته [ندائي] تفقأ غيبوبتي لأصحو، وعرفتُ الرائحة أيضاً، فقد تشرّبها كلّ عمري.

قالت الريح: هذي ذنوبك.. [بهتُّ..] مد يدك واقترفها! كان الصــراخ مدوياً من صــوتها، لم يكن باســتطاعتي أن أفكر، مددت يدي إلى كفنه [المطر الأبيض] بارتعاش يشبه ملوحة عطشى، أو جنونًا بلا ملامح، أو مثل نسيانٍ ممزق حينها كان الفضــاء قد فقد الأبعاد، لم يعد ثمة شــيء ســوى أنا وريح ونداء تحلل من كفنه..

كيف نَصفُ التلاشي؟ كيف نَصفُ الـــ لا شيء؟ حين أتذكر هذا الآن أصير مثل حجرٍ يهوي منذ الأبد وإلى الأبد

حين أغيب في النداء أقول:

لو كان لي جناحان يومها

لو كنتُ أستطيع تحنيط الفتنة

لو استطعتُ أن أزرع اللهفة

لو أني استطعتُ [يومها] أن أخطف الريح من سرِّها، وأجعلها قلادة تتوسطها عين زرقاء. لما كنتُ أسرد لك الحكاية الآن يا هدى.

وأنا - كما تعلمين - لســتُ ســوى تيه على هيئة مأتم.. لســتُ ســوى وحشــة تتسرب لتضني الآخرين.. لستُ سوى متاهة يضرم الآخرون بها النارَ كل فجرٍ، ويمضون

جسدي مهد الجنازات..

تعبتُ من انتظارك.. سأروي لك فيما بعد كيف حضر الغيم.. يومها لم أعلم كيف للغيم أن يحطَّ على الأرض، ولا يتبدد..

أما الآن سأحنّي ما بقي من اليوم بدمعٍ استلفه من تفاصيل لا تبوح بأسرارها..

فقد نشفتُ

[5]

أينك يا هدى أما زلت نائمة؟ لكن حكايتي لا تريد أن تنام.. أريد إخراجها من جوفي لأنها تأكلني.. وأنت ما زلت نائمة، أو.. لم يخطر ببالك أن تعطي أذنك للحكاية؟ فمسعد يلكز الغربة بحروفه لينكأ جرحها.. وأنت لا تمرين، والحكاية لا تريد أن تفارق..

حسناً سأكمل، لم يعد انتظارك يعني سوى إطالة أمد الدماء التي تسيل.

الحكاية كما ترين ملوثة بدمٍ لم يعد مهماً أن نعرف دم من، دمي أم دمها أم دم الحكاية؟ وحين تكون الحكاية لها رائحة الدم سنخجل من ذكر الدمع.

ألم تقرئي ما كتبته عنها، لها، كاعتذار لا يكفي؟

ربما لم تقرئي سأعيده لك هنا:

هذا أنا أيضاً

المسافةُ تأكلني

الغيابُ الذي أصبح بعشرةِ أذرع

عيونُها التي أطفأها الدمعُ

وجهُها الذي أصبح كجبالٍ من الذنوب ترزحُ فوقَ صدري

ضحكتُها التي فتحتْ نوافذها لتطل على الجرح

والتي كانت مثل جيادٍ يصلُ صهيلها للأقاصي

التي كانت تشتلُ اليقينَ

أيتها الحياة كم تعبثين بنا

امنحينا قليلاً من سعة الأفقِ كي نكون نحنُ

لم تكن جزءاً من الحكاية، لألبس عباءة الراوي، وأبتعد قليلاً كي أرويها... وفاطمة تقول أسعفتك اللغة، وأسعفتها.. وأنا أقول ليست لغة، كانت رائحة الدم هي التي تكتب، كنتُ أضع يدي على جسدي لأكتشف أن لا يداً ولا جسدَ، الكل غدا جرحاً ولا أعرف كيف سأخيطه!

للحروف فحيح الأفاعي

للدم شبق بالحروف حين تسيل

وللحمى طعم مكتوم

وأنا أروّض الحكاية، كي لا تدمي الآخرين

لو نستطيع أن نخرج الحكاية من داخلنا دون لغة، لما بقي أحد محصناً عن الدمع.. لما بحثنا طويلاً عن مفردةٍ تروي عطشنا لما نريد أن نقول..

اللغة متاهة لا بوابات لها إلى الجسد؛

كلما حاولت أن أضع يدي على وردة الهذيان تفرُّ، كلما أطلقت العنان للغفلة النائمة تستيقظ. صرت بانتظار مهدهدي روحًا مجوّفة، أعضائي تمعن في سديم الغياب ولا طعم في الحروف.

لم تكن أي عابر، يا هدى.. لم تكن! كانت: أنثى الفراسة وشهقة القرين. لذلك عليّ أن أهدهدها كما يليق بها؛ وستعرفين من الحكاية كل شيء.

إذ حينما لم يبق سوى أنا وريح ونداء تحلل من كفنه، صرخت أوصالي:

ها هي يا ليلاً مكتومَ الأنفاس. وقلتُ للريح احمليني وندائي [حينما تحلل عنه الكفن: كان هو] إلى أي أرضٍ بلا كائنات؛ لأزرع صوتي وينبت مفعماً

بـالاســتغـاثـة.. أنهب الشـهوة من البراعـة البـاهرة.. أريـد أن أتلو نـدائي على السحرة ليتعلموا السحر.. أريد نصف إغماءة لتغدو المخيلة جنّاً مخبولاً.

ونادتِ الريحُ على الغيم: أن احضرْ

تكورت كل غيوم الكون على شكل طائرٍ لا وصف له، وحط بقربنا. ياه يا هدى لم أرَ طائراً هكذا بلا شكل ولا لون ولا جسد.. قال الطائر:

بجانب الجنة نهر للاغتسال.

الطريق شهوة؛

والضالون أنبياء لا زمن لهم؛

المطر غبطة العطش، والنداء صوت برائحة اللعنة؛ تعلّم أن تداريه؛ تعلّم أن تكتنز رائحته؛ تعلّم أن انتظارك له كان مكمن اللذة؛ وتعلّم أن الفراق نجم في سماء لا تراها الآن.

تعلم المشي فالطريق يبدأ الآن... والنداء بلا أقدام

لم أفهم شيئاً، صدقيني، حينها قلت له:

أليس ندائي بوابة للعبور؟

أليس ندائي تميمة الوقت؟

لم يرد، وضـحكتْ الريح وغابتْ. قلتُ: احملنا يا طائر الغيم. همهم بالمغفرة، وقال: لا أرض لك وحدكَ، فكيف وقد أصبح نداؤك يغويك للأعالي.

قلت: أنا طعنة الحنين.

وكنت رغم اختلاط المشـاعر، ورغم ارتجافي، ورغم إحسـاسـي أن لجسـدي [الذي بدأ يتشـكل] قلب يدق.. قلب من الريح قلب سـليل البروق. ياه حينها بدأت تنبت للآفاق جهات.

كيف لكل هذا أن يغادرني يا هدى، وأسـتطيع أن أكتبه كيف؟ سـتحزنين لذهاب كل هذا، وأنت فقط لا تعرفين إلا الحكاية، فكيف لمن ولدته الحكاية!

واختلطت به بعد الولادة ليصبحا كائناً واحداً؛ أن يبكي! ويكون بكاؤه مجرد دمع!

قلت: يا طير الغيم احملني، ها قد أصبح هناك جهات. قال: أي جهة تريد.

قلتُ: الشمس يا سيدي.. ضحك.. ضحك..

قال: إلا الشمس. ولدتَ من رحم الليل، وتناسلتَ في الظلمة، فكيف تريد الشمس؟

قلت: يا سيدي أفهم هذا لكني تعبتُ؛ لم أعد أبصر شيئاً، وتعرف أن بصري دليلي فكيف أسير؟!

قال: سأحملك ونداءكَ، لكن للشمس هيهات.!

قلت: خذنا إذاً لأي الجهات تريدُ.

يا ألله، تخيلي أخيراً سمعت ندائي، وكنا على ظهر الطائر الغيم سويةً. وأنا أضرمت الليل بكل سمائه، وصرخت من على الطائر الغيم: يا نهاراً مؤجلاً لم أعد عابر سبيل.. تعال لأرى وجه ندائي.

حضر النهار، ورأيته، رأيته، من يرى وجهه في النهار كيف يحتمل غيابه؟

أنت لا تمرين حكايتي، وأنا أريد أن أنام لم يعد بي من الحيل ما يكفي كي أغادرها قليلاً، ولم يعد بي ما يكفي لأصمت، ولم يعد من جسدي شيءٌ إلا حكاية تأكله..

وأنت نائمة.

[6]

كنت أوشك أن أغادر الحكاية يا هدى، حين قمتِ من وردِ نومكِ... كنت أوشك أن أحرق ما رويته لك لأجفف دماءً كثيرة تسيل.. وها نحن نضيف للحكاية بعداً آخر.

ســـأظل أرويها لك حين تنامين.. وهكذا حين يغادرك الليلُ، تجدين تحت وســـادتك قطعة من الحكاية.. لكن حاذري: لا تؤكل، خذيها وانشـــريها في الشمس زاداً لأيامك القادمة..

مسـعد يقول لي: أنت عاشـقٌ أو تغادر عشـقاً. قلتُ: إني أنتعل الخطى لأؤدي الفرائض.. أتلو الفيض كنصـاعة تسـتدير وتجفف بكاءَها.. وصـديقتي التي كنهار يحترق تقول لي: لم تعد الحكاية ملكك، عليك أن تكمل لنرى فتنة الدم.. وســـوزان تريد الحكاية لتبللها بالماء، وتصـــنع منها كتاباً يحمله العابرون إلى نومهم.. وحامد يقول: امضِ كالأنبياء.. وســـتتمتم دلع غاضـــبة: ألم أقل لك استدر.. وكف عن هذا الليل الذي تلونه بالدم..

وأنا أوهنتني الحكاية، أريد أن أخرج منها إليّ.. ولأجلك فقط يا هدى ســـأفتح أبوابها مرة أخرى، وألتقط خزائنها من الغيب لأمضي..

أخضرَ يزاحم أفواج الحلم

غير آبه بسلالة المنفى

أحمل الفوضى في صرة خرساء

وأدعو يد الله إلى وليمتي لتشاركني النحيب

وأسألها ألا تجهض طفلها الذي نما كلهيب صلاة

وستغار منه الأكوان

لســـتُ مغرماً بالعبور إلى أولي غير أني أتلوه وأعلقه كالتميمة على باب الطريق...

إذن يا هدى.. والتي [لصـــوتها رائحة قبو قديم] والتي بكى على نافذتها طائرٌ غريب ذات يوم..

حملنا طائر الغيم.. قلت يا طائر الغيم خذنا إلى الجهات.. ودعوتُ النهار من عليه أن تعال، أريدُ أن أرى وجهه [ندائي].

حين حضـر النهار كانت تغطي وجهه الندوب. كان مسـتغرقاً في تحسـس يده المبتورة. كان مخموراً. كان يدخن لفافةَ تبغ لها رائحة عمياء..

قلتُ: لا تقربنا.. لا تقربنا.. يا نهار الفجيعة.. على وجهك بثور الجدري، ورائحتك...

كنتُ أحسبكِ مثل العراء لا يزينه شيء. كنتُ أحسبك صوتاً فرَّ من فردوس لم نره. كنت أحسبكَ..

همهم بالضحك، وخرج الكلام من لهاته: يا أحمق كيف أكون كل هذا وأنا وريث الليل؟!

بدأت تنبت الجهات [كما أخبرتكِ] والطائر قال: إلا الشـمس.. وقلت لك أن النهار كان أعمى فلم أرَ ندائي الذي أمامي...

وبينما نحن في فضـاء نبتت له جهات، صـادفنا سـرب من طيور الغيوم.. فرحتُ.. اصطدم السرب بطائرنا فحدث برق كثير.. ولم نحس أنا وندائي إلا وأصبحنا مطراً، وبدأنا نسقط باتجاه الأرض... صرنا مطرًا يا هدى، ولا يمكن وصف شعور المطر، لا يمكن لكائن أن يخمن شعور الطيران، فما بالك إذا كان هذا الطائر مطرًا!

أنا ممسكٌ بيد ندائي وأناجيه كي لا يبتعد:

ها نحن ورثنا الحب من السماوات المبجّلة [لم تكن هناك سماوات لكن ماذا أقول: من الفضاء؟]

سنكون ماءً ينير الصباحات المكتظة بالإغواء

نحلق؛ ولسنا في الغيبوبة

لأننا مطر لن تتبعثر أشلاؤنا حين نصل

لأننا مطر سنروي المسرات

بربك، بعد هذا كيف يكون شعورك لو قالوا لك: هاتي النداء فـ«الحكاية شحيحة لا تكفي اثنين»؟

حينها سيعاد تشكيل الهواء سيوفاً

ستكون الأرجاء جيوشاً، وأنت العدو الوحيد

سيتفسخ نهوضك، وتصبح الهاوية كأساً، ويصبح الصراخ يداً تتحسسك

آه أشعر أن النظرات المحشوة للزمن ترمقني بنكباتها

أن اللغة معقمة بلا رائحة

وأني مثل نسّاجة تنسج اليتم، وتفكه كل صباح

أشعر...

حين ترين هذه القطعة من الحكاية تحت وسادتك في الصباح، افتحي النافذة، دعي الهواء يمر، ودعي فيروز تغني «بكير طّل الحب...» واشربي قهوتك

ربما بعدها سأروي لك كيف وصلنا

[7]

هاااا إذن هدى تسأل متى؟ ألن تكمل نواحك أيها الغريب؟ وماجد هنا.. وأنا أنقّل رسالةً له قالها ذات ليلة موحشة كوجهي «يبدو أن الحنين لعنة الغريب / وأنت كما عباد الشمس / تستدير دوماً نحو الضوء..»

إذاً.. الحكاية تتسع؛ الحكاية تتشبث بجثتي؛ والحكاية نخلة العابرين. ولا أعلم يا ماجد صدقني إن كان الغريب فاجأه الوقت، أو فاجأه سؤالك ليجيب! بينما الزهيري يريد أن تظل الحكاية دمعاً لا تجمع أشلاءه الوجوه..

قبل أن نمضي في الحكاية يا هدى عليّ أن أتذكر

أذكرُ أن الشاعر قاد البرية من أطرافها لتدخل عظامه

أذكرُ أن النسيان كان بلا وجه

أذكرُ أن الماء كان يقود الجروح كي ترد المآتم

أذكرُ أن اللذة كانت عاطلة وتنتشل غفلتها من جيوب الحرس

أذكرُ أن المفؤودين كان يتناسلون دون أرحام

أذكرُ أن المخيلة تزوجت اليابسة

أذكرُ أن الأجوبة كانت تتعفن كلما التفت إليها السؤال

أذكرُ أني كنت بين أنا وإليكِ

هذا ما أذكرهُ... لكنني نسيتُ أين تركتُ الحكايةَ؟

تناقل عابرون أن لها ذرية في كل بلاد. وقال عابرون أنهم رأوها على شكل فرس تهيم في ارتجاف الفتنة. وقال عابرون أنهم شاهدوها بلا ملامح توزع ممالكَ هشة وصغيرة كالقلوب. بينما روى حفاة [وأنا دائما أصدق الحفاة] أنها كانت تسرح بقطيع من النشيج عند أطراف القلب!! والقلب أصغر الجهات..

ونصحتني الحكمة بباب العرّافة.. إذ جريت إليها حاملاً بخوراً من شهيق البياض، قلتُ:

أيتها السادرة في شرود البصيرة

أرى أن الهواء لم يعد يسترُ الصبرَ، وحصاني أضاع صهيله، وفاضت شهقة الفراق كليلٍ أزرق. أريد أن أخّر الآلهة كي أرمم العطش.. العطش أصبح كل أطرافي؛ العطش لساني؛ صوتي؛ متني؛ العطش ساقي

أريد أن أستدرج الماء إلى مواطئ قامتي

لن تصدقي أنها قالت: أنت تتنزه بالرحيل، وتلهو بنشيدٍ نُسيَ عند مرضعات النهار. مهدك النسيان فلا تفقأ عين الحكاية كي تبصر الدنيا. انثر الغياب في كل أرضٍ حللتَ، ولا تذق القرابين..

هكذا إذن، فكل ما أفعله الآن هو طعن ما يتلوني، وإلهاؤه بدمه كي نظل مطراً [أنا وندائي] لم يطأ الأرض. أخاف ألا يكون هناك أرض. خائف صـــدقيني، إذ ربما ليس هناك أرض، كيف ســنصــل؟ ســنظل مطراً يهوي بلا علامة فارقة، وسنظل أسرى تيه لا يرحم و.. قَدِمنا من علوٍّ بعيد

وسـنظل عطشى، ونحن مطر، وسـأحتار كيف أكمل، وأنا في كل هذا! إذ حين قلتُ:

لأننا مطر لن تتبعثر أشلاؤنا حين نصل..

لأننا مطر سنروي المسرات..

كنت أخمن الزمن، وكنتُ أخمن الوصــول، وكنتُ.. كنا المطر الذي هُدر منذ بدأ الحكاية، ولم يكن يعلم أين يمضي..

هل لكِ أن تجدي لي حل ما سـنكون؟ إن كان هناك أرض، وكان الوصـول إليها مطراً حافياً

هل سيعني هذا موتُ الحكاية يا هدى..

حينما تفتحين نوافذ الصبح تجدين أن الحكاية تختنق تحت وسـادتك عليك بها.. اتركيها.. أوقدي لها النهار.. أو...

[8]

الذي أتقنته الخسارات، لا يتقن النحيب.

تنهض له الخســارات في كل دربٍ يمضــي بها أو تمضــي به، يتأملها وينحني لها كغبارٍ وســمته الهجرات. يتقوس على حلمه ليجد أنه يحضـــن هواءً وأنيناً مكتومًا. تلدغه الخسارات، فتنحسر مخيلته عن بهاءٍ طاعن في السن.

يلتفت لمنافذ الشمس، بأنامل كممها القلق، يهفو لملامسة الوجوه، يرشق السكينة بصرخة حادة كخنجر؛ ويمكث في مدار ضيع أزمنته.

أحلّ وثاقي كي أتقن المنفى

أمسكُ بقدمي المسافة خالعًا نعليها

وحافياً أرفع فطامي:

أيتها التقطر سراً تذوي له الأعناق؛

مالك تحرقين رجلاً أعزل وشمته المنافي لتستدل عليه.

كنتُ أقرأ العراء محشوراً في دمي، وأطرد اللهاث كي يقودني النوم برهة.

امتحنت كل شبر في لبِّ الأفق لأرشو القشعريرة بصمتي.

خُطتُ كلام الله ببعضي لأصنع رداءً يقيني الخسران.. غير أن الهتافات سممت الضوء وهو يلد في فنائي

لست رجلاً للحلم

ثغري يقودني للمعصية

وجسدي حنطة نُسيت في «الجفور»

وراحتي مغارة الخاسرين

آه يا كلّ هذا..

مثلي مثل خلق الله.. أشتاق.. أتغزل بقوس قزح.. أستظل بالأشجار.. أشرب الماء حين يدهمني العطش.. أرتل أغانٍ على هيئتي، وروحي ليست بمنأى عن الريح.. غير أني دائما أُسفح كماء الجنابة مخذولاً، ووحيداً، وتتشربني أرضُ الخسارات

ما كانتِ الخسارة أمي

وما كنتُ نبياً كي تكون رسالتي

ولم أكن أعمى كي لا أبصر الفداحة وهي تقلم أظفار قلبي

شـــاهدت محبرة الريح تدونني، وشـــاهدت العابرين يملؤون جرارهم من دمي وهو يسيلُ

وشاهدت الأمهات ترفو قامتي الممزقة ليسترن دمي

صوتي يتخثر في دمي كلما هممت أن أنادي المغادرين:

يا ربَّ القســـوة لســـتُ رغيفاً ليأكلني كلُّ من همّ بالغياب. لســـتُ «غرغرينة» بأطراف الآخرين كي يعاجلوني بالبتر. لستُ بوماً فقد الليل وهام على رؤوسهم. وليس لي معجزة كي أردم المسافات التي تتوالد بيني وبيني.

لستُ

سوى انحناء يلم التفاصيل، ويطرد الرؤيا هازجاً: نبوتي يومَ يهبُّ من مستنقع الأموات. قُبلةٌ تستر جسدي. سلامٌ غائمٌ بالعطر يهيّج فتنتي بالحياة.. ما طلبت الكثير لأحتفي بجثتي، وأنهض هازئاً من خراب الكآبة

تباغتني الخســـارة دون موعد، تجفل أطرافي مني، وتأخذ صـــوتاً تخثر.. كيف أقول لها باغتّني أيتها الخسارة؟

أنا مرآة الشحوب

ظل النكبات

قِبلة لصلاة يابسة

لم أجد من يحمل حلمي غير مشـــهد يولدُ.. يتكررُ.. وأظل أبحث في قلبي عمن مثّل بدمي

أُثقله بالسـؤال، فيحتضـر المشـهد، والمتفرجون، وأبقى وحيداً بلا مسـرح أو جهات..

أنتحي لائذاً بظلي

أطوي الظلمة في صرتي

وأمضي...

ما كنتُ غزير الأحلام

ما عشقت الدم يوماً.. حتى أني أجفل من مرأى الدم بعيداً..

لم أقف مثل أقراني وهم ينظرون إلى شــاة تذبح ليبتهجوا بشـخيب الدم. لم أجرؤ يوماً أن أمد سكيني إلى دابة أو عصفور. ألهذا صار دمي مورد الراحلين!

أنا من يسمم الهاوية

أنا من تسرح في مخيلته الفجائع

أنا من تتدلى من جبهته فتنة التضرع

وأنا من لا ربَّ له

ضـيّع حكايته، ونسـي أن يعد على أصـابعه سـيرتها. أين وصـلنا؟ هل تلقفتنا الأرض؟ أين هدى؟ أيها العابرون...

أرجوكم دعوا لي قليلاً من نهاركم، فقد هرمت شـمسـي. قليلاً من الحلم، قليلاً من الأنحاء، ولا أريد شيئاً من الدروب. وأرضى بقليل القليل من خبزكم.

كان أبي يقف ضارعاً في المساءات:

اللهم لا تكشّف حسبي.

لم يكن ثمة ربًّا في الأعالي فأكلتني الفَاقةُ، وها كلي عارٍ في فضـــاء الربِّ. ألا من يسترني ببعض دمع، فما عاد دمعي يكفي لأكفن الراحلين!

[9]

في المنفى كلُّ شيءٍ جاف إلا الحنين، فهو مبللٌ دائماً.

هكذا لم يستحْ حامد، وهو يدميني مرة أخرى برفع هذا النواح من حُفر الغياب. ربما لم يعرف أن هذا النواح قدَّ من دمٍ. وربما لم يعرف أيضاً أني مُذ كتبته لم أقرأه إلا عندما رماه بوجهي.. وربما لا يعرف أني أنسرب نحو داخلي، أقلب حلماً نما هناك، حتى تحولَ أفقاً، وأنا أقرأ هذا النواح

إذن يا حامد – وقد غابت هدى ولم يذكر عنها الغائبون شيئاً -تعال نقلب القشعريرة التي ترتجف كلما اقتربتُ من صفحاتها وهي تدفع بي إلى عتمة تتحرش بالذاكرة تعال وهات سكاكينك لنذبح المشهد:

في شارعٍ يزدحم بالوحشة

في شارعٍ يترصد الغرباء

في شارعٍ دونما شفقة

رأيتها/ا

أخرجتْ ثديها من تحت فستان الكلام

نادتني:

تعال

نهدايَ ممتلئانِ بحليبٍ مخبئ منذ آدم، والعرّافة قالت سيمر فتى خانته الطرقات يمشي حافياً كعراءٍ أبرص، يجاهدُ كي يَصُبَّ ماءً على يدي النهار.. إن رأيتهِ يمجد السماء، ويؤذن للطير كي تصلي فها هو.. أرضعيه على الملأ.

اقتربتُ ببراءة اللغة، حللتُ وثاق لساني: صرختُ..

تلقفتني أيادي اللهفة، وخاطتِ الكلام إلى حنجرتي.. كي أقول لها:

يا حلماً يأتي على غفلة من النوم والصحو

يفتح نافذة التخيل على شبقٍ أخرس

عيناي تنبضان بشهوة الرؤية

والعتمة نخرت عظامي

داري هذا الارتجاف فيَّ، فقد ورثته من قومٍ حفاة

مشّطي ليلي بمباغتةِ ضوءٍ يرتجف على نهديكِ

ها أنا قوس قزحَ مضرج بالهتافات، أرتمي عند أصابعك، أعرّش هناك كاحتفالٍ لم يحضره سوى الهواء. يقيني يذوب ويغمض متاهته في جمالٍ لم تسفحه الخيبةُ

هييه.. ما الذي أخركِ حتى هزمتني الرايات؟

وكانت على غفلةٍ من الزمن تُرضعني ضحك المنافي

وكانت تراود روحي نحو الماء

وكانت تضرّج الحنين بحضورٍ مُحنّى الكفين

وكانت تصفق لقامة من عسلٍ وبخورٍ أن ادخلي...

وكانت تهتف للقصيدة أن لاطفي هذا العابر العاري من أشلائه.. غني له كي يلمَّها من جهاتٍ بلا يقين

استدلَ الكلام إلي فقلتُ من! أنثى الفراسة..

يا البلاد التي أبحرت تطلب مغفرةً من البحر

يا الغرنوق الذي استدل على رائحة النهر

يا اللواتي تحضرُ مرصعةً بممالكٍ عامرة

يا موهبةَ الحبِ والنهار خذيني لأعرف أن العالم أبصرَ الفتنةَ وثملَ، دعيني أعلّم النار كيف تروي الذهول. أجثو على عتباتك أمشط الحلم.

وهكذا يا حامد هكذا باغتتني السنين فجأة كلها.. وما عدتُ أدري كيف أشرب كل هذه الشهقات المبللة بحليبها.

[10]

كانت النافذة تقول للمساء:

خلفي غريب يأكل وحشـــة البيت «تحول أيها المســـاء إلى ســـنونو واحمل له جوهرة الفرح كي يرى الدنيا».

لم أدر هل أصبح رملاً أم أتوكأ على الغبار؟

أحمل فصلاً خارجاً من الليل. أدفن خطى كالحة. أطوي الصبر تحت وسادتي، والتحف نداءً، كي أنام

الأقدام الخائفة أضاعت الطريق

وقامتي تغسـل وجهها من ندوب مذعورة.. لا أسـرار لدي أيها الغرباء مثلي.. كل ما لدي أنني أهوي إلى أعماق أهندسها على هواي..

لم أســـأل أحداً منكم لمَ هذا الانتظار طويل؟ لمَ قلبي مســـتوحش كأن مفازةً تسكنه..

لسـت على عجلٍ من أمري، لا تردوا.. ولا يهم كذلك أن ينسـاب دمي جحيماً أو جنة أو أرسم على وجه العالم خطوطاً من الرؤيا المغمضة العين.

لا أريد لكم، أن تتصـاعد حمى الغربة وتتلف الأبواب. تعالوا نرسـم تفاصـيلَ صـــغيرة، ونســـأل الريح عمَّ تعنيه بنقل أغنية حزينة إلى بلاد الثلج لتدمي الغريبة..

تعالوا نســـأل المآتم لم لا تخبئ نظراتها، وتترجل عن أروحنا؟! فما كل روح تشتهي النواح، ولا كل روح تلهو بنار الدفء حين تجف المسافة أو تستطيل.

هذا شجرٌ لكل عابرٍ: والنواح شجر الغريب.

أيها المثقلون بخطايا أعياد تمر دون ناس. تمرّ دون أن يصــطدم أحدنا بطفل صغير؛ دون أن يقول لنا أحد:

ما بال الحصى يثغو

ما بال أرجلكم أضاعت الطريق

ها هي الريح حاسرة الشعر. تمرُّ، وتلكز خاصرتي كي تذكرني بأغنية نسيتها هناك..

قال الحطّاب: منجلي لا يحصد المسافة. وقال السائلُ: لا قدح لدي كي أرويك من عطش الأيام. وأنا في آخر الليل ارتدي قميصاً يختلج كأنه قلبي هل يصبح القلب ثوباً؟ وما يدرينا أن قلب الغريب ليس رغيفاً تأكله الأيام!

شاخصاً إلى ربٍّ لا يسمع المنادي، بعيون مطفأة وأكفٍ دنت من قبرها، وبخطى موهنة أسأله يا ربَّ الريح: كسرة من الضوء فقلبي انطفأ، ونهارك لم يعد يزورني.

هذا حليبنا أيها الغرباء، وهذه شفاهنا تدنو من الماء فيصبح عطشاً مالحاً، وهذه الدنيا تضيق. ولم نعد ندري إن كانت ستتسع لأدمعنا فقط؟

أيّها الغرباء كضوء فقد نهاره، كليلٍ لم يعد به من الظلمة شيء، كعالمٍ خالٍ من الألوان، كفراغٍ يحصدنا بمناجل المشيئة.. أعينوا الغريب كي يدفن أيامه، فقد فاضت رائحة جثة حكايته.

تأخر الشتاء قلتُ لحبيبتي.. ولم تنتبه أن شكلي كان غباراً، وقلت أريد حضنك أيتها الصوت البعيد، ولم يكن لشهقتي تاريخ، ولم أكن أفتح المرايا على شكلٍ بشري له ملامح الصليل.

عندما ألهو بالبعد كطفلٍ ضيعه أهله وحمله عابرون أقول:

من يجفف هذه المسافة؟ من يجرح أغنية عابرة كي أرى دمها، ومن يطفئ الجنون؟

هل رأى أحدٌ منكم مساءً يصغي ليتيم

هل رأى أحدكم هواءً يسكن دمعة

قلت لكم إن الهواء جدُّ الشهقات. والشهقة تصغي دوماً للحكاية. وإن المسافة مأخوذة بمسافحة الغرباء

قلتُ لحبيبتي: المسافة تتسع، وأريد كتفك

وقلتُ في رسالة لم تصلها: أريد فصلا خامساً هناك من سرق الفصول مني!

أيُّ بوابة سأعبر، وأي طريقٍ سأختار، وأي ذاكرة ستأكل مني؟

كنتُ أحمل رسائلي، وكنتُ أهذي في ليلٍ لا ينام

كلما شردت السماء، تتخثر المجابهة مع النوم

كلما سادت الجثث، وهنت الأرض

كلما فقدتُ الذاكرة، ولدتُ من غيم لا يمطر

كلما..

انظروا لهذا الغريب الذي قالت عنه النافذة: يا لحماقته إنه لا يعرف الغناء.

بكيتُ فأنا أحب.. وتنحرني المسافة.

[11]

لن أغادر التفاصيل. وإن ماتت الحكاية ونقرت جثتها الطيرُ. وإن هَرِمَ العابرون.

سأدوّن الخراب على بابي كاِسمي:

يداك طفولة النجوم وأنا شاطئ بلا معنى أتقن الأشباح، وأهدهد الكلام المنصوب مثل فخاخ، وأهترئ في أذن من يسمعني، أباري العذارى في سباق الفقدِ كي أرث الظن.

أتذكر أن النبي همس بأذني يوم ولدت: ستكون جرحاً لمن يمر بك وستكون تلويحة لا تسكن.

على مدخل أنفاسك أقف، وينهرني صمتك، وتقولين: طالما تقف هنا فلا حاجة بي للهواء.

أعقد صداقة مع الماء كي تتسرب أرجائي إلى غزال يخاتله الصيادون. اقنع الساحر بمهارتي في تحويل الجنون إلى مخلوقاتٍ تنز من خاصرتها الدماء. أقنع المنجمين أني كنز تتبرأ منه أطرافه. سأقول لكم خفايا هذا العام:

1. سينام العاشق بلا خبزٍ، ويحتسي أخلاط المجازافات.
2. سيصاب رجل في آخر العالم برمدٍ في عينيه اليسرى.
3. في مدينة على ساحل البحر ستتعرى امرأة، ولا ينظر لها أحد لأنها عمياء.
4. سيموت رجل بفضيحة توشك أن تلون الليل.
5. ستفقد صوتها، ولن تستطيع حينها أن تنادي: حبيبي.
6. صياد ماهر سيصطاد الوقت، ويطبخه بريشه، فيمضي الناس دون تواريخ، ولا يستدل العشاق إلى مواعيدهم، وهكذا سيذبل الحب.
7. ستخرج امرأة للعالم، وتقول أنا الجنة، وكي تدلل على صدقها تلبس صورة «شكيرا».
8. سيضيع مفتاح باب المغفرة، وهكذا سينام الناس مثقلين بالضغائن فيهجرهم النوم.
9. ستغلق الحانات، وسيحتسي السكارى حسرتهم في شوارعَ فرعية، وللمفارقة يثملون!
10. سيستعيد الخراب سيرته، ويتلوها كحكواتي في مقهى يجتمع فيه العالم.
11. غادرتني الشياطين، ولم أعد أتلقف شيئاً.

[12]

صــدّقتُ جنية عابرة قالت: نم. اصــنعْ من النوم ثوباً لقصــيدة ســوف تأتي كالحبيبة التي تنتظرك.. وفي النوم عبرت بوابات العالم، وشــاهدتُ أيامي مباحةً لرؤوسٍ تنحدر نحو ثمرة محرمة، وتأكل من هواجسها.

قلتُ: الأيام لا تعني موتاً ينبعث من ســديم مجاور، ومضــيت كرائحة خفيفة لم يشمها أحد..

يا أصــدقاء الفتنة تعالوا نؤوي الطرائد؛ نتخابث أمام الحزن ونصــدر رائحة مرنة كي نربكه. نرفع أســوار المجازافات عالياً ونتيقن من الرؤيا. نروي اللهفة لظلٍ لم نره. نســرد قصــصــاً غابرة تورث إغماءة لأطراف النوم وهي تتحســس أصابعه. نخلص أنفسنا من براثن الأسئلة. نغرر بالضحك حتى يحسبنا ثوباً له..

كانت محاطة بسديم يورق كشجرة أمل

كانت تقود دمي مشعاً

كانت تزن رائحتها

كانت تزين مشارف الأفق بالرنين

كانت تساوم دمعتي ألا تنزل

كانت تخطو لتنزع رداء المدن، وتختلس النظر لنشــيجي.. وكنت أرقب صــوتها وهو يصــلي، وكنت أخشــع في بكائي، وأُصــدر همهمات تناجي ســماءها بلغة معطوبة الصوت.

يا لهذا البياض الفاجر قلتُ. ولم تنهي صلاتي ولا دمعي من أن أشهق وأنا أرى الله فاغراً فمه، يريد أن يصمتني بمشيئة الموت..

سأتحايل على الله وأسدل التبتّل على ما راودني من ظنون، إذ أني لوهلة قلتُ لا شك أن جسدها مرآة للضوء وقلتُ في سري: المغفرة تنام هناك وتنهب اللذة..

راودني الاغتسال في ريحٍ تنبعثُ من صوتها وتنشف غبطتها يا قرينة المصادفات، المصابة بداء سمّاه الأوائل عطش الخمر للناس، تعالي:

أيتها الحنجرة شقراء الصوت، والتي تجفل منها ساعة الذبح، وتغير جلدها

أيتها المغسولة بالأفق.. الـ تباغت الطائش بمطرٍ فادح البياض

أيتها الـ تقود الكائنات إلى ظلها الباطش

أيتها الـ تنهمر من أعالي البروق وتظل ممسكة بأهدابها

أيتها...

قولي: أنا نهر تستقي منه السماء ماءها، أنا تفاصيل مُخبّأةٌ في صرة الزمن، أنا فتنة تنام في أزرقَ لا يسعه الهواء، أنا...

لنهدي يُسفح الدم وتنفجر حروب الليل، لأردافي رائحة اللوز وملمس الشهيق، لجسدي ليل يتعطر بالشهوة ويهتف للأقاصي. تعرّي وتعالي.. إلى لعنة السبي. تعالي.. توحّلي ببياض يرتجف كأنه يستنشق العطش من رائحة الماء. قولي:

لا تقرع الأجراس يا وريث البراري لا تقرع الأجراس، فأنا خائفة من وداع الصوت

خائفة / أرتجف من كل وداع، لكن رائحتي لن تغادر دمي حينها وسأرمي الراحلين بلعنة الدهشة، وأنام في نزهة بياضي..

ها أنت تسمع البارحة، وتفيض بحزنٍ شاردٍ من صبره

ها أنت تنهل من غيبوبتك أحصنة لتغازل المسافات وتمضي دون بهجة الحب.

ها أنت تحصـي الموتى، ولا تفكر كم أبيضـي زعفران، وكم هو حضـن، وأنت تبكي، وتسمع البارحة.

اِغمد النص الذي يؤرقك واستمع لـ «هذا الحلو كاتلني ياعمة» فلرؤيا جسدي يتوقف المتقاتلون على بلاد الله وينســون جنته. فأنا ريح تتســع وتُفتح لها كل الأبواب المغلقة أو تشفُّ لتراني.

لمَ تحمل هذه الذاكرة التي تكفنك بالنواح كلما قرصك ثلج لم تره منذ سنين وكلما صادفك الورد تستحم بدمعك وتشهق برسائل لا تصل.. لا تصل.

لا ذنب لي فقد توغلت في دمعٍ ينهمر فجأة كلما شــجني ضــوء الفوانيس وهي تنادي الحرائق - ملتاعة - لتخرج من جسدي.

لا ذنب لي؛ وقفت أمام راهب الوقت، وقلت له يا سيدي مرآتي انكسرت وأريد أن أبصــر صــورتي في النهار. أريد أن أنظر في المرآة إلى الشــبق الذي ينزُّ من جسدي كلما استدعاني الحزن إلى مملكته

و «الــبارحة» يا سيدي [هاجت أشواق العمر كلها البارحة] وكان ليلي جريح.. وضمدته بالنوم

قال: الكواكب مضـيئة.. لكنها مضــنية.. ابتعد عن الشــمس.. ولا تتســاقط في درب امرأة لا تمشي على الأرض.

وقال: ليس للبرق حوافر كما قال الله

وقال: لمَ تسكن في برزخ الاِحتمال ولمَ تمضي في جاذبية الضوء؟

وقال: الحكمة مربط الأقاصــي وما لجرحك من داء ســوى ســم المتاهة وهي توزعه هناك..

أريد يدكِ؛

تضــمدني من معارك الوحدة. رائحتك تطوف بي وأنثال مباغتاً قواميس العشاق بمفردة جديدة. أريد أن عيني وأراك تهمين بقبلة غافية لجبيني.

أريـد أن أبـالغ في النســيـان كي لا تتفتح جروحي وهي تركض خلف غيـابـك ويضيعها الأثر مراتٍ عديدة وتعيد الحكاية من أولها.

خـذي الأرض كلها وهـاتي أثراً لضـحكتكِ، تركَته حينما هبطت على الأرض مصادفة.

خذي ما تيسـر من ظلالي التي كنت أخزنها في قبو كنيسـة بُني فوقها مسـجدٌ؛ ولم يطلق أحدٌ فيه نداءً، ولا يمرّه مصلون..

أتوارى في الاهتلاك

أنقذ العري من أسمال الخرافة

أشعل شمعة التمني

وأمضي صباحي مع البارحة.

[13]

أيتها اللون الذي يبدو بعيداً مثل جبلٍ حاسـر الرأس.. البلاد تبدو صـغيرة والطيور سرعان ما تتبدد، وأنا أتصاعد كفقاعاتٍ نسجها السراب.

الحياة تنساب إلى أزرقها

الحياة المصقولة كرملٍ نائم في الهوينى

الحياة التي بريشٍ يزين جسدًا لم تصنه الرغبات..

كان العالم صـغيراً بين يديك لكني كبرت دون أن تمرني الحياة.. وها أنا حين أمد سجادة النشوة لأصلي.. أضيع القبلة.

أرى حصوناً تشيد أمامي، ولم أكن يوما فاتحاً، ولم أعرف يوماً كيف يحملون السيوف. لم أعرف كيف كانت السماء بزرقتها تتوافد إلي كي تقول:

انتظر

هذا ليس فناءاً أخيرًا

وأنت تتطفل على الخلســة كي ترى الحياة.. أما آن لك أن تدرك أن الحياة لا تفتح أبوابها إلا لمن تشاء، وأنك ستظل تمضي في دربٍ لا ثغرات فيه، كي تنفذ إلى المكان. المكان ينأى، والطيور تعلو، وأقدامك تتورم، وأنت تمشي و«تلحقك الفصول».

اِعلمْ: الضوء قابل للابتكار لكن لا تنسَ أن تفتح عينيك لترَى

أَعَلمُ. لكن الأعمى!...

برصانة المهاجرين تكتب تاريخاً لن يلتفت له الدارسون. ولن يدخل في مناهج أي بلاد. برصانة الموت تمضي في أزرق الحياة و... بخفة المراهنة تضيع الحياة تقول:

هذا النداء

ضيّع كل الأصوات

اختزل الجهات

خلط السماء بزرقتها

وخلط الأرض بأبيضَ بعيد

وأنت تتحصن بروحٍ شديدة، وتجفل من ليلٍ عملاق كأنه برابرة يأكلون الأرض.

النهار ربيع التكهنات

وأنت لا تجد سوى دمعك لتصنع منه بحراً لسفنٍ معطوبة

قل لي: كيف تستدل على الجزر وأنت ولا تعرف اليابسة؟!

كيف تشتري المشاعر المكتظة بسحر نهود فاضت بحليب لم يشربه أحد؟!

كيف تهرب من الوشم الذي يلاحقك وأنت لا تمشي؟

تمتدح الحكايا لتغرق فيها. تنشّف قلبك بأغنية يدسها تحت وسادتك الليل، وتحتفي بجسدك بنظرة تخطف الغابات و.. تحلم بالشام

والشام بلاد

الشام ياسمين غادر الرائحة

والشام لم تعد تسمع غير صوت الغياب

والشام قلب يتهاوى على مفارق الأصقاع

والشام مقابر لم تجد أرضاً فبنت موتها في الحنين

وأنت تصنع من الليل شاهدة لها وتقول ما زال هناك سماء زرقاء تعلو..

وعليك أن تتعلم الطيران لأن أقدامك بُترت في هجرتك الأخيرة.

قلتُ: عليّ أن أحل المسألة.

سأسمي السيدة البيضاء شام.. وأسمي الزرقة التي تحاول خطفها يد الشام

وقلتُ...

لكنك تنسى، أنها أيضا كالشام لم يبق مكاناً لها إلا في القلب.

يا فطامي: ماذا صنعت بأسمالك، وكيف تعلم الشفاه أن تستدل إلى ضوء حلمتها لتشرب دمعك مرة واحدة.

هل قلتَ: الحليب صار دمعًا.. هل تعني حليبها؟

لكني أقصد أن أصاهر الضحى لا غير. أعني أن الغريب يستنشق هواءً مهجوراً. أعني أني أحشد نفسي في أول الخيبة وأحوم مثل طيرٍ فقّد جانحيه و..أهدر طاقتي في البصر.

وقلت السيول تأخذني، وقلت الزوابع تأتي وتحملني، وقلتُ استحم بسهرٍ يدمي الليل كي يظل جسدي نظيفاً ومغسولاً بصورتها، وقلت أورّد حين يميل الفراغ عني، واختلس قبلة من صوتها، وقلت:

اِلبسي هذا الغريب صوتك كي يستدل إليه الأمل ويغفو. أنهكتنا الرايات، وتعبنا من ثوب الحداد.

تعالي نتبادل الأخطاء ونمضـي في نزهة تحلم. تعالي نحشـد أعناقنا في قبلة لا تضـمر ولا يسـتدل إليها الفضـوليون. تعالي نعمي أبصـار المارة كي ينزلق ثدي الضـحى في أفواهنا: نشـرب الحليب متبّلاً بالياسـمين ونذهب لـ جنة لم تزل تزهق أصواتنا

أبكي إذ أتخيل صوتك صامتاً

أبكي إذ أنسج حروفك صوتاً

أبكي إذ أطلب يديك فلا تأتيان

أبكي إذ عليَّ دائماً أن أنظر إلى السماء لأرى وجهك

أبكي إذ أركّب من حروفك جسداً لك

و...

أبكي وتبكيني الفصول.

قلت لكِ: تعالي نلعب «الغميضـة»: أختفي وتبحثين عني وتتعثرين بالناس. تختفين وأبحث عنك.. فلا أجدك إلا في زاوية القلب متكورة كطفل مذنب.

يضمر الحب إذ لا أستطيع أن أرسم صورتك. إذ لا تظلين غيمة في السماء. إذ أرى وجهك ولا أستطيع أن أمد يدي لأقطف منه خاتمة هلاكي. ويضمر الحب إذ يصبح أن تحتويني بذراعيك حلما!

هذا وجهك يلقنني دروباً بلا أسماء

وهذا جسدك يختتم فاتحة تتلى على الموتى

وهذا أنا: غريب يناديك:

تعالي

[14]

هل عليّ أن أعيد لك الحكاية من أولها يا دلع؟ حسناً هاتي صباحاً طويلاً وهاتي قهوةً بِكراً ولا تنسي الدمع

ناديتُ: هذه الدنيا تتحول إلى شجرٍ عابسٍ

هذه الأرض التي واسعة تضيق حين أنادي

أنادم الطرق. الشجر الذي رميت عليه الأخضر. أقول لفواصل تبكي ونقاطٍ تشيخ باكراً: هذه الحياة تترمل حين يغادرها أبيضك.. دعيني أوضح لك المسألة: حلمتُ أن البلاد تنهض من نومها وتأتي إليّ حافية.. وحلمتُ أن ندائي لا يشيخ.. وحلمتُ أن للأبيض رائحة تستر عظمي حين يتعرى صوت الفجر على رائحة الشمس.. وقلت لكِ في الحلم: إن الصبي الذي ترك عمره حافياً يسترد من الحياة تفاصيلها.. وقلت لك: كلما تداعت الجدران اسنديني..

فكتفك يسند الدنيا وأنا قليلٌ، كصوت يموت وحيداً وتأكله الصحراء. وقلت لك تعالي علميني كما تعلمين العصافير كيف تطير.. وقلت لك بدون رائحتها يختنق الكون.

سأشرح لك الأمر كما حلمتُ: كنت ألم الخُطى وألقنها الدروب وكنت أزرع الدمع في أي أرض أحلُّ لينبت جسدي من جديد

وقلت في الشام أشمُّ رائحة الياسمين؛ وبالياسمين أرفو شقوق عمري؛ أخيط الجروح.. وكانت بيضاء كلونٍ يتشكل من الله وكانت الزرقةُ تسند هذا البياض.

وكنت أنادي فيتراجع الضوء وتدنو ضفاف ميتة، وعمري يركض أمام الجحيم.. ولشدة سواد هذا العمر أسميته بومة خرساء تعد نجوماً ميتة.

قلت لك ذات سوادٍ يتعفن في جيبي:

جرحها عذوبة النوم.

الدم حين ينزُّ من تحت جلد العمر يصنع دروباً سأسير فيها وحيداً يترجى أن يصبح للأرض أطرافاً ليصل

قلت لك: الماء يرتجف حين تجري هي في دمي.

وقلت لك: تعالي ألمُّ لك دمي لنسند الحلم سويةً لم تصدقيني. وقلتِ: وا حسرتاه على هذا الصبي الذي يغرق في الريح، ويا قلبي عليه وهو يتقدم في المياه التي لا تروي، ربِّ أنقذه من شمسٍ تتلألأ في فضاء رحب بلا نهاية، ويا دمعي استره وهو يرتجف من الليل.. ولم تصدقيني، وبكيت يومها.

وكان الشروق يحتسي صوتك وهو ينادي: سيموت هذا الصبيُّ وهو متعلق ببياضٍ مذّهبٌ بالفجيعة..

أنظر يا ربُّ له، أنه يمشي كي يلاقي الليل

صرختُ: أنه الحلم.. عليَّ أن أعاند الله وأمضي به، أشتله في الشام فتصبح الشام بيضاء مثلها..

ألم أقل سأدون الخراب على بابي كاِسمي، وليمضِ حنّا إلى آخر الجرحِ كي يعرف تفاصيله.

وقلت..

سأظل أجمع لك الخيبات كلما تنامت، وأفرشها قدام بيتك، وأبيعها لك بكمشة من ضحكتك

سأظل أسرد لك الموت كلما داهمتني فصوله بغتة.. ولتبكي.. ليتحول دمعك غيماتٍ تظلل الغريب، وهو ينوح.

لن أمحو الحلم، وسأظل أكسوه كلما جفّ بأخضرَ استلفه من قامتك، وكلما كثر الحراس على باب الهواء كي لا يخرج إلي سأتحايل عليهم، وأتحول هواءً كي اختلط بالهواء، فلا يعرفني غيره.

تعالي حدقي في داخلي لتري عذراواتٍ ينسجن عذوبتها رداءً لأيامي.

تعالي وانظري إلى قلبي، وهو يتعطر ببهجة تأتي من الشـــام محفوفة بأثارٍ تركتها في دروب مشت عليها.

بصرخاتٍ كبيرة أصدُّ صوتك، وهو يعذبني.

من خشبٍ ألمّهُ من الطرقات؛ أصنع زنزانة وأحبس نداءك: قم من الحلم.

أعرف كيف أغسل الحلم.

أعرف كيف أدنو من سكون المرآة وألقنها صورتها

أعرف كيف أعلم الأبجدية أن تتعلم اسمها

أعرف أن بين النهار وبيني كلمة

وأعرف كيف أغوي الله وأملأ حقائبه بهدايا أشتريها من الصمت

وأعرف..

سأظل أمشي

سأتدحرج حين تتعب الخطى

سأعض بأسناني على صرخة لا تريد أن تنثر جسدي للشام

وسأصعد فوق جثتي كي أرى ضوءها البعيد وأصلي له، أسجد فوق الريح كي توصل له قبلتي.

قلت لكِ:

أموت

حين ينحسر صوتها

أموت حين يتمزق الهواء ولا أبصر خلفه ظلها

سأشاغل الموت بأغنية دسها الحزن في فراشي كي أنام. أعطي للنار كل أسئلتي الموحشــة، وأحرق المســافة بدمعي حتى ترقّ أو تغدو رماداً، أجمعه كي يصـير نقطة بيضاء.

وأغرغر حين يداهمني الموت: بصورتها

[15]

أقطع الكون حاملاً خزائن البكاء وأسفحه.. كأني أتكئ على جثتي، وكأني أنام في التيه، وكأني أحلب الهواء لأُسِدَّ عطشي. الدنيا ليست حلوى والثرثرة صلاة المحب. اِعترافه أن المجهول يستأنس بمداعبة الماء، وأن الحضور يركله السراب مثل كرة بلا مرمى..

الحراس يمجدون العبث

الدنيا تأكل فاتحة الغريق

المجد يستأنس برائحة هجرها المحظوظون

والرُّسل ينزفون حقائق مفروسة الأكباد

وأنا غناء تثلّمه النسوة..

قلت لكِ لو كان صوتك حائطاً لاتكأت عليه.. لو كانت خطاك تنقذ الحُمَّى لصنعت منها قبعات، وحين تبلى من فرط الزمن المتبَل بالحنين يصنعون منها كمّادات لرجال غرباء ينامون تحت الجسور.

حلمتُ مرة أني أدوس القدر بنعلي

حلمتُ أن الأقدار تحفظ صورتي

حلمتُ..

أكلت الله بيدي، وغمسته بنور باهتٍ مخمناً أنه مرَقٌ كنا نطبخ به البرغل بعد نضوج الذبائح. قلت إن الدم مسمار وأن الريح حائط وأن صلاتي في حضنها تنجيني من اللهب.

الله فاض وأغرقني ولم أمت.. ضاعت أنفاسي وأنا حيٌّ دونما نفس فلكِ أن تتخيلي عذابي! لك أن تتخيلي كيف أحتمل جثتي.

.. رويت حكاية لم تمت ولم يأكلها الطيرُ. حكاية ما زالت تأكلني.

عندما تكون بقربي تصنع لي من الهواء خبزاً، ولا أبالي بنشرة الأخبار ولا أنتبه أن هناك جندي خطف أو حكومات خطفت أو بشر ماتوا.. ماذا يعني؟

-يعني أنك تعرف أن الهواء ليس طويلاً، وأنك تعرف أنه مربوع القامة، وأنك تغتنم الهواء قبل الذبح فلا تحفل بشيء، ولا تبصر سوى رغيفها الذي لشدة جوعك لا تأكله.

لو أتيتُم يوماً لرأيتم أني صنعت للرغيف إطاراً وعلقته على جدار غرفتي..

ماذا يعني أيضاً؟

يعني أن الحكاية لا أبناء لها، ويعني أني لا أخوة لي، وأنا ابنها الوحيد الذي لم تنجبني من رحمها.

قلت لصديقتي سأترك الباب مفتوحاً وأنام حينما تدخلين اِصنعي قهوة لشخصين، وقلت لها: ليس لدي بن، هاتي معك ما يكفي لاثنين. وحين أتت في السادسة من صباح الله أيقظتني برائحة القهوة، وجرس يصدره الموبايل، استيقظت، وأنا أحلم أن التي جاءت ليست هي... ونحن نشرب القهوة شكوت لها حبيبتي. مما قلته لها:

البلاد بعيدة والشوارع لم تعد تعرف لغتي

الأصوات تجرني نحو فراغ يجرح حنجرتي

وصوتي لا يصل

البلاد بعيدة ولم يخلق الله -نكاية بالحنين- لي أجنحة

ذهبت لتنام، وذهبت أفكر بحبيبة كأنها منديل وداع

كل يوم نغسل الصباح من نومه، وكل يوم أمشي في نومي فلا أصل إلى من أحب، لأن البلاد بعيدة بعيدة...

لو أستطيع

عجنت النهار بدمعتها التي سالت قبل قليل

صنعت من إسوارتها التي نسيتها عندي فصلاً خامساً، وعمرت بيتاً هناك..

كيف لي أن أحول صوتها إلى ماء

وكيف لي أن أحول حضورها نهراً

وكيف لي أن أحول يتمي لرائحة ياسمين أهديه لها

قلت لها حين التقينا في آخر العمر: ســأكبر بعد قليل ولن أبكي مرة أخرى لأن بكائي يعني أني لم أبلغ الحلم.. قلت لها وهي تمضــي: خذيني معك، وتعلقت بطرف نظرتها باكياً: خذيني.

فيما بعد لامتني، وقالت لن أحبني إذ تبكي هكذا، وكففت عن البكاء دهراً لكنها تذهب ودمعي يتبعها ماذا أفعل؟

قلت لها مرة: لو نصنع من رائحتك شوارع وبيوت وحدائق حينها ستهدأ نفسي، ويعود لي نَفَسي، أما غير ذلك سيظل دمعي يتبعك كلما ذهبتِ.. كلما ذهبتِ..

البلاد بعيدة وهي في أقصى المسافات، وأنا تأخرتُ.. لو جئتُ أبكر قليلاً، حين كان الناس يتألمون للفقد، وحين كان الناس يتذكرون الراحلين، لو جئتُ أبكر قليلاً لبكيتُ كثيراً لكثرة ما فارقتُ من وجوهٍ وبلاد.

كان من الممكن ألا تمضي أيامي وأنا أكلم نفسي. كان يمكن أن يصفني شاعر من ذاك العصر وهو يرى يومي هكذا:

الأعزل الذي أدمن المرآة مخاطبا نفسه.

يضحك ويتألم.. يرجو حبيبته أن لا تفارقه.. يقول للأصدقاء: أينكم لم أركم منذ زمن

لو جئتُ أبكر قليلاً لأهديت أحد نصــوصــي إلى يونس الذي رحل إلى كندا؛ وأضــفت له جملة من نوع «إلى يونس كيف تمضــي هكذا حاداً كنصــلٍ في الغياب».

كان من الممكن أنسج الضحى حلماً غامضاً لحبيبة بعيدة وعزلاء مثلي.

كان من الممكن أن أتلهف لكل داخلٍ إلى مملكتي، وكل أخضـر يضـيء فجأة، وأذبح له الخروف الوحيد...

مرة قلتُ:

الفراشات تحترق عند منابع الضوء.. اِمضِ في ظلام خافت، ولا تترك أثراً يدل عليك. كأن يكون لك أماً أو بيتاً أو وطناً أو حتى صديقاً

جئتُ متأخراً. وهكذا كان على حبيبتي أن تتحمل أن تكون كل هذا، لا حيلة لي، لم آتِ أبكر قليلاً، وما عندي من التذكارات أعطيته للسـابقين، ووعدت من يأتي بنجمة في السـماء فرّت من دمي ووعدت من يأتي بهواءٍ أصـنعه من أنفاس السماء البعيدة.

لم آتِ أبكر

عليها أن تحبني بهذه العلامة الفارقة كعيبٍ خلقي لا يمكن مداراته.

[16]

فراغ يأكل بعضه

أيام تتعرى في شتاء قارس

أودع وجهها كمحارب قديم يودع سلاحاً رافقه في هزائمه

لم نتبادل القبل كعشاق

بدونا كـ غرباء التقوا صدفة في بلد غريب

لم نذرف دمعاً

لم نحتضن بعض متمتمين: سنلتقي بعد قليل.

حلب صيف 2006

قصائد بفردة حذاء واحدة

Poems in a Single Shoe

2009

كتبت هذه النصــوص بين عـامي 2003 و2009. في الغالب تركتها متســلســلة وفق ترتيبها الزمني؛ رغم ما تقدمه من إغراء لإعادة ترتيبها.. وتوزعت أماكن كتابتها بين الرياض وحلب والإسكندرية.

قصائد بفردة حذاء واحدة

نظرة واعية تخترق ستائر الوعي الأخلاقي

فرزند عمر

أتذكر تماماً ذلك اليوم الذي قرأت فيه أولى الكلمات من «قصائد بفردة حذاء واحدة» يومها شدني العنوان فآثرت أن أجد ما يدهشني.

كتبت حينها مطولاً عن أربع قصائد أو خمس، منها قصيدتي «البرغي» و«الصامولة» وقصيدة «رباعيات متوالية» وقصيدة «جسر الفراغ».

أذكر أيضاً أن ذلك كان في جزء كبير منه رد فعل على ما جاء من ردود تشتم بشكل واضح هذا النموذج اللا أخلاقي في الكتابة على حد تعبير الكثيرين.

اضطررت للتوقف عن قراءة النصوص وتفكيكها وذلك لسببين: السبب الأول كثرة اللوم الذي كان جارفاً بكل معنى الكلمة والذي يدعو إلى التنصل من الوقوف بشكل ايجابي مع تلك «الكلمات» التي لا تعني شيئاً؛ والسبب الآخر كان عبارة عن توقف لفترة زمنية محدودة كي أراجع نفسي علّ الأمر فيه جانب من الصحة، خاصة أني على علاقة صداقة بالشاعر ويمكن للمشاعر أن تتدخل بشكل أو بآخر في عملية النقد وهذا ما أحاربه وما لا أطيقه.. إذ كيف يصح أن أنقد الآخرين على أنهم يقرؤون النصوص من منظار أخلاقي كهنوتي وأنا نفسي أنجرف ضمن هذا التيار.

رجعت مراراً وتكراراً لتلك القصائد وما كان يكتب منها وينشر لاحقاً، وفي كل مرة كنت أشعر بنشوة غريبة لم أعهدها من قبل ومراراً وتكراراً عهدت الأمر لأسباب لا شعرية!

قرأتها أمام أشخاص آخرين دون ذكر لاسم الشاعر، فأجمع الكل على أنّها غريبة نوعاً ما، لكنهم في النهاية لم يعتبروها شعراً لأنها مقززة ومقرفة ومضحكة حتى أسماها أحدهم بقصائد القرف المضحك معتبراً إياها مجرد هرطقات لا أكثر.

اليوم تحديداً وأنا أقرأ النسخة النهائية لهذه «الهرطقات» على حد تعبير الكثيرين وجدتني مضطراً للوقوف بجدية أمام هذه النصوص التي أعتبرها على أقل تقدير حالة جمالية حقيقية ترقى في أضعف الاحتمالات أن تكون قصائد مغردة وإن كانت بفردة حذاء واحدة.

• قصائد بفردة حذاء واحدة ما لها و ما عليها

القصائد تفاجئك منذ العنوان الذي يبدو غير مألوف إلى آخر كلمة من الديوان.

وهي مقسمة إلى عدة أجزاء أو باقات شعرية وغير مرتبة إلا زمنياً كما يدلي الشاعر منذ البداية بدلوه وهذا تأكيد له مبرره من قبل الشاعر كي لا يفاجئ القارئ بكم الفوضى والعبثية الموجودة ضمن القصائد إذ يبدأ الشاعر ديوانه موضحاً بقوله:

«كُتبتْ هذه النصوص بين عامي 2003 و2009. في الغالب تركتها متسلسلة وفق ترتيبها الزمني؛ رغم ما تقدمه من إغراء لإعادة ترتيبها.. وتوزعت أماكن كتابتها بين الرياض وحلب والإسكندرية»

وهذه الفوضى هي الخيط الرابط بين كل القصائد والتي يبتغيها الشاعر وعليها يؤسس مرتكزاته الأساسية محاولاً استنباط الكل من العدم إذ أنه يجد في الفراغ جلّ غاياته.

الفراغ هذه الكلمة التي لا تكاد تخلو قصيدة منها فالشاعر يبدأ أولى قصائده بعنوان «جسر الفراغ».

والفراغ يأتي مؤسساً إما لرؤيا وهي ما ندر من القصائد أو تشخيصية للواقع الذي يعايشه الشاعر في أغلب الأحيان.

وبهذا يؤكد الشاعر على فلسفته الفوضوية التي تقول بأن الفوضى تخلق نظامها فيما بعد، فالفوضوية عجزت عن تأمين ما يجب أن يكون لكنها، مهدت وأسست لما سوف يكون. إذ أن الفراغ لا يعنيه إلا الوجود الآن، فلا يدخل الشاعر في متاهات العدمية التي استندت لمفهوم العدم كوحدة متشكلة وبنية لها ماهية في ذاتها فالشاعر معني بالتفكيك أكثر من التركيب.

في إحدى القصائد من الجزء المعنون بـــ «لعاب يسيل لحفيف امرأة» والتي جاءت بعنوان «عاهرة الملح الأسود» يكتب:

«الفراغات لا لون لها لكنها تأكل السواد. السواد الملتحي.. الذي يسير مثل ليلٍ مربوع القامة.

الرائحة بلا أضراس

الاجتناب سلّم الوقتِ الضرير

والحمّى ترتجفُ من رائحة اليد التي تلمسها»

فالفراغات لدى الشاعر لا لون لها وليست إلا فراغاً لذاتها لكنها تأكل السواد وبما أنها تأكل السواد فهي مهيأة لأن تتلون وتغدو كائناً له قيمة لونية على الأقل لكنها مازالت تحتفظ بلا لونها لدى الشاعر، وهذه إن دلت على شيء فهي تدل على ما أكدنا عليه قبل قليل. وقد يكون استخدام بعض المفردات الناشزة لدى القارئ يؤكد ما نصبو إليه لأن الشاعر يحاول تحطيم كل البنى ومن بينها الذائقة المعتادة المتوارثة وذلك حق له، بما أنها تخدم هدفاً بعينه فهو يصبو إلى الهدم لذاته وليس إلى الخلق؛ والتي اعتدنا عليه في بعض

التنظيرات التي تقول بما يسمى الهدم الخلّاق، كما نظّر لها أدونيس في معرض تأسيسه للقصيدة الرؤيوية، وآخرون كثر من الذين حذو حذوه. لكن الشاعر في هذه القصائد يود أن يختبر مساراً جديداً وأرضاً لم تطأها أقدام كثيرة فهو ضد التقليد ورافض له حتى أنه يبدأ أولى باقاته الشعرية بعنوان «قصائد ترتدي حذائها بالمقلوب».

•البنية الشكلانية للقصائد:

على المستوى الشكلي للقصائد وللوهلة الأولى تعطي القارئ انطباعاً لا شعرياً وهذا ما جعل البعض ينفر منها معتبراً أنها لا تنتمي إلى الشعرية بشيء وهو أمر لا بد التوقف عنده ملياً.

يحاول الشاعر في قصائده دمج آليات لا شعرية وهذا حقيقي لكن السؤال الأكثر أهمية هل أفسدت هذه البنية وهذه الآليات جوهر البنية الشعرية.

- أليات كتابة المقالة والمعنى القسري المضاف

أكثر الآليات الواضحة التبني من قبل الشاعر هي آلية المقالة فالشاعر يستعين استعانة لا بأس بها بتقنيات المقالة وهي حاضرة بقوة خاصة في المجموعة المعنونة بـ «كائناتي العارية من شبق الليل»، والمقالة هي أكثر أنواع الخطابات نثرية! وهذا، على ما يبدو، هو الذي خلق الارتباك الحاصل للقارئ فكيف يصح الاستعانة بأكثر الآليات بعداً عن الشعرية لكتابة الشعر!

لكن الواضح أيضاً لمن يقرأ الديوان بأن أكثر القصائد إرباكاً هي تلك المجموعة المعنونة بـ «كائناتي العارية من شبق الليل» فهي تستوقفك لأنها تحمل شحنة حسيّة عالية وانكسارات على المستوى الدلالي لا نجدها في باقي

القصائد وتوتراً قلقاً مع دهشة جميلة تبعث على الضحك والقهقهة أحياناً فكيف تمكن الشاعر من ذلك.

يستخدم الشاعر في هذه القصائد أليات كثيرة لكن سأقف عند ما سأسميه بالإغلاق القسري للمعنى وذلك لأن ما تعارف عليه في الشعر هو الفضاء الشعري واتساع الرؤية والتكثيف وتفجير الدلالات وما إلى ذلك من كلمات ودلالات، تتجه باتجاه التفكيك والتشظي، بينما هنا يستخدم الشاعر ما هو عكس ذلك تماماً لتوليد دلالات مضافة على دلالات التشظي.

والأمر يبدو أشبه بطفل يفكك لعبته إلى أجزاء صغيرة ويطلب منه على وجه السرعة إحضار لعبته تلك وليس له أي دراية بإرجاعها كما كانت فيركبها كيفما شاء ويحضرها على أنها هي، ولنقل إنها كانت سيارة مثلاً! سوف يضحك الجميع من تلك السيارة وسوف يقترح الحضور كل منهم على حدة تسميتها بمسمى جديد! فهذا التداعي للمعنى بعد التركيب لم يكن يخلق لولا التجميع القسري والسريع لأجزاء السيارة وهذا ما يستخدمه خلف في تلك القصائد فهو يقول على سبيل المثال في قصيدة تنتوفة:

«خاصة عندما تكون نائمة على بطنها

وخاصة أيضاً [غير تلك السابقة]

عندما تكون عارية تماماً [لا معنى لتماماً هنا]»

إن الجملتين الاعتراضيتين التفسيريتن التي قام بحشرهما هنا تستوقف القارئ بشكل مفاجئ غير منتظر وتقفل بشكل قسري استرسال المعنى لدى القارئ لتضعه أمام معنى مضاف ليس هو تماماً المعنى الأصلي للكلمة وليس هو ما يتولد من دلالاتها المعتادة بل إنه معنىً جديد مضاف، قسري، وهذا ما سنسميه بالمعنى المضاف القسري.

وكمثـال آخر يوضـح الفكرة بشـكل أدق، يقول في قصـيـدة بعنوان «السلنبوحة»:

«ومنهم من أصـدر فتوى تحلل[...] وهذه النقاط بالتأكيد لا تدل على دمها كما سيتوهم البعض، لكنها تدل على مفردة أخرى؛ أقرب ما يكون لها ′الزواج منها′ [يا لهذا الذكاء الرقابي للشـاعر]» إن التفسـير القسـري للمعنى الذي أقحمه الشـاعر للفتوى والتعقيب الذي جاء فيما بعد عن الذكاء الرقابي أعطت الدلالات بعداً آخر. فلو توقفنا عند «أصـدر فتوى تحلل (...)» لكانت البنية الدلالية ستكون مفتوحة بكل الاتجاهات؛ الدم- القتل- الاغتصاب - الزواج- إلخ.. لكن التفسـير النثري الذي جاء فيما بعدها قيد المعنى لا شـك، لكنه خلق صورة جديدة من خلال المقارنة بين الدم الذي تم نفيه والزواج (أو الأقرب إليه!) الذي تم تأكيده ثم التداعيات التي تنشـأ من المفردتين (دم/ زواج) بالإضـافة للجملة المضـافة عن الذكاء الرقابي والتي أضـفت على المفردتين (دم / زواج) بعداً آخر.

إن المعنى المضاف القسري من قبل الشاعر يخدم هنا مسألتين البعد الدلالي والذي تحدثنا عنه، إضافة إلى البعد الحسي المتولد نتيجة التوتر القائم على أسـاس انكسـار المعنى المفاجئ والتي تأتي بشـكل دوري متواتر بكل قصـيدة بحيث تساهم في إيصال إيقاع فكري تتضح معالمه عندما يخبرك القارئ أنها تشـكل حالة من الضـحك أو إحسـاس من القرف أو إلى ما هنالك من أحاسيس.

- **توليد الأفق الدلالي للنكرة بصيغ المعرفة**

ما يستوقف القارئ أيضاً أن الشاعر يستخدم صيغ المعرفة بشكل كبير وهي لا تخدم المجال الشعري على حد التنظيرات الكثيرة لأغلب النقاد؛ إلا أنه ومع

ذلك نجد أن القارئ لا يمسك على شيء بعينه أو لا يستطيع الإحاطة الكاملة بحدود المعنى فهي تفلت من بين أصابعه على الرغم من كل هذا التحديد فكيف حصل ذلك!

في هذه القصائد نجد صيغ النفي أكثر سيطرة من صيغ التوكيد حتى أنه يفاجئك في مطلع بعض من القصائد بصيغة نافية فهو يقول على سبيل المثال في قصيدة «العاشقة شبه الدائرية» مبتدئاً القصيدة بـ:

«التي

ليس لها أسلاك

وكلما جاء البرق وخربط ثوب السماء الرصين

أخاف، أرتعب، أتوارى عن اللهاث؛ كأني مفصل تخثر في الزمن الدائري».

أو عندما يبدأ قصيدة «فراغ الانتباه» بـ:

«لم يكن الانتباه يلعب بذكورته حين فاجأته الدهشة

لم يكن...

كان منزوع التفاصيل

الأسنان، الضحكات الورقية، الـ...

لم يكن...»

وهذه المفاجئة مربكة للقارئ فالنفي مؤسس على فراغ لا تسبقه أي إشارة إخبارية تنضد المكان استعداداً لخوض أدوات النفي معركتها، لنفي ما هو موجود فالنفي هنا يتأسس على ما هو غير موجود أو مضمر وغير حاضر..

فهنا نجد أن الشاعر يستخدم كل صيغ المعرفة كشكل لغوي للكلمات والجمل من أل التعريف إلى المضاف إليه إلى ما هنالك من صيغ تعريفية، لكن المعنى غير مهيأ وغير متاح فالمعنى الدلالي نكرة لأنها مبنية على النفي

وليس التوكيد وهذا بالتأكيد يخلق لدى المتلقي صـــدمة إخبارية فهي مرتبة على نمط معين لكنها تخدم نمطاً مختلفاً بل معارضاً له

ويقول خلف في قصيدة أخرى بعنوان «هرموكة»:

«ليس عباءة

وليس غطاء للرأس

وليس عصا تقود الأعمى

وليس مرآة للعروس

وليس كحلاً جيء به من الهند كي يوسع عينيها

حزنها غالباً يأخذ ملامح تشبه نعجة مجترة في آآآخر القطيع

حزنها ليس أرمل بل إنه تزوج مثنى وثلاث ورباع

حزنها أيضاً له جدة تعيد له الحكايا كلما أرادته أن ينام.

هرموكة

كائن يسكن الدمعة في الشتاء

وفي الصيف يسكنها الاختناق

فتعوي مثل كثيرٍ من الناس

رغم أنها بلا ذيل...»

إن هذه الصدمة الإخبارية إن جاز التعبير تضيف إلى انكسارات المعنى بعداً توترياً آخر ضـــمن المجال الحســي للمتلقي وتجعله أكثر انتباهاً وإثارة نتيجة آلية الشــحن والتفريغ التي تحدثنا عنها في أماكن أخرى والتي تفيد في نقل القلق بين ذات الشاعر والمتلقي. وما الشعر في أحد أهم جوانبه إلا أداة لنقل التوتر من الشاعر باتجاه المتلقي.

•البنية الفلسفية:

أكثر ما يلفت الانتباه في القصائد هي البنية الفوضوية للقصائد من حيث الشكل والدلالة؛ فانتشال الرث والهامشي ووضعه ضمن دائرة الضوء هو المحرك الأساسي للكتابة، واعتماد الشكل اللا تصنيعي هو المسيطر، حيث يخيّل إليك أن القصيدة كتبت كما هي في لحظاتها الأولى فالشاعر لم يتدخل كثيراً ولم ينقح منها إلا ما ندر.

إذ في كثير من الأحيان نتيجة الاشتغال على القصيدة وخاصة إن كانت البنى النقدية هي المنارة التي في ظلها يشتغل الشاعر تفقد أغلب القصائد حيويتها وتواصلها السلس عبر القنوات الحسية بين الكاتب والمتلقي. هنا في هذه القصائد نجد أن هذه القنوات الحسية مفتوحة بكل طاقتها فهي تنقل الإحساس كما جاء في لحظات الكتابة الأولية.

فالشاعر في قصيدة النثر عليه أن يحافظ على هذا التوازن الدقيق، فلا العفوية؛ بحالتها الهلامية يمكن لها أن تؤلف نصاً جيداً وذلك لما تحمله تلك العفوية من مطبات الانجرار نحو المباشرة والخطابية، ولا الاشتغال الغارق في الذهنية يؤدي بالشاعر إلى مرافئ قصيدة آمنة لأنها تعطي جسداً فاقد الروح.

في هذه النصوص نجد اقتراباً من الموافقة بين هذين الضدين والتي ربما أتت بشكل عفوي وإن كانت كذلك فهي تبرز أهمية التوافق المعرفي الوجداني عند الشاعر.

إن تبني فلسفة الفوضى، وهي فلسفة كان لها الأثر الكبير في أغلب الفلسفات التي جاءت بعدها برأينا لم تأت بشكل اعتباطي إنما جاءت عن دراية كاملة لهذه الفلسفة فهو يقول في أحد القصائد:

«أيُّها المُدببُ

ذو المسننات الأيونية

تأكل لحمي

كلما داهمتك خيول المفاتيح

أو المطرقة المتجانسة»

إن النظرة الفوضوية للتجانس هي نظرة سلبية ويعتبر التجانس في الفلسفة الفوضوية هو أصل كل الشرور، إذ أن مبدأ الاستقرار يكمن ضمن عدم التجانس وهو الذي يخلق التوازن في النهاية، فهذا البرغي الذي يحبه الشاعر لصغره المتناهي والذي يجعل منه مهمشاً وغائباً عن النظر هو في أساسه جميل، لكنه يتحول إلى ناهش للحم الشاعر عندما تداهمه تلك المطرقة المتجانسة.

ويقول الشاعر في موقع آخر في قصيدة بعنوان «الصامولة»:

«المسننات الحلزونية التي يحتلها البرغي بذكورته

المستديرة كأمنا الأرض

المستديرة كزمن مكرور

المستديرة كبكرة

أو أفق مخروم

الجهة الأخرى لا تُرى إلا عبرها

[لكل صامولة برغي واحد]»

إن هذه النظرة للأنثى هي نظرة فوضوية باقتدار فالأنثى تحمل الجزء الأكبر من الفوضى لأنها بقيت على ارتباط أشد مع الطبيعة نتيجة تكوينها الفيزيولوجي وارتباطاتها بالولادة حتى أن الشاعر يعتبر نفسه كتركيبة نفسية أنثوياً إلى حد بعيد ونجد ذلك من خلال تلازم التشبيهين الذي أوكلهما الشاعر

للبرغي إذ أنه يحتل الصـامولة بذكورته تلك الصـامولة التي بلا شـك تذكره بـالأرض، بينمـا البرغي ذاتـه يغزو جسـد الشـاعر عنـدمـا تـداهمـه المطرقـة المتجانسة كما مرّ معنا فيما سبق.

وهو يؤكد وعيه القائم من خلال تلك النظرة عندما يقول:

«أو أفق وحيد مخروم

الجهة الأخرى لا ترى إلا عبرها»

فهو يرى الآخر أو بمعنى أدق العالم الخارجي من خلال تلك الصـامولة والتي إحدى إحالتها هي الأنثى أو الأرض كما وضحها الشاعر فيما سبق.

•أخيراً

تبدو القصائد في هذا الديوان مختلفة من ناحية الذائقة والشكل والدلالات لكنها تحمل شيئاً حقيقياً جديراً بالقراءة والتمعن لأنها برأينا، لم تأتِ بشكلٍ اعتباطي، بل كانت وراؤها روحٌ مرِحةٌ تحاول تنضيد العالم وفق أسس مختلفة عن ذائقتنا المعتادة، معتبرة الكتابة جزءاً من اللعب! وهي تمهد الطريق للولوج أكثر ضمن الهوامش المرمية - بكل معانيها- على أطراف وعينا تلك الهوامش التي تستحق منا الوقوف عندها ملياً.

فرزند عمر

عفرين 2009/10/25

قصائد ترتدي حذاءها بالمقلوب

جسر الفراغ

الفراغ يمشي على الجسر
البصل يتواهن عن استقبال القادمين
الهواء يأكل طعام الخنفساء
والعهن نفش بياضه.
...

البرغي

أيُّها المُدببُ
ذو المسنناتِ الأيونية
تأكل لحمي
كلما داهمتك خيول المفاتيح
أو المطرقة المتجانسة
أنتَ...
جسدٌ من الامتطاء
والرغوة المتعالقة

...

كيف لنا أن نتصور الحياة دون برغي

هذا الصغير

الصغي

الصغ

الـ...

أحبك أيُّها البرغي.

الصامولة

الدائرة المستديرة

[هنا نرسم دائرة غير أني لا أعرف استخدام برنامج مناسب لرسمها]

المسننات الحلزونية التي يحتلها البرغي بذكورته

المستديرة كأمنا الأرض

المستديرة كزمن مكرور

المستديرة كبكرة

أو أفق مخروم

الجهة الأخرى لا تُرى إلا عبرها

[لكل صامولة برغي واحد]

يتغير البرغي

تتغير الصامولة

يا لبهجتهما..

التوسلات المنحنية

تمر العجراء سريعة

تمر الصلعاء سريعة

تمر الصلعاء العجراء سريعة

يتشعب التوادُّ | التوالد والبخور

البخـ..

البخـ.. ور

كأنه خور

خرارة الماء

انعراج الفضائح والتوائها عند إشارة المرور، وهي لا تحمل رخصة قيادة

الفراشة تقطع الإشارة الحمراء

يمسكها الشرطي

ويعطيها قسيمة

وأنا

أنا نفسه

أنا غيره

المتثالب على قبعاته

أتحسر على الفراشة

ولا أستطيع لعن الشرطي.

تداخلات الفراغ وخواتيمه

الحناء ناء

الجوراسي المقتول

البقرة التي جفَّت ضروعها من ابن الزانية

الوانيتات المتهرئة

وطرفة بن العبد

كافكا يأكل قصائد مرمية على رملها وهي حبلى من سفاح البراغي

الحجر

بلدوزرات البسمة

ولن أنسى الشوكولا

الشوكولا البنية

تشبه فستقك الأخضر

الطريق الدائري

الدائري لا يوصل إلى بيتكِ

لهذا أحذفه بالحجر

وأهرب.

سبورة سوداء مملحة

السبورة

تغط في ورد نومها

وأنا أنتظر.. أنتظر

المعطف حالك ويتصالح مع استدراك ذاته..

ذاته المتطفلة كبندورة لم تنضجها الشمس

السبورة

مشت إليّ

رمقتني | رمقتها

تبادلنا

الهواجس

والحب.

قصائد تقف على قدم واحدة

العاشقة شبه الدائرية

التي
ليس لها أسلاك
وكلما جاء البرق وخربط ثوب السماء الرصين؛
أخافُ، أرتعبُ، أتوارى عن اللهاث؛ كأني مفصلٌ تخثّر في الزمن الدائري..
هي لا تذهب للحديقة إلا نادراً؛ تخاف الظل المتنكر وتحلم ببهاء صوتها
اكتشفت سراً متقاطعا معي: الكمبيوتر عاطل والتاريخ أيضا
آهٍ أيتها البطيخة
الـ تخاف من حَمَارِ لونها
لو لم تكوني صفراء
لو لم تكوني حمراء
لو...
كنتَ دائماً تفضل
الأبيض
المتلهي باستداراته.

فراق متسخ للعبة لم تنتهِ

على مائدة بقدم واحدة [لا أدري كيف تقف]
كنت أساورهم النميمة
طردتهم المدينة إلى عواء يستظل برمشي
أبو النصر ينظر شَبِقاً إلى الهزيمة، بينما ينحسر ثوبها عن سيقانٍ تعيد للأزل
شهوة الارتعاش
المذحجي قَلَّمَ أضفار الصوت، شرع يدوزن العود
ليرينا حمحمة الخيل
أنا
تواهنتُ.. تواهنتُ.. تواهنتُ...
استرخى النمل بفرائه بين يدي
رسمت على المكان خريطة العدم
أوسعتُ مكاناً في شجر رئتي، للقات
برهةً
برهةً
كأنها حصان يجفل من مطر حجري
تحضر نبيلة الزبير بحذائها المتسخ بمصائر الأضداد..
الحذاء الذي لا يسنده كعب [ولا زهير]
الحذاء الذي تحسب أنها ورثته من أمها بلقيس
لشدة انبهاره بالماء
الحذاء الذي ليس بضخامة فيل متوهج يقاوم العولمة
أنا لم أعد هناك

لم يركض أحدٌ ورائي

فقط كان «ملفونو»

يقول لي بضحكة مجلجلة

[كش ملك يابو]!

- فتحي أبو النصر: شاعر يمني. نبيلة الزبير: شاعرة وروائية وكاتبة يمنية. ماجد المذحجي: كاتب يمني. ملفونو: الموسيقي السوري نوري اسكندر.

نعي متأخر جداً على رؤوس الأصابع

الذي مات
الذي مات منفرداً
الذي مات أعرجاً كدقيق يخبز نفسه [ويصرف الممنوع]
الذي مات على مقربة من الأرانب، التي تقضم الفراسة
الذي مات وهو يدوزن صرخات متعفنة
الذي مات وعلى جيده أفعى تنشطر رويداً
الذي مات ضيقاً متسعاً منحازاً متردداً متوارياً عن الأنظار
الذي مات
مات.

وطن دون جوارب

لم يركب حصاناً يسابق الظنون؛ تلك التي تندس غفلة في غارها.
ولا جملاً علقت ناقته من أثدائها في جهنم
لم يلبس خنجراً يمانياً
لم يقاتل التبع اليماني بسيف كليب، أو برمح ابن عباد [غير أنه تزوج الجليلة بنت منصور العبد الله]
لم يلبس الشماغ يوما اتقاءً لشمسٍ تترنح من السُكر فوق رأسه
لم ينحن للرياح وهي تشرب قهوتها ذات الحاسة الثامنة
كان

دائما يهرول

أمام الأعداء

بلباسه الداخلي

حافياً

دون جوارب حتى!

رباعيات تنهرُ الأفق

رباعيات متورمة

الخماسية تجرد الأنصاف من أرباعها

الكائنات تتورم؛ تستند إلى حائط لازوردي

الفراغ يتصل

...

نحن هنا على المراد

المراد كائن

كائن أبله بمنخارين

يرتشف الماء من عبقرياته

للأسف

للأسف جداً

انتهت الورقة.

رباعيات فاقدة الذاكرة

على جسرٍ يرفع ثوبه عالياً.. عالياً

الأضلاع تجدل شعرها المستطيل

الانحناءات تتماهى [تماماً تماماً]

الفراغ يوازي أرنبة أنفه

يعطس... فوارغ متصلة

كأن

كأن القديمة

القديمة التي نسيت فردة حذائها

.

.

.

على باب الصيدلية.

رباعيات تمارس العادة السرية

المنعطب كابنه الوحيد

المنعطب كـ امرأة مترملة حديثاً

المنعطب كشال متعفن

المنعطب لوحده

المنعطب على مواقف كونديرا

أو كوندليزا رايس

المنعطب كمكان آخر

يتعامد مع ورك الماشية

هذا الورك

الذي يثير ذكورة المفردات
فتركب باص البلدية المنحسر
لتمارس عاداتها السرية.

رباعيات متوالية

هكذا يبدأ الأسبوع:
السبت
تتوالى الأيام خلفه راكضة دون سراويل:
الأحد - الاثنين - الثلاثاء - الأربعاء - الخميس
إلا أنه يحتضر كحمار مفخخ لعملية انتحارية:
الجمعة
وفي دول أخرى يبدأ الأسبوع من الصرة؛ التي علقت عليها الخلاخيل:
الاثنين
وتتوالى الأيام خلفه تجر نعاسها:
الثلاثاء - الأربعاء - الخميس - الجمعة - السبت وينتهي كرقصة:
الأحد
إلا أنه في بلادنا يعود ليبدأ من جديد:
السبت
الأحد الاثنين الثلاثاء الأربعاء الخميس
وينتهي بـ
الجمعة

وهكذا

تمضي أعمارنا كسلس بولي.

فراغات لا تستر عورتها

فراغات تساير ظلها

شجرة الحواس المتواطئة مع أنينها
الورطة البلورية التي تمشي على قدمين ولا يسميها الرجال امرأة
تستندان مليّاً على الهنيهة..
الهنيهة ذاتها
الهنيهة التي ذكرها آخرون
ثمة آخرون يذكرون هنيهة أخرى
إلا أن الورطة نفسها
وشجرة الحواس ذاتها
لا يذكران غير الهنيهة المعروفة لهما
والتي تستند إليهما مليّاً.

فراغات الدهشة

أبصمُ
أبصمُ

الأصابع ترتخي

العصافير تتبول

الخراف يؤكل لحمها كاندفاعات متلاطمة

متآكلة...

تترامى..

أبصم،

حيث استحضر تراديد الموت الأزلي

إلى الورق.

فراغ الانتباه

لم يكن الانتباه يلعب بذكورته حين فاجأته الدهشة

لم يكن...

كان منزوع التفاصيل

الأسنان، الضحكات الورقية، الـ...

لم يكن...

كان...

جعالات الحنطة | الأقطان

القطرميز لا يحوي مكبوس المخلل

ولا أنثى الخيار العاهرة

والتي يسميها البدو الرّحل نجمة بعيدة

الحنطة فراغ

الخيار انتباه

والزمن دهشة

وجمرة في خاصرة الترانيم.

الأمل مفقوء البصيرة

كان على الزاوية المعتمة من المقهى

كان يحتسي البيرة [والتي يسميها أهل الفصاحة: خميرة الجعة]

كان أثناء ذلك شارداً بفخذ امرأة هبطت من السماء للتو

كان أثناء شروده يتخيلها وهي تطفو على الماء

كان أثناء تخيله ينتصب.. يمجُّ [وهي كلمة مقيتة أوردها لأني لا أطيقها] عقب سيكارته بشهوة وتلذذ

كان أمامه جريدة حبلى بالفكر الثوري وكيلوت جنيفر لوبيز

كان يدور في خلده أشياء تدعو للحيرة:

يتخيل نفسه [مثلاً] يلعق مؤخرات المارة جميعاً دون أن ينتبهوا

يتخيل العم بوش وهو يركل تمثال صدام الذي فُقئت عينه ولم ينزل منها الدم

يتخيل مثلاً [أيضاً مثلاً!] كيف يستطيع أن ينزع الفردة الأخرى [يمكن ضم الألف أو فتحها حسب الرغبة] من قدمه

يتخيل أن يقود الأمل إلى النهر كي يشرب مثل الحصان

ولم يتخيل أبداً

أن الأمل الذي تخيله قبل قليل

كان مفقوء البصيرة

ليس هذا فحسب

بل كانت مؤخرته منتفخة..

نساء حافيات دون لباس داخلي

القرادة

هذا الصباحُ لم يكن أعورَ منذ ولادته
هذا الصباحُ
أصيبتْ عينُهُ
بحجرٍ طائشٍ
كانت القرادة تتملّى حُسْنَهُ
التصقت بفروة رأسه
كأنها تمتص الزمن
من جلده المتورم
القرادة ليست شقيق البوم
ولا ابنة اللذة
القرادة التي تشبهكم
تشبه هذا الصباح.

الدجاجة

الوردة البلاستيكية لا تشبهك
الدجاجة المتوازنة التي تبحث في مزبلتنا
تذكرني بك
الدجاجة الـ فقأ عينها ديك أعمى
وتنهرها المتطفلات العرجاوات
المتسخات الرؤوس
الدجاجة التي تلهمني الشعر
وتطعمني أمي بيضتها البيضاء جداً
كل صباح
الدجاجة...

بطة عرجاء تخثرت في الأفق

البطة البيضاء
الـ تأكل جثث الأسماك الصغيرة
تطير كخديعة، وتتمرّى في مياهٍ آسنة
محملة برائحة النهر الميت
على مرمى من الشاطئ
البطة اللعينة
التي تخطئ في الصباح وفي وظيفتها المدرسية

تباً لكِ

تباً لنقاطكِ

أيتها الفاصلة المختبئة في جنح بطةٍ

بيضاء

وعرجاء

ومترملة قبل قليل.

اليمامة الحمقاء

في باحات الرعونة تجدها

تُفلّي شعرها من قصائد عالقة

ولا تأبه لعورتها المكشوفة للمارة

ربما متسخة

ربما لم تفهم أيّ خيط يؤدي للحكاية

وربما خدعها صديقي النتن وطبخها دون مرقه حتى!

تُرمى لها الحبوب وهي تكسر الهواء بمنقارها الرزين

لا أحد يتزوجها على الهامش

لحمها مرٌّ وخلاياها لم تتسرطن بالأنوثة

لكنها رغم هذا

لشدة دعارتها

نقلت الإيدز لكثير من الشاعرات!

الذبابة

صـــديقتي التي تطير فوق الأماكن كريهة الرائحة وتغزل الطنين.. لها جناحان مثل الفراشة تماماً

الذبابة التي من لحمٍ ودمٍ

يهرســـها الأغبياء بألف حجة ملتوية، وتصـــنع المصـــانع لأجلها ما يمكن أن نسميه:

اليد المخصصة لهرس الذبابة بأحلامها ولذة الطيران.

تتبختر في الأفق المنتظم بأنفاسه دون لباس داخلي؛ وتتعرى كالغبطة تماماً

لا تعرف إثارة الفحولة في أذهان الشعراء ليغووها بقصائدهم

لا تجيد حركة الأرداف كي تثير شهواتهم

لا تشرب القهوة [عدوتها اللدود] كي تجد من يدعوها إلى مقهىً ما على ناصيةٍ ما في شارعٍ ما في مدينةٍ ما في بلدٍ ما

ما كانت عاهرة لتهدى لها القصـــائد، ولأنها عارية فهي لا تملك أن تكشـــف فخذيها لرئيس تحريرٍ لينشر طنينها

ذبابتي لا تتقن تحليل دم الآخرين لتصبح نجمة في «الجزيرة»

ذبابتي مسكينة مثلي تماماً.. أحبها

لأنها [أيضاً] لا تحترق بالضوء.

كائناتي العارية من شبق الليل

براكل

القضية لا تمشي على قدمين متجاورتين

وبراكل تكتفي بخنصر الكلام

أحببتها حين كانت تركض في فضـــاء الفجيعة وتنهش مؤخرات الناس. وبينما

أنا أحبها بقوة نهشت ذاكرتي

براكل تنسج من الغيم سجادة للصلاة على روح أمواتها

ولا تقعي عند الأبواب أو تهز ذيلها منتظرة العظام

ولا تجفل من مدافع الفرنسيين وهي تقصف قلاع التاريخ

ليس لها أصدقاء ليس لأنها متوحشة بل لأنها دائما تتبول على نفسها في آخر

الليل وتأتي برائحة الصنان التي يحسبها عشاقها [القلائل جداً] عطراً فرنسياً

لم تفتتح براكل موقعاً شخصياً مجانياً على «البوســت بويم» أو مدونة على

«البلوغر» لتدوين مآثرها الكتابية

كما أنها لم توقع في دفتر زوار أحد يوماً.. أعرف أن براكل تحب الحكايا [رغم

أنها ليست شهريار]

فهي غالباً تتبول فوق شعر الشعراء ليستمنوا على تلك الرائحة

هرموكة

حزنها عاديٌّ مثل أي حزن آخر
لا يمكن لأحد أن يطلق عليه «حزن الخنساء على صخر»
حزنها يبدأ بالحاء مثل كل الأحزان
يأتي من داخلها الذي يمرّه الآخرون ويخربونه، دون أن ينتبهوا أنه أصبح يسيل، ويحفر سواقي صغيرة لمياهه، كحنفية خربها الأطفال، ونسيتها البلدية.
إلا أن ثمة فارق جوهري بين حزنها وأحزان الآخرين
فهو غالباً يبدأ فقط
ليس عباءة
وليس غطاء للرأس
وليس عصا تقود الأعمى
وليس مرآة للعروس
وليس كحلاً جيء به من الهند كي يوسع عينيها
حزنها غالباً يأخذ ملامح تشبه نعجة مجترة في آخر القطيع
حزنها ليس أرملاً بل إنه تزوج مثنى وثلاث ورباع
حزنها أيضاً له جدة تعيد له الحكايا كلما أرادته أن ينام.
هرموكة
كائن يسكن الدمعة في الشتاء
وفي الصيف يسكنها الاختناق
فتعوي مثل كثيرٍ من الناس
رغم أنها بلا ذيل...
على مفارق الحيرة أجدها غالباً

أقودها من يدي كي نستدل على قلبٍ ضيعناه في زحمة الناس
نتبادل الكلام دون صوت أو إشارة..
نعرف الطرق جيداً
لكن القلب الذي ضيعناه دائماً لا نجده
ذكرته لنا عجوز يوماً [ونحن لم نسأل أحداً عنه] إذ قالت اتجهوا غرباً..
وتمتمت وهي تطأُ الأرض بعصاها:
القلوب الضالة تؤوب إلى السلالم ظانّة أنها أعشاشها
هرموكتي أيتها الحزينة مثل حزن كل الناس؛ دعيني أقودك
أو خذيني إلى حيث لا أدري..

قيموعة

إلى فيروز في ذكرى ميلادها السبعين

ليست الدار فقط تدور بنا
والتي يبدو أنها ستظل تدور بنا إلى الأبد كديكتاتور من العالم الثالث
صحيح أننا لم ننس أسامينا لكننا نسينا أبناءنا على المفرق [لم يكن هناك قهوة ولا موقد ولا نار]
نسينا عاشقات مبللات بماء رغباتهن الحادة واللواتي عشقنّ فقط للكف عن ممارستهن للعادة السرية
نعلمُ أن أبناءنا لم يحبّوا المقاهي يوماً؛ أما نساؤنا فيجدر بنا أن نطلق عليهن العدوات اللدودات للمقاهي
أظن أني ابني وعندما أكبر قليلاً سأقول:

القهوة [وأنا أقصد مقهى هنا] عاهرة بمنخرين بصيغة ممحية من الذاكرة

الصـيغة كانت ممحونة وتعيش في بيئة محافظة كالكلاسـة [مثلاً] أو عين جالوت

حتى أني لاحظت مراراً أنها كانت تدسُّ إصـبعها في «مؤخرتها» سـراً [لم تكن المفردة مؤخرتها لكن أصدقاء أصرّوا على تغييرها..]

وسيحتج البلغاء ويقولون: إنه است

بينما الآخرون سيدّعون الحياء هاتفين علناً يا لهذا الماجن

بينما في السرِّ يتحسسون أعضاءهم الجنسية

لكني لا آبه لهذا.. كحصان يجفل من صيحة غبي شرير أو صوت دبيبٍ لأفعى

نشبِّه بها النساء عادة..

الصيغة تتحول إلى رائحة تشم إصبعها

فتنتعظ.. تنتعظ

وأنا أهمس:

قيموعة.. يا قيموعة

يا وردتي الحارة..

أيتها الخارطة

لو كان لدي قلم رصاص، لملأتُ عمرك بالشخوطة

حينها لن يستطع الظاهر بيبرس محو آثاري

تذكرين عندما كنت أناولك الـ Galaxy فتنفرج أساريرك كقائد جيش انتصر في حربٍ خُلبية؛ وحينما أشـتري لك البوظة [تحديداً] من الذي بجانب مهروسة وليس مهروسة نفسه، وأقول له [دائماً] إن بوظتك أطيب من بوظة مهروسة.. لكنهم تافهون ويجتمعون على الباطل [دوماً]

كنت تضحكين حتى تبان لهاتك التي اهترأت من الشاي الساخن وتبدين كأنك...

سأنشرك على الملأ يا قيموعة

سأفضح جواربك الممزقة دائماً

ورائحة قدميك التي تثير الغثيان

وحذاؤك الذي يتسلل المطر والمياه الآسنة من خلاله إلى قدميك والذي أسميته «سوريا اليوم».

سأقول للعالم كم كنت أسدُّ أنفي وأنا أقبلك؛ بسبب رائحة أسنانك المهترئة...

لا أدري كيف أحببتك يا قيموعة رغم أنك لا تستحمين إلا قليلاً حتى أن رائحة دورتك الشهرية تظل لاصقة بك لأيام عديدة كلما شممتها قلتُ: العادة الشهرية لقيموعة قدرٌ منفرج الساقين..

في لقاءاتنا العرجاء كنت تلبسين الـ «لانجري» والذي لم يكن سكسياً أو مثيراً لـ الجنس على الإطلاق، كما أنك لم تغسليه منذ القرن الفائت، حتى بدا يشبه الزمن نفسه! وكلما ارتديته أهتف: لقد لبست الـ«عرب». وأعتقد أنك كنت تلبسينه لشكوكك أني من قتل أباكِ الذي دهسه شرطي وذهب خرا سمك كما يقولون في مثل هذه الحالة..

آه ياقيموعة

حينما كنت أبوح لفتحي بحبي لك وأتحدث له عنك قال حرفياً:

قيموعة ابنة المجزرة

ابنة الدم النابت في مخيلة 2005م

وأضاف أنه أحب رائحة الجنون المضغوط بين مؤخرتك. ولم أدرك إلى ما يرمي!

تنتوفة

خاصة عندما تكون نائمة على بطنها

وخاصة أيضا [غير تلك السابقة]

عندما تكون عارية تماماً [لا معنى لتماماً هنا]

أجزم أن عيني تتسع لها، وأتوقع لو رشفتها كما الشاي الساخن جدا -والذي لم نعد نجده في المقاهي- لسالت ببساطة إلى معدتي..

ولن أهوّم كالشعراء العشاق وأقول: إلى قلبي.. أو لاختلطت بدمي

أحيانا يخطر لي [عندما أراها في الحالة السابقة] أن أحملها براحة كفي، مثلما يحدث[عادة] في أفلام الكرتون

أحيانا [أخرى] وخاصة عندما أكون متضايقاً منها، يخطر لي أن أهرسها براحة كفي. وقد تراودني فكرة شريرة:

أنفخ عليها

لا لأنقذها من حرارة الصيف التي تهجم أحيانا [يالكثرة الأحيان] مثل «عناصر» المخابرات على شخص شتم الرئيس، بل لتطير من البلكون وأتخلص من ربّها.. غير أن وجود نسمة هواء هاربة من أمها، يجعلني أعدل عن فكرتي؛ إذ ستصعد للسماء حينها ومتأكد أن الله سيضع عينه عليها.. وتتحكم بي عندها، لأنها ستضحك عليه ويتنازل لها عن عرشه.

يخطر لي أن أفتح باب البلكون وباب البيت، وحسب اتجاهات تيار الهواء في منزلي [وليس تيارات الحداثة]، ستتدحرج على الدرج وتدوسها إحدى الجارات بانتباه شديد!

عندما أحبها أضعها في جيبي، أداعبها وإذ تقرصني من كفي، أخرجها في غفلة من الناس وأقبّلها

عندما تمانع، أرميها على الرصيف
أكثر من مرة علقتها كميدالية، لكن الأبواب لا تفتح حينها
إلخ
إلخ
أدلعها حين أحبها:
تنتوفتي.

مفعوصتي

هناك على ناصية الافتراق، تنادم إبطها، تتحسس فراغاتها المنزوية في سروالها [ولا يجدر بشاعر أن يستخدم كيلوت أو سليب...]
تفاجئني دائماً بقدرتها على الهيمنة؛ الهيمنة على مقدراتي وخرابي، على الزوايا الضيقة في حياتي، على ما أبنيه من جدران حولي، على ألواني التي أسرقها من جيب جارتنا العانس، على البطالة المقنعة لحواسي، على...
تنام كتفاصيل مجففة في كتاب
تندلع في ذاكرة معلقة على مشجب الندم
تندلع كفرافيط برازق يراها جائع كما أنا الآن
ها قد فرطتُ بسبب حبها، ويخيل لي أنها فرطت فوقي [وفرطت هنا لا أدري إن كانت فصيحة لكنها تعني: تكدست فوقي]، ومع ذلك [صدقوني] أراها بعلو السماء [أو لا تصدقوا، هذا شأنكم].
رغم أن الأمر لا يعنيني أكثر من قشرة برتقال مرمية في ساحة مضى على آخر شاعر مرّ بها ألف عام..

تركب على رقبتي وتدلّي ساقيها، مؤكدة أنها ولدت هنا!!

كثير من الأحيان [الأحيان التي تخصني وحدي] تشتعل رغبتي: أن أرميها في نهر

متوقف عن الجريان.. كي لا تذهب بعيدا

المفعوصة

تتدلى من وقتي كوردة

تنهض في صباحي كرائحتها

تحضن أيامي

كأمٍّ في الحلم.

السلنبوحة

إلى منذر مصري

كما هي في العادة؛ كائن رخو سلسبيل. تتسلق الحيطان في الشتاءات التي تتبول على نفسها! لنظرتها ملمس المخاط الذي تركه صديق في منديل «كنار» الخاص بك؛ كذكرى لن تنساها. تمشي كمصادفة عرجاء. وصوتها لا يذكرك سوى بجارك الذي تتحاشى المرور من أمام دكانه، لأنك لم تسدد دينه. يسميها الرعاة: عاهرة الباعة الجوالين! ومنهم من أصدر فتوى تحلل (...) وهذه النقاط بالتأكيد لا تدل على دمها كما سيتوهم البعض، لكنها تدل على مفردة أخرى؛ أقرب ما يكون لها «الزواج منها» [يا لهذا الذكاء الرقابي للشاعر] السلنبوحة، ليست أنثى، ولا ذكراً كذلك. إلا أن علماء اكتشفوا أن لديها بعض الفتحات، ولست جازماً فيما إذا كانت تستخدمها للتهوية!

تمشي في الليل؛ تقتفي آثار الهمس، تظن [أحياناً] أنها تتقن الرضاعة! ولأنها كذلك لا يبهجها ارتفاع أسعار النفط وهي تتابع النشرة الاقتصادية على قناة

الكويت أو تلفزيون زنجبار الوطني. ومؤخراً أتقنت التحليل؛ إذ أصبح لديها يقين من عدة صفحات بأن عماد فوزي الشعيبي [شقيقها بالملمس] لابد أن يموت؛ تاركاً وراءه فراغاً يتسع لها على الأقل؛ فهي تحلم بقناة الجزيرة؛ بل إن الشبق يسيل كالمخاط من عينيها؛ وهي تشاهد الإعجاز الطبي المتكرر للساحر عماد [كما تسميه] بظهوره على عدة شاشات في آن واحد..

لا تحب السراويل الضيقة
ولجواربها رائحة ديكتاتور أباد شعبه
يخيل لك وهي تتحدث أن مفرداتها «مقملة» وتخرج من فمها تهرش رأسها

تتنزه في الزاوية العليا لمراحيض الأماكن العامة
تتجسس على المرآة وتسرق منها صور النساء لتبيعها لتجار البلوتوث

ليست ضباً ولا أبو بريص أيضاً [ماذا تفعل أيضاً هنا أيها النقاد]
لكنها تلزق بالنساء كما يلزق القراد في إلية أنثى الماشية؛
فأينما تسمع حفيف امرأة؛ تتمسحل نحوها بهدوء شديد.. شديد.

السلنبوحة لم تلد ولم تولد
لكن يؤكد مقربون منها، أنها في صباح كل يوم تذرق نفسها..

لعابٌ يسيلُ لحفيفِ امرأة

الشاعرة المترملة

فراغها أسود

قبلاتها ببهار حاد

شعرها صادق غير أنه حزين، كأنه عين عوراء

على مفارقِ الطرقات تقف

تقف واقفة

منحنية إلى الأمام قليلاً

على قدمين منهكتين من الوقوف

واقفة بتدويرة وجه يشبه الصاج [ليس نفس الصاج الذي تحرسه القبيلة]،

لم يأبه لها أحدٌ وهي تربط حذاءَها

بين وقوفين وأكثر..

وقتها

وقتها فقط

عرفتُ أنها

أرملة.

مجرد ناس

ذاك الرجل الذي يقف على اليابسة بقلب يابس
الرجل المنحني دائماً في الطرقِ البرية
ينزعُ الشوك من أقدامه الحافية
الرجل الذي اهترأ دمعه
الرجل الذي سقطت ملامحه في مدنٍ لم تعرفه
الرجل الذي لشدة وحشته يلقي السلام على كلِّ من يلاقيه في الطريق
الرجل الضاحك دائما ليخيف الموت
الرجل الذي قلبه حديقة خاوية
الرجل الذي لا يجد من يحبه غيره
الرجل الذي ينطر الحب على مفارق النهار
تقول له «لولوه»:
عندما يمتلئ قلبك بالحب
ستجد أن الآخرين
مجرد ناس.

قصيدة جارتنا: التي كانت بعنوان جارتنا

وأصبحت فيما بعد

عازف الغيتار

المرأة التي كنت أراها من نافذتي الـ... وحيدة
الوحيدة دائماً على الشرفة

التي تشتاقها الحبال الكسيحة ورتوق الأفق
تنشر الغسيل المرتعش بأوساخ الزمن
الفواصل على الحبال بلقاطات خرساء ويتيمة؛ تنز عطسة متوارية في ظلالها؛
العطسة المحبوسة في تجاويف الخطل الأرمل
المرأة الـ وحيدة
المتزوجة من الشرفات
تستخدم أصابعها دائماً لحفر آبار مجروحة الشفاه
أنا الوحيد؛ الوحيد دائماً.. الذي لم يملك غيتاراً أبداً
الوحيد بنافذةٍ وحيدة تطلُ
على الشرفة
أنام ملء شواردها
أطرق الباب على جارتنا لأعطيها بيتين لامرءِ القيس [وليس المتنبي] وحجراً من قبره وشعرةً من رأس قيصر
جارتنا تلك
على جرس الباب ودقاته الموتورة، علقَتْ [ثمة] يافطة
[تماماً] تحت أبو أحمد:
«أنا في مشفى ابن رشد»

ماتت دون تنوير، دون أن ترى فيلم المصير
دون أن تنجب معزاتها ثلاثاً أو توائم.

الصدمة والترويع

التي أزجرها دائماً

بكلامٍ ملوث بصبرِ النار على مُشعلها

لا تأبه لكلامي؛ لا تأبه لما قاله قيس لـ ليلى حتى! لا تأبه لمفردات من مثل الحب واللوعة والفراق والشوق و...

ترميني [دائماً تفعلها] بابتسامةٍ معطرة [بشانيل الأصلي وليس التقليد]

تطلب من الكلام ما يجعل ما بين فخذيها حاداً كسكينةِ مطبخٍ؛ ما يجعل لها جناحين يتأملان مدى على مرمى من العبرات

لذلك

[دائماً] تصرُّ

ليس كبابٍ قديم

بل تصرّ

أن تبولَ

واقفة.

عاهرة الملح الأسود

الفراغات لا لون لها لكنها تأكل السواد. السواد الملتحي.. الذي يسير مثل ليلٍ مربوعِ القامة.

الرائحة بلا أضراس

الاجتناب سلّم الوقتِ الضرير

والحمّى ترتجفُ من رائحة اليد التي تلمسها

مَحقاً أيّها السواد المنتظر عند باب الفجيعة [كما ينبغي..]
منتظراً أصابعَ تُقشر جسد غانية مترملة.
الآلهة مرتخية الأصابع.. ولم يعد لها أضفار تفقأ عين العدو المسترسل في دمي. بينما البلاد تمشي وحيدة وتشرب العرق سوس! تغازل ملكة جمال سابقة؛ ولا تكف عن سؤال الأيتام عن عذابٍ نومهم دون لهفة الرضاع.
لنتبارى يا خلق الفطنة
لنهرم باكراً ونتبول بسراويلنا الملونة
أشجاركم تنام على مفارق الطرقات عارية دون قلبٍ وقد نسيت أوراقها لدى الخريف الماضي،
وحارس مسمار الحائط يُبدلُ صورته بنافذة لا تضحك
الأعمى تنهره الحيطة. والفرجة خاسرة دون موازين...
ماذا نفعل بقاموس البهجة حين تجفّ المرأة في الشمس وتُملِحُها عادات الذبح
ماذا سنفعل إن جفَّ عواء الخاطر وتشقق وجه النهار
ماذا سنفعل
ونحن دون ترابٍ
يدفن هذا القلب الميت منذ صلاة الفجر.

لباس داخلي لحبيبة عارية

كان من الممكن أن أكتب حقيقة بدلاً عن حبيبة، لكني قلت ربما سيفهم المارة أني أعني الحقيقة! وربما سيُلقى على النص ظلالاً من التوجس، وربما سيتهمني بعضهم بالزندقة قائلاً:

يا للهول إنه يجدّف على الرسول

وربما ستفهم بعض المكبوتات جنسيّاً

أن الحقيقة أعني بها رجلاً عارياً أو أحمق

بكل الأحوال أعتقد أن كريم سامي يتناول الحشيش كدواء يشفي من البرص

وهذا لا يفتن النساء به: لأنهن لا يلقين بالاً للحشيش.. فالمراعي كثيرةٌ

هذا ما قاله المغني وهو يمضي إلى مرابع القطيع..

كيف لطفلتي أن تفهم «مرابعهم» وهي لم ترَ القطيع

آآآآ

السماء الخرساء تُرضع من ثديها المارة

السماء الصامتة

السماء التي ليس فيها ولا نجم في النهار

السماء التي تحلم بها العاشقات

السماء التي تنطحنا حينما تتطاول أحلامنا

كل هذا وذاك لا يشكل مبرراً للركض وراء نقديات منتفخة الأوداج، ولا يشكل معطفاً يقي من البكاء حينما تقرر بطلةُ قصةٍ ما، أن تجعل دمع رهيفي القلوب يسيل

غير أنه مبررٌ كافٍ لأصفع ناقداً بحذاءٍ لا سلالة له

على وجهه أو قفاه لا فرق؛ فهما أشقاء [ويمكن أن نضيف جملة سمجة ومكررة من مثل:] مسكين أيها الحذاء كم ستتألم.

قصائد برائحة امرأة فاطسة

الشعراء العشاق

إلى نزار قباني وبدر شاكر السياب

يكتب الشعراء عن حبيباتهم
يكتب التلاميذ... أيضاً
يكتب آخرون...
لكن الشاعر
يكتب عن رائحتها التي تشبه بحيرة عذبة
عن وجهها الذي ياسمينة
عن صوتها المثل شروق الفجر
عن ملمسها الذي بسلاسة الماء
عن شعرها المتدفق كأغنية
عن نقاء ملابسها التي تفوح منها رائحة عدن
عن...
إذا قسمنا وطرحنا وجمعنا وضربنا
نجد: كل النساء تشبه بريجيت باردو في صباها
ألم يحب شاعر إحدى هذه النساء:
- التي تمسح مخطتها بكم قميصها

- التي أصبح قميصها الداخلي [الذي أصله أبيض] مائلا للسمرة
- التي تدخل إلى التواليت وتقوم دون أن تنظف نفسها
- التي تدخل إلى الحمام وترشق حفنة ماء وتمضي
- التي لشعرها رائحة حاويات
- التي لإبطها رائحة مزابل طازجة
- التي قدماها ويداها أخشن من «سيف الجلي»
- العوراء.. العرجاء.. الفصعاء...
- التي تمشي كسيارة مربعة الدواليب
- التي حذاؤها داست به كل المستنقعات
- التي رائحة فمها جيفة لم تأكلها الكلاب
- التي أصل أسنانها أبيض
- التي...

فراشة الليل

إلى فتحي أبو النصر

النوق ضيعت طريقها
فلا تدس أنفك في كل باب تفوح منه الرائحة
قال الثقات:
مؤخرتها ليست كما تظن
بل إنها لم تلمس الماء
منذ مات المتنبي

صبرك مفتاح العالم
فتعلم كيف تتجنب الخراء
وأنت تمشي وحيداً
في شوارع الليل.

المرأة الحنين

إلى براكل عبدالله

تنفشين الأزل بحنكة المرآة
لو كان أبو النواس إلى جوارك لأطعمك خيطان النوم
واشترى لك جُبة العنكبوت
لا تبالي بالحنين.
بالأمس فقط قطعوا ساقه
أخذوه بغتة من جوار «محجوب» وهو يهتف بضغينته
ضد رجل يريد أن يورّث كرسياً عتيقاً لابنه
قال القائل في سره:
«كفاية» لا تكفي. نريد كماشة
لأنهم دُقوا على الكراسي بمساميرَ من الفولاذ
افرشي دمعتك للعابرين
وغطيهم بعنبك الحامض.

الحياة من سطحٍ عال

إلى إبراهيم قعدوني

للعتيق وجهان
والحياةُ مخطةٌ لزجة
لمصابٍ بالزكام
فلا تحسبها تشكلس
وتضعها في فمك.

الحاسة التاسعة

إلى ماجد المذحجي

الفراق ناهز السبعين
سوادك متسخ وقميصك يبست عليه رائحة يسار تعفّن
غير أن الشوق فقد حاسة الشم
الأيام تضاجعك
ولم تغتسل يوماً من جنابتها
دليلك مد يده في المرحاض ليخرج لك الطريق
وضحكتك تجلجل كعلكة عاهرة قبل قليلٍ من الزبون
الليل طويل والصباحات تنهض، برائحة نتنة كأنك تفوح منها
تعال
نتواسد حلماً
تبولت عليه كلاب شاردة.

غزل ذريع من زاوية غير مشابهة

صورة معلقة على مدخل

إلى زمن الكوليرا

يضـــع قلماً خلف أذنه؛ ويحك أرنبة أنفه معتقداً أنه يقلد الأصـــفهاني. لم يفتعل شـــيئا ولم يحيي أحداً. واجماً طوال الدهر؛ متحايلاً على ثبات زمنه الداخلي منذ ولادته.

رآهم [مرة] يحملون الأرانب من أذنيها فأيقن أن الله ترمّل قبل قليل..

منزوياً كأنه يلف سيكارة خالية من الحشيش؛ متبصراً إرادة الله في كأس ماء خالية أمامه. حين تظهر له امرأة لا يتبين ملامحها؛ يفرك يديه بشدة، فيتأوه الهواء بينهما كامرأة داهمها الحيض.

[يوجد تصـــور آخر لهذا الأمر كأن نقول كامرأة شـــبقه تضـــاجع رجلاً خبر الجنس على يد نساء الهند]

لا يلقي بالاً لنفسه عندما تمر جارته دون شبق.

ولا يفكر بنظرية موت المؤلف؛ ولا يعتقد أن الشـــعر تحاميل تمتص ألم الوحشة...

منذ أن خرج الى الكون دون كتاب أو رســـالة.. تشـــغله [دائماً] قضـــية رطوبة الحائط المعلق عليه.

امرأة تسكن جسدها

إلى جورج أورويل

أيُّها الشر: افتح ذراعيك لي..

دعني أمتحن قوة أيماني بالسجود للمعصية.

دعني أعلك قلبك كما تعلك الريح أوراق الشجر

اقترب؛ فأنت خفيفٌ كريشة من ذيل عصفور. سأكون الأنثى التي تبسطُ ذيلها عند عتبة الرجاء.. لا تنم كأهل الكهف؛ متذرعاً أن الأمد ليس قصيراً؛ فقد هلكتُ [تماماً] ولم يعد زمني يقبل الانتظار. تضاريسي النافرة مُحيتْ لكثرة الاستعمال؛ والسوق السوداء مفسدة الجسد

أيُّها الشر: ليكن قلبك كما أعرفه؛ عطوفاً كعين مصاب بالزكام.

أتنفس عنك إن شئت

أدخلني مملكتك جارية مطيعة أطبخ لك المقادير على أشعة الشمس؛ وأقدم لك ما تستحق

أفحص لك أجساد عذارى النمل

فقط افتح لي ذراعيك.

شاعر مهووس

المرأةُ تحب البعير

الرجلُ علف الحكاية

لم يكن برسيماً ولا شعيراً

[دائماً] يقف على ساق واحدة يتأمل الناقة
المرأة ليست ناقة؛ لكنها بتصميمٍ متعدد الأضلاع تحب البعير
بغض النظر عن سنامه، وبغض النظر عن كونه يدعى سفينة الصحراء
ويتحمل العطش
المرأة تحب البعير
لأنه ينام متوسداً الضيم.

طابع بريدي

ثلاثة يصعدون المئذنة
عانس
رجل لوطي
وابن عربي.

سفينة تائهة في أول البحر

ما الذي يفعله رجلٌ ثملٌ في آخر الليل!
ينظر إلى المآذن التي تشع باللون الأخضر، موهمةً المؤمنين أن الجنة على بعد فرسخٍ من صلاة الفجر. يعدُّ الأحجار المبعثرة في طريقه ويشبّه كلّاً منها بامرأة لم يلمسها...
المآذن منتصبة لكن الرجل الثمل الذي يمشي وحيداً في آخر الليل لا يلمس عضوه.. فليس لديه اعتقاداً جَديّاً أنه الرقم ثلاثة، ولا يمكن أن نقول عنه

شجرة، وبالـــتأكيد [أيضاً] ليس عمود كهرباء، ولا يمكن أن يطلق عليه أحد

حبة فاصولياء متعفنة

إذاً

لا يوجد سبب جوهري لأن يفعل رجلٌ ثملٌ...

كما يتخيل رجلٌ في أولِ صحوه!

رجلٌ عنين دون سلاح أبيض

الرجلُ الذي يقف على الناصية ويظن أن الله عادل!

ماذا يعني له أن تفتح إشارة المرور ساقيها للمشاة!

بل وماذا يعني له الحور العين اللواتي وعد الله بهنّ عباده الانتحاريين!

الرجل الحالم بعنادٍ أبيض

ينظر بحســرة مزدوجة للمرأة الجميلة التي تمر في تلك اللحظة برفقة رجلٍ

غابر وتربط شعرها [ذيل حصان]

يعتقد بسهولة أنها تحب الشعر؛ وتربي على شرفتها طيور الحميمية

ويعتقد بشبقٍ إيماني: لو قرأت أفكاري وأنا على الناصية التي لم تنتبه لها كليّاً

ستترك الرجل الغابر وتحبني بشغف.

قصائد تجلس حافية على العتبات

امرأة مسدوحة على العتبة

إلى سوزان خواتمي

تكركر نفسها في الصباح؛ على الريق [أيضاً]، مدّعية أنه لم يعد هناك ما يبهج، ولا حتى ما يثير الريبة والشكوك. الرجال ناموا تحت صلعاتهم المكشوفة؛ والذين يروون النكات ذهبوا إلى العراق بأحزمة مفخخة.

الرجل العتيق الذي أحبته أكلته الذكورة المستشرية في الزمن؛ ونهارها صاده صقّارون عابرون.

على عتبة منقوشٌ عليها صورة حمورابي تجلسُ، تفلّي أيامها من القمل. تسلي نفسها بمتابعة إصبعها وهو يمشي على النقش. لا تأبه لصياح الديكة معلنة الصباح [فكما ذكرنا نهارها صادوه] ولا تأبه كذلك للغزل في مرتجع الجرائد التي لا تباع؛ ولا تأبه حتى لدبيب السلنبوحة وهي تصعد على الحائط الذي تتكئ عليه.

أيامها حفرٌ متجاورة

موتها يتأجل كلما جاء موعده

بلادها بقرت أحشاؤها

وحبيبها أيضاً بتروا صوته !

الحكمة الضالة

إلى نعومي كامبل ونورمان شوارزكوف

لم يعد هناك أحد يؤمن بالجنة يا رفاق؛ فالأيديولوجيا اغتصبها فتية الكهف، وبواطن الأمور تنكش أسنانها من اللحم العالق بعد وجبة من «الكبسة». والحق الحق أقول لكم: لم يعد أحد ينظر بشبق إلى المؤخرات الضالة في سوق الحميدية.

هناك...

حيث بريماكوف الحزين يجلس على قارعة الطريق منتظراً عدنان المقداد أن يمرَّ؛ بعد أن تنهي النعجة ولادتها باستمرار

الطريق فقد بريقه

ولا صبية يركضون خلف المجانين..

أؤكد لكما يا رفاق أن النهار نام في شتاء قارس دون غطاء؛ وأمه كانت تنظر له ببرود اعتيادي. بينما كان الليل متشفياً؛ يمارس عادته السرية دون اكتراث إلى لحمه العاري.

تقاعد مبكراً.. قبل شروق الشمس

إلى الكولونيل لؤي بلال

يحضر دائماً مع ظله

ويدّعي أنه وحيد

للوهلة الأولى يبدو حُمصيّاً، ويشك كثيرون قبل أن يتكلم [وهو لا يعرف لغات] أنه ربما كان ألمانياً

لكنه حين يبرز بطاقته الشخصية في آخر الليل لشرطة القطارات يُعرف على الفور أنه سوري [للأسف]

في المقهى حين يطلّ؛ يتمتم رجل يلثغ بالراء: حضر المُفتن. ولا يجانب الحقيقة، فهو يحب الفتنة العارية.. والتي يصادف أن تكون منبطحة على بطنها على الشاطئ...

رجل يعلم بالغيب

لكنه لا يعرف ماذا ستلد الشجرة بعد قليل

بل لا يعرف ماذا وراء الشجرة [أساساً]

كولونيل بلا أعداء جديين: كحبة بطاطا كبيرة [مثلا]، أو عمر قدور بذكاء فطري ينكش الكلام من تحت الطاولة ويدّعي أنه ليس مسلماً تمويهاً لأصدقاء الله

يرافق ابن عربي في صعوده للمئذنة

لكن أحداً على وجه الدقة لا يعرف لماذا!

مرة زعم أن الوحي أتاه في العندليب فقال: كُشري

ولم يتبعه أحد

لا يثق به باعة السجائر المهربة

لأنه يبدّل دخانه أكثر من مرة في الشهر

ولا يثق به الروائيون المهرة لأن «يوسا» لا يعجبه كثيراً

ولا يلقي الأطباء له بالا لأنه لا يمرض

باختصار

انه كولونيل تقاعد مبكراً ولا يكاتبه أحد.

نساء شارع الثميري

إلى عبد الله الشمري وسيغموند فرويد

تعتقد المرأة الضالة في عباءتها السوداء؛ أن أحداً [ربما] سيأبه لبنطلون الجينز الذي ترتديه ولا يراه إلا الله. يعتقد الرجل الجالس على أحجار شارع الثميري [وضعتها البلدية لتذكر الناس بالحق]؛ أنه لا يمكن للحياة أن تمضي من طرفٍ واحد..

حين ينتقل هذا الرجل إلى المقهى المقابل لقصر «المصمك» لا يعتقد العكس أبداً؛ لكنه يسلي الوطأة بالتفكير بجملة يكررها «لا أحتاج لحبلٍ أو سلاح لأفتح الرياض وحدي»

الرجل نفسه [والذي قد يتقاطع مع الشاعر نفسه أو يكون هو] لا يرى مبرراً منطقياً لأن يكون للنساء [هنا] مؤخرات!

ماذا سنقول عنه لو مصّ إصبعه على الملأ..

وماذا لو قرأ جريدة [الحياة] دون أن يقيم علاقة جنسية مع الكلمات!

هذا الرجل [السابق] أعيته الحيلة حرفياً !تراه يسند رجله على الصخرة، ورويداً رويداً يدفعها؛ بالطبع لن تتحرك الصخرة بل سترتفع قوائم الكرسي الأمامية ويصبح واقفاً على ساقين [وهي لفظة خاطئة لأرجل الكرسي]، هل يمكن تشبيهه بحصان في هذه الحالة!

وماذا عن أحلام الرجل دون الكرسي!

هل سيمجد الهواء الذي كان هنا قبل سنوات؛ وجعله يرى بنطلون جينز [أخضر] من ناحية الساق السفلية [التحديد مطلوب في مثل هذه الحالة كي لا يتهمه حامد بن عقيل بتشويه سمعة البلاد. أو يتهمه عواض شاهر بالحقد المكرور كبكرة فقدت نصابه]،

ومن أجل المروق من سيف الفتنة قال: ربما أجنبية!

بالطبع المسألة أكثر تعقيداً من تحليلات عبدالله الشمري التي تنتف شعر المناطق الحساسة بالعقيدة.

فجرٌ أعور وتفوح منه رائحة المراحيض

إلى تحية كاريوكا وجمال عبد الناصر

المشهد بعيد؛ لكني أراه بوضوح
النسوة تحمل السلال المليئة بالحصى وتتجه نحو النهر
المرأة الثالثة من اليمين تلعبُ بذيلها [وتعرفون ماذا يقصد بهذا التعبير]

الشمعة انطفأت. قال الرجل للمرأة وهو يهمّ بتقبيلها. الأزرق حادٌ ويجرح ما بين ساقيّ. قالت المرأة لرجلٍ آخر وهي تغلق فخذيها. البلاد أسدلت الستارة على مسرحية تافهة تقلد برنامج «افتح يا سمسم..»
لا شيء يعنينا من كلِ هذا، لكن التوجس من الكلام يجعلنا نراقب الشفاه، وإذا كانت لامرأةٍ جميلة نتلهى بتخيل شيء آخر. هل تعتقدون أن للمسامير وظيفة أخرى! وهل تعتقدون أيضاً [أيضاً الجميلة، وليست تلك المقرفة التي يستخدمها الشعراء] أن الإغواء هو وظيفة جَدْي وليس المرأة التي أحبها.

ربما سيقول أحد الذين يداوون وجع المفاصل ببول البعير: ما علاقة جمال عبد الناصر بهذا [هذا يعني أنه اكتشف علاقة تحية كاريوكا!] الأمر لا يعدوا أن يكون مثالاً؛ فالرجل كان يحاول أن يداوي الجلطة بالتعاويذ؛ ويهدر وقته في مراقبة أفخاذ الكلمات وهي ترقص. وبالنتيجة هذه ليست مشكلة الشاعر.

زمنٌ اتسختْ ثيابهُ

إلى حنا السكران

وا أسـفاه؛ وا أسـفاه على هذا الزمان.. لم يعد هناك عجائز يجلسن على العتبات؛ يلكن سيرة الناس ويقذفن المحصنات. لم يعد هناك شيوخ مسنون يجلسون أمام البيوت، يدخنون سجائر الـلف، مراقبين الصبايا المراهقات بأعينهم التي ليس هناك غيرها صالحاً للانتصاب.. وا أسفاه؛ لم يعد هناك أيديولوجيا يقنع بها الشعراء الشباب، الصبايا متوهجات الأنوثة، لينمن معهم على أسرة حديدية وتزقزق.. لم يعد هناك رايات لقضايا كبرى يرفعها العنينون ويسلّون بها أوقاتهم

وا أسفاه..

الإسلاميون يتحسرون على انحسار أخلاق الصحابة الذين قتلوا من بعضهم في صفين 92 ألف «شهيد»! ولم يعد لديهم من عمل سوى لعن البرتقالة النائمة على الطريق مكشوفة الساقين والمؤخرة. [والشاعر هنا يرمز للفتنة]

الشيوعيون يتحسرون على مجد غيفارا الذي قتل آلاف الأبرياء، وعلى الاتحاد السوفيتي [الصديق] الذي أمدهم بالكتب الرخيصة الثمن، وبالسلاح والمبررات لقتل البرجوازيين والفقراء الذين قاوموا الثورة بالعادة السرية

الراعي [فيلسوف الحكمة] يتحسر على المراعي التي كانت تشبع الأغنام، وهي ترعى وتجترُّ. الفلاح على كيس القمح الذي كان يعطي خمسة أكياسٍ دون سقاية، بينما يقطّع أوقاته برواية غزوات أجداده على نساء الجيران. المعلم على العلم وأخلاق الطلبة يوم كانت الأمية تضرب أطنابها في المرابع...

الزمن يتحسر على ساقيه البطيئتين. على ثيابه التي كانت قذارتها تبانُ من مسافة أميال. على وجهه المليء بالندوب. على أرنبة أنفه التي جدعها بيل غيتس. على حاسة السمع التي فقدها. على ذكورته التي ما عادت تعني شيئاً لهذا الجيل المصاب بداء «نكران القديم».

وا أسفاه

هذا الزمن لا يتأسف على شيء ولا على أحد.

قميص الشعر

إلى علي العمري

حين بدأ الكلام قال كثيراً لم يفهمه أحد؛ كان كمن يطبخ «الكبسة» في بلاد الإغريق. قادماً من الجنوب بثوب مرقّع بالحكمة غير أن أحداً من حكماء الرياض لم يجالسه بحجة أن به مسّاً من الشعر. كتب قصائد ونشرها! فقرأها أحمد كتوعة وسعود السويدا في دوامهم الرسمي.

يختلي بنفسه ليشتم المدن؛ فهو يرى أن بيوتها وناسها وشوارعها مجرد غبار لا يُمسك. ليدلل على صدق نظريته يدخن معسل العنب.. لكنه حين يذهب إلى مقهى داخل المدينة يضطره «مطاوعة الرياض» أن يدخن السكائر الأجنبية إذ لا يوجد دخان وطني في بلاده.

في آخر الليل يطالبنا بدم الشعر؛ رغم أن أحداً منا لا يعرف القتيل، وليس فينا من نازع المسلمين على خلافتهم. يؤنب نفسه دائما لأن نملة في أفغانستان داستها قوات التحالف ولم ينقذها شعره من براثنهم.

رأيته مرة يقف على التقاطع بين الدائري الشمالي والدائري الشرقي بثوبه الذي جاء به من الجنوب يدفن الذنوب التي لم يرتكبها أبداً.

في مقهى الأمم رفع قميصاً أبيض ملطخاً بكلمات سوداء وخطب فينا بحماسة شديدة كأننا سنذهب الى الجبهات المستحدثة في كوسوفو أو الفلوجة..
قال إن الناس أصبحوا يؤمنون بعوراتهم أكثر من الشعر، الناس الذين ضللتهم حواسهم؛ باعوا الأمل بعملات رديئة ستأكلها البنوك... لم يكن يرتدي عباءة ولا أدري كيف أخفى أبناء الأرامل ليهجموا علينا: يا لثارات الشعر يا لثارات الشعر.. لم ينقذنا من سلاحهم الأبيض [كانوا يستخدمون العُقل التي صنعت من شعر الماعز الاصلي] سوى صياح عامل المقهى البنغالي [إس في.. ليس في گرگر كتير].

فرويد بقبعة سوداء وكالحة

إلى فرزند عمر

لا أحد يعرف على وجه الدقة نوع الحذاء الذي كان يرتديه فرويد. لا أحد من المؤرخين أكد لنا هل كان يحب البهار الحاد أم لا! ولا تذكر كتب السيرة كيف كان يمارس الجنس مع عشيقته. بل؛ لا أدري شخصياً إن كانت له عشيقة أصلاً!
لكني أعلم علم اليقين [حسب مصادر متواترة في الخرافة] أن القرامطة سرقوا الحجر الأسود، ولم يعد أحد في هذا العصر يأبه لهذا..
الرجل السوري الذي نسي سلالته على العتبة، ولم يعد يدري [بعد أن دخل الغرفة] إن كان عربياً وصار كردياً أم العكس! ولا يدري إن كانت خالته آشورية أم سريانية، بل ولا يوجد سندٌ وافٍ على دعواه أن جدته التي ترملت باكراً كانت أرمنية!

الرجل الكردي الذي تزوج شركسية وأنجبت أطفالاً [صغاراً!] لا يعرفون بأي لغة يتحدث الكُرد! كان صديقاً للوعول ومنذر مصري، وقرأ بتردد أعزل شركو بكه سي!

هذا الرجل المهووس بعدد الكتب في مكتبة الكونغرس، يعتقد أن الله أوحى له وحدثت المعجزة بعد قرون وكلم السيد الرئيس..

قبل المعجزة بأيام؛ هبطت عليه الملائكة وفتشت كليوتات أطفاله عن قنابل مفخخة باعتباره سوري. فربما «ضرط» أحد اطفاله وهرب الوحي!

... وبعد أن اختارته الملائكة رسولها الى السيد الرئيس استعطفه رئيس المشفى بتذلل واضح ألا يغيب عن الوعي! بينما تلبسته شخصية الراوي في قصيدة كافافي [بانتظار البرابرة] وأصبح يشير بيده بامتعاض شديد: الشباك الذي هناك ليس نظيفاً والرئيس يحب النظافة..

لماذا لا تضعون وروداً على الشرفات فالرئيس يحب منظر الورد!

لماذا هناك الكثير من المرضى في المشفى فالرئيس لا يحب المرضى..

المرأة القادمة من عصرٍ آخر

الى دلع المفتي

المرأة التي نسيها عصرٌ ما، وتركها على أبواب المدن توزع رايات تضحك للقادمين؛ لم تذكر الكتب في أي عصرٍ عاشت حياتها الأولى. لكن قادمين من بلاد الإغريق قالوا إن فيها ملمح من بنلوب. وما يجعل ذلك مقبولاً أنها في أوقات نومها تفكر إن كان ما بقي من الخيوط يكفي لنسج تلويحات ترافق الذاهبين.

تمشي بكعب عال ولم تتعثر يوماً، وشاهدها أناس تبكي مرة وتدفن الدمع في صحراء متخيلة.

تلك المرأة التي أودعها الحب عملات ذهبية حينما سافر الى الحج فتبرعت بها لأبناء ليسوا من نسلها! كان لديها هواية غريبة عندما تمشي على الشواطئ؛ فبينما الآخرون يجمعون القواقع كانت تجمع الغرباء ..

يناديها الغرباء يا أمنا.. أحياناً لا ترد لأنها مشغولة بوضع الميك أب..

يذكر مؤرخون أن طبختها لم تحترق يوماً. وقالوا في ذلك: طبختها لا تحترق لأنها لم تضعها على النار يوماً وكانت تكتفي بالشمس؛ إلا أن نادي حافظ يصرُ على أنها تعلمت الطبخ من الأم تيريزا

حملت عبر حياتها القاباً كثيرة فقد كان أهل الصحراء ينادونها «السيدة الخضراء» رغم أنها لم تذهب الى بغداد يوماً ولم تزر ما سمي بـ «المنطقة الخضراء». بينما القادمون من المدن ينادونها «سيدة العصافير» وزعموا أن العصافير تحط على كتفها عندما تتعبها الهجرات.. لكن أحداً لم يلقبها بـ «ملك ملوك افريقيا» أو «السلطانة السابقة لزنجبار».

سأذهب إلى أرض أخرى

إلى كافافيس

كلُّ من يحدق في البعيد سيبحث عن مدينة أخرى. الإسكندرية لم تعد كما تركتها، وبحرها الآن عجوز مصاب بالزهايمر، لم يعد قادراً على استقبال المراكب، بل لم يعد قادراً على تذكر أيامه حتى.

لم يعد أحد يبحر من الإسكندرية يا كافافي، ولم تعد روحها تتجول في الطرقات بشعرها الطويل وبناطيلها الضيقة.. لقد سكنت العشوائيات، وعلى الدوام تلبس القفازات كي لا تصافح أحداً.

المدينة نسيت البحر وأدارت وجهها للصحراء منذ وقت طويل؛ ولم يعد على شواطئها نساء يغسلن بشرتهن بالضوء القادم من الأقاصي. ليلها يأتي باكراً لينام بحذائه على بسط مهترئة..

لقد خدعتنا يا كافافي؛ غررت بنا، فجئنا متلمسين خطاك.. لم نجد بحراً ولا سراويل معلقة على الشرفات.. ولم نجد أثراً لك في المدينة

جئنا لنصافح أيامك ونبني على أطرافها بيتاً تسكنه الريح، جئنا نبحث عن مدينة أخرى مسكونين بحلم إيثاكا.. وجدنا أياماً ميتة. في المساءات نجلس على حافة قبورها نتسلى بالنظر إليها وهي تمضي..

المدينة التي أصبحت باردة أكثر من قدرة جسد عارٍ على التحمل،

المدينة التي لم تعد تزورنا في ليلها الأحلام،

المدينة التي لم تعد أنثى؛

لن ندع الشيخوخة تدركنا فيها منتظرين البرابرة.

منزل يليق بالضيوف

إلى خلف علي الخلف

أنا وحيدُ الضلع، آخر الأضلاع، بقايا مستطيل قُتل أهله في عملية انتحارية أو مربع سرقوا بقية أضلاعهِ.

أنا الهمزة المنسية في آخر السطر، الهمزة التي على النبرة [ويخطئ الصحفيون السفلة في كتابتها].

أختبئ [أحيانا] بين النون وأبنائها، وأحيانا بين السين والسماء، وفي أحيانٍ [أخرى] أمحو آثاري كي لا يتبعني أحد

أنا من يشتري الماء ليسقي الأموات. الذي يخطئ بالحساب [دوماً] ولا يعرف على وجه اليقين أنَّ واحداً زائدَ واحدٍ يساوي واحداً أم اثنين!

أخبئ في دفتر أيامي ممحاة لأمحو بها الذكريات، وأرسم على وجه من أحب كوخاً وأسكن فيه. في المساءات البطيئة أنادم الريح وأشرب معها البيرة في «سبيت فاير»؛ تلك الريح التي تتسلل من شقوق النافذة الوحيدة أو الباب الوحيد مثلي؛ وحينما أخرج من البار، أدس يدي في جيبي لأحصي ما بقي من خسارات.

أعود الى ما أسميته «منزل يليق بالضيوف» في شارع الإسكندر الأكبر، لأفتح نافذتي التي تطل على مقبرة، وعادة أخاطب القبور:

لو كنتُ في «بوركينا فاسو» أو حتى «فولتا العليا»، ربما نصبوا لي تمثالاً في إحدى الساحات؛ لكن حظي البائس جعلني أولد في أمة من العظماء! لم يصل الدور إلى أي من هؤلاء [العظماء] الذين في المقابر، لتُنصب لهم تماثيل.. أو تسمى شوارع بأسمائهم.. لذلك عليَّ أن أشتري قبراً من الآن

فالموت أصبح كثيراً.

يوميات الحرب القائمة

DIARIES OF PRESENT WARTIME

2015

إلى الشُّهداء والمعتقلين المجهولين؛ الذين لم يذكُر أسماءَهم أحد

كُتبت نصــوص هذه المجموعة من شــتاء عام 2012 وحتى خريف 2014 وفي مدن مختلفة: الإســكندرية، القاهرة، الرقة، اســطنبول، غازي عينتاب، صوفيا، أثينا، يورن، ستوكهولم..

يوميَّاتُ الحرب القادمة

ضيف

الحَربُ تَطرُقُ البَابَ؛
البَردُ قارِسٌ في الخارجِ
افتَحوا لها كي تَتَدَفَّأَ بِنا
قدِّموا لها الدمَ السَّاخِنَ كي تَهدأَ رجفَتُها.
الحربُ مسكينةٌ؛
لا تجدُ ما تأكُلهُ؛ فتأكُلُ الجثَّثَ
لا تتركوهَا خارِجَاً في هَذا الزَمهريرِ
فقدْ تموتُ منَ البردِ
ويفرَحُ الأشرارُ الذينَ يكرَهُونَهَا.
افتحوا لها بابتسامةٍ تليقُ بضيفٍ عزيزٍ
ورحِّبُوا بِها:
أهلاً بكِ أيتُها الحَربُ،
تفضَّلي!
البيتُ بيتُكِ ونحنُ أهلكِ
ستشربينَ ما تشائينَ من دمِنَا؛
سَتأكُلينَ حتَّى تشبعي، من جُثَثِنا..

عِدينا فقطْ،

أنّك ستأخذينَ الطاغيَّةَ معكِ في طريقِ العوّدَةِ.

3-1-2012

زيارة

افتَحوا النوافِذَ؛

دَعُوا الشمسَ تُعقّم المكَانَ،

والهواءَ يطردُ رائحةَ نومِ ليلةِ البارحةِ!

الحربُ قادمةٌ؛ ولابدَّ أنْ تجِدَ منزِلَنَا نظيفاً

الحربُ لا تحبُّ النومَ؛

فلا تترِكُوا أثراً لهُ.

أيُّها الأولادُ استعدوا؛

البَسُوا ما تُحِبُّه الحربُ؛

بدلاتٍ خضراءَ داكنةً كاللِّباسِ الميدانيِّ للجنودِ

تزينوا بالسلاحِ؛

فالحربُ تبرقُ عيناهَا، نشوةً؛ عِندَما تَرى السِلاحَ.

خُذوا الأقارِبَ والجيرانَ لِمُلاقاَتِها؛

الحربُ التي لم تزرْنا منذُ زمنٍ طويلٍ، تحتاجُ من يُرشِدُها إلى الطريقِ.

يا ابنتي؛

أعدّي الحمَّامَ للحربِ

فهي قادمةٌ من سفرٍ بعيدٍ

جَهّزي لَها مَناشِفَ نظيفةً؛
واعطِها من ملابِسِ إخوتِكِ
ربَّما تَطولُ إقامتُها عِندَنا.

3-1-2012

بريد

مَرحباً أيتُها الحربُ!
الطاغيَّةُ يُرسِلُ سلامهُ إليك؛
ويقولُ: تأخرتِ.
وزَّعَ أعوانَهُ في مُدُنِنا،
في كلِّ مُدنِنا،
وخطبَ بنا مهدِّداً؛ بأنَّه سَيُشعِلُك، ولنْ ينتظركِ طويلاً.
قالَ ذلكَ وهو يفركُ يديهِ متحمساً.
يقولُ إنَّهُ أعدَّ كلَّ شيءٍ لتكونَ إقامتُكِ مريحةً..
السِّلاحَ،
السيَّاراتِ المفخّخة،
القنَّاصةَ، الجثثَ، المقاتلينَ الأشدَّاء...
قالَ إنَّ أنصارَهُ ملُّوا،
وهم يقتلونَ عشراتِ الأشخاصِ يومياً؛ لأغراضِ التدريبِ، ورفعِ روحِهِم المعنويةِ، التي يأكُلها الترقُّبُ والانتظارُ.
صَاروا ينادونَ: أينَ الحرب؟

نريدُ أن نطبخَ في قِدرِها الكبيرِ آلافَ الأعداء.

فكِّري جيّداً أيتُّها الحربُ

سأعودُ لأني تركتُ أمي تبكي في منزلِنا،

ووقعي لي على استلامكِ رسالةَ الطاغية.

13-1-2012

حماقة

• صباحُ الخيرِ يا صديقتي الحربُ!

أين تأخذينَ هؤلاءِ الرجالِ بتلكَ الشاحنات؟

• دعوتُهم إلى وليمةٍ في بيتي الذي يُسمَّى «جبهاتِ القتال»

سيذهبونَ لقتلِ أعدائِهم.

هذه الحربُ حمقاء؛

فالرَّجلُ الصامتُ، الذي يلفُّ رأسَهُ بلفحةِ الصوفِ، أعرفُه،

وهو أعمَى؛

كيفَ سَيعرِفُ عَدوَهُ ليقتُله!

16-1-2013

تهوُّر

هذا الرَّجلُ الذي ينتظرُ سيَّارةً عابرةً

رجلٌ أخْرَق؛

ذاهبٌ إلى الحَربِ بذخيرةٍ من هُتافٍ؛
وفي صُرَّةٍ بيضاءَ يَحمِلُ قُبُلاتٍ باليةٍ منْ حُبٍّ قديمٍ
يقولُ إنَّ هَذا كافٍ كي يُواجِهَ دباباتِ العدوِ!

19-1-2012

متظاهِرون

يا ابنتي
إخوتُكِ سيذهبونَ للتظاهُرِ مِنْ أجلِ الحريَّةِ؛
ضعي لهُمْ زغاريدَ قويةً في صُرَرٍ سميكةٍ
ربَّما يُقتلُون
ولا يتعرّفُ عليهِم أحدٌ
ربَّما يُدفَنون في مقابرَ جماعيةٍ؛
ولابُدّ من زغاريدَ تُرافِقُ أرواحَهم للسَّماءِ،
وتؤنسُ وَحشَتَهُم في الطريقِ.

2-2-2012

وقاية

• أبي.. لماذا يقتلونَ الأطفال؟
• كي لا يكبروا يا بني!

6-2-2012

سؤال

• أينَ يذهبُ الشهداءُ يا أبي؟

• إلى السماءِ يا بني..

يحرسونَ الشمسَ كي لا يطفِئها الطغاة.

• وماذا يفعلونَ في الليل؟

•في الليلِ يهبطونَ.. ليحرسوا أحلامنَا.

9 – 2 – 2012

مرآة

قبلَ أنْ تخرجَ الحربُ إلى الشارعِ؛

ترتدي المبرراتِ المُغرية، وتضعُ العُطورَ النفاذةَ، لتثير عشاقاً جُدداً.

تقفُ أمامَ المرآةِ؛ تسرحُ شَعرها الطّويلَ، تضعُ المساحيقَ على وجهها، لتخفيَ أثارَ الندوبِ العميقةِ، والجُثثَ التي تركَها عُشاقُها السّابقون.

12-2-2012

نسيان

أيُّها الشاعرُ!

أنتَ تكتبُ مِنْ ذاكرةٍ قديمةٍ؛

فَلَمْ يَعُدْ هُناكَ جَبَهاتُ قتالٍ،

ولمْ يَعُدْ أحدٌ يَذهبُ إلى الحربِ..

الحربُ أصبحتْ تتجوَّلُ في شوارعِ المدنِ

تأتي إلى النَّاسِ في بُيوتِهم.

الطغاةُ أنشأوا شركَاتِ قتلٍ سريعٍ

توصِلُ الموتَ مجاناً!

17 – 2- 2012

هنا الحربُ
يوميَّاتُ الحربِ القائمةِ

جِزء من تعريف طويل للحرب

الحَربُ تعني الحربَ.

لنْ يخطُرَ على بَالِ أحدٍ مُربى المشمشِ، أو عصيرَ البرتقالِ أو شَمعَدَاناً؛ عِندما يَسمَعُ كلمةَ «حرب».

الحَربُ لها صَوتٌ؛ تنبحُ ككلابٍ ضالَّةٍ، وجائعة.

الحَربُ لمْ تعُدْ سَيفاً وحِصَاناً. لمْ يعُدِ المحارِبُ يَرى مَنْ يقتُلُه، يَنظُرُ في عينَيهِ، يَرى الرُّعبَ أو الشَجَاعَةَ، يرى الذكرَيَاتِ تَبرُقُ في عينيهِ، أو صورةَ العائلةِ. ولا يستطيعُ المقتولُ رجاءَ القاتِلَ بأنْ يُمهِلَهُ قليلاً ليُجريَ مكالمةً هاتفيةً يودِّعُ حبيبتهُ أو أمَّهُ.

الآنَ، يمكِنكَ مُشاهدةُ الحَربِ حتَّى لو لمْ تشترِكْ فيها، كأنَّكَ تشاهدُ أحدَ برامجِ «تلفزيون الواقعِ»؛ فالحربُ تُبثُّ مباشرةً على القنواتِ الفضائيةِ، ولا تقلقْ إن فاتكَ موعدُ البثِّ، يمكنكَ مشاهدتَها على «اليوتيوب».

لا تزال الحربُ تختارُ أماكِنَها. وراياتِها.. تختارُ الأعداءَ أيضاً. لكن لمْ يعُدْ بإمكانِها اختيارُ القتلى بِدقة. فمَن يُطلِقُ صاروخاً عن بعدِ آلافِ الأميالِ لا

يســـتطيع معرِفة قتلاه، ولا عددهُمْ. نشـــراتُ الأخبارِ تبلِغُهُ بعددِ من قتلهُمْ، وفي العمومِ، عندما يكثرُ القتلى يتمُّ تجاهلُ حتى أسمائِهِم.

المتفرّجونَ وظيفتهُمْ الوحيدةُ هي الندبُ. يصـــفِّقونَ بحماسٍ في البدايةِ لكنّهم سـيندبونَ لاحقاً. في الحروبِ، الجميعُ يتعلَّمُ الندبَ ويتقنُ التشـردَ. حتى أهالي المنتصرين الذين أكلتهُم الحربُ لتهزمَ الأعداءَ.. سيندبون.

من يصـــفّقُ للحربِ يعتقدُ أنَّها لعبةٌ رابحةٌ، أو عرضٌ مســـلٍّ على الأقل، لا يعتقدُ أنَّها سـتمسُّـهُ أو أحداً من عائلتِهِ أو أصـدقائِهِ.. لكنَّ الحربَ سَـتجعلهُ يندبُ بالنتيجةِ كالآخرين.

الحربُ تحتاجُ من يشعِلُهَا، ثمَّ تتغذى من مواردِها البشـريةِ ذاتياً، وكلَّما أكلتِ المزيدَ، استعرت، وصعُبَ إخمادها.

الحربُ تأكلُ على موائدِ الجميعِ، لذلكَ سيقلُّ المحارِبون، وينصرفُ المشجعونَ خوفاً منها.

الحربُ تتوقفُ عندما لا تجدُ من يطعمها جثتَه.

6-8-2013

رسالة لصديقة لا تقرأ

عزيزتي الحرب:

قـالَ أبي أنَّ أخلاقَـكِ تـآكلـتْ؛ فـالـذين يخوضـــونَ الحروبَ الآنَ مجردُ رعـاعٍ وليسوا فرساناً رعاع حصلوا على سلاحٍ يا بني. هكذا قال.

قالَ أخي؛ الذي خاضَ ثلاثةَ حروبٍ ضـــدَ الأعداءِ، أنَّ ما يجري ليسَ حرباً إنَّه مجردُ قتلٍ وشهوةٍ للدم.

لا يعقلُ -عزيزتي الحربُ- أنْ نسمي ذلكَ حرباً؛ حينما المدافعُ تقصفُ أناساً يحتمونَ بملاجئ المدارسِ، ولم يذكرِ التاريخُ أن طاردَ المحاربونَ الجرحى لقتلِهم، واستخدموا تقنياتٍ تكشفُ المشافي لقصفِها.

عندما يكونُ هناكَ مسلَّحٌ لات نضبُ ذخيرتُهُ [كما في الأفلامِ الأمريكيةِ] يدخلُ مسجداً ويطلقُ النارَ على المصلينَ، لا يمكن تسميةُ ذلكَ حرباً حتى بلغةِ «البراك براك».

كيفَ يمكنُ أن نسمي ما يحدث حرباً، إذا كانَ الناسُ يواجهونَ المدافعَ بالأغاني، أو يواجهونَ الدباباتِ باللافتاتِ كما في «كفرنبل».

أمي لم تصدقني عندما قلتُ لها إنهم في كلِّ جنازةٍ يطلقونَ رصاصاً على المشيعين ويرتمي النعشُ بجوارِ القتلى الذين كانوا يحمِلونَه. قالت إنكَ تقرأُ من الكتبِ. هذهِ الأشياءُ تحدثُ في الكتبِ، ولو بلعتَ ورقَ المصحفِ لن أصدِّقَكَ.

أمي عاشت في عصرٍ آخرَ؛ في عصرٍ كانت تمرُّ فيهِ الجنازةُ فيصمتُ العالمُ، يطفئونَ أجهزةَ الراديو ويحيّونها بصمتٍ؛ يقرؤونَ الفاتحةَ للميتِ أو يرسمونَ علامةَ الصليبِ دونَ أن يعرفوا الميتَ.

أمي لا تصدقُ أنَّ هذا يحدثُ الآنَ!

11-3-2012

نحو

أطلقَ الجنديُّ النار

أطلقَ الجنودُ النار

الجنودُ يطلقونَ النار

الجنديُّ يقتلُ...

الجنديُ ليسَ فاعلاً؛

الفاعلُ تركَ الجنديَ في الجملةِ يواجهُ مصيرَه؛

وذهبَ يلعبُ «البلاي ستيشن».

8-3-2012

شرح مفردات

الحربُ لم تعُدْ بعيدةً،

الحربُ تتقدمُ،

الدبابةُ التي كانت تحرِكُهَا ابنتي بـ «الأتاري»، تمركزَتْ خلفَ بيتنا؛

وكلما أطلقت قذيفةً،

تبكي قتلى لا تعرفُ أسماءَهُمْ.

هكذا فهِمَت ابنتي معنى «الحرب» التي مرت معها في كتابِ القراءة.

4 – 8 - 2012

سنعود بعد قليل

هييه أَيَّتُها الحَربُ..

انتظرينا!

نحنُ ذاهِبونَ لِدفنِ إخوتِنا الذينَ قتلَهُم أعداؤُنا،

وسنعودُ إلى القتالِ؛

وأعدَاؤُنا ذَهبُوا لدفنِ إخوتِنا الذينْ قتلناهُمْ،

وسِيعودونَ إلى القتالِ.

حتى نَفرغَ لكِ؛

يمكنكِ أن تتسلي بكتابةِ قصصٍ عن الشُّهداءِ.

13-3-2012

نيابة عن جثة

انظرْ!

إنهُ دمٌ..

دمٌ على الوجوهِ

دمٌ على الشاشاتِ

دمٌ على...

دمٌ على ثيابِ القتَلةِ

انظرْ

هذهِ الجثةُ كانَ فيها روحٌ قبلَ قليل، كانَ لديها أحلامٌ وحكايات؛ تفكرُ فيما تفعلهُ غداً..

ربَّما فكرتْ أنْ تطلبَ الصّفحَ من صديقٍ أخطأت بحقِهِ.

ربَّما كانت ستطلبُ غداً من أمِّها أن تغفِرَ لها عدمَ مساعدتِها في أعمالِ المنزلِ لهذا اليوم.

ربَّما كانت تفكرُ أنْ ترسِلَ صورَتَها الأخيرةَ لصديقٍ.

ربَّما كانت تريدُ أنْ تطمئنّ على جيرانِها وكيفَ كانت ليلةُ الأولادِ في البردِ دون مدفأة..

إنها الآنَ جثةٌ جفَّ عليها الدم!

13-3-2012

تجارة قديمة

هذا الصباحُ هادئٌ بشكلٍ غريب!

لا يوجدُ ضجيجٌ ولا مارةٌ

لم أشـربْ قهوتي؛ لأنَ سـجائري نفدت ليلةَ البارحة؛ حيثُ دخنت كثيراً وأنا أفكرُ بمصيرِ أصدقائي الذينِ ذهبوا إلى الحربِ.

رأيتُ الأولادَ من بعيدٍ عائدين، خطاهُم ذابلةٌ،

يحملونَ أكياساً بأيديهم.

حين مرّوا من تحتِ شرفتي؛ سألتُهُم ببرود:

•أينَ كنتم يا أولاد؟ وما هذهِ الأكياسُ بأيديكُمْ؟

•كنّا في الجبهة، نجمعُ الفوارغَ. سـيمرُّ تجارُ الحربِ ويشـترونها. سـيعيدونَ تعبِئَتَها ويبيعونها للمتقاتلين.

16 – 3- 2012

أرق وراثي

الحربُ نضجَتْ؛
كفتْ عن الطيشِ
لم يعدْ يُغريها أيٌّ عابرٍ لتقتُلَه برصاصِ قناصٍ؛
صارت تختارُ قتلاها.
الحربُ القاتمة الحضور؛ يتكاثرُ حولها المحاربون،
يأكلونَ خبزاً يابساً، وينادونها:
أيتُّها الحربُ سنطعِمُكِ أجسادَنا.
الحربُ؛ ومنذ أن خلِقَتْ، تتركُ الضحايا في العراءِ؛
وتأكلُ الأيامَ، الأبنيةَ، الأشجارَ، الزرعَ، الطفولةَ، اللعبَ، الضحكَ، الليلَ، النومَ، الدموعَ، النهار...
لا تملُّ من تكرارِ نفسها،
تعيدُ سيرتها للمحاربين الجدُدْ؛ ينصتُونَ لها بشغفٍ؛ كأنها تتحدثُ للمرةِ الأولى، ويتورطونَ في لعبةِ الإغواءِ التي تجيدُها.
الحربُ لا تنام،
فتأخذُ أرواحاً تسهرُ معها.

24-6-2012

غرامة

يصحو الجنديُ في المشفى،
المكانُ أبيضُ ونظيفٌ، ممرضاتٌ بأرديةٍ بيضاءَ يتحركنَّ بخفةٍ..

لوهلةٍ أحسَّ أنَّه في الجنةِ،

حيثُ يذهبُ الشهداءُ كما قالوا لهُ في خطبِ الحربِ..

الممرضــةُ التي وقفَتْ بجانِبهِ، واســتهُ بكلامٍ تكررهُ عشــراتِ المراتِ يومياً، منذُ بدايةِ الحربِ..

عادَ إلى الدنيا،

أرادَ الحركةَ؛ فأحسَّ بساقِهِ المبتورةِ!

بعاديةٍ شديدةٍ سألَ الممرضةَ:

هل أحضرَ أحدٌ فردةَ حذائي العسكري التي في قدمي المقطوعة؟

عليَّ تسليمُها عندَ نهايةِ الخدمةِ؛

وإلا سأغرَّمُ بثمنِها!

16-3-2012

في رجاء قناص أطرش

أيها القناص؛

كما ترى أنا رجلٌ أعزل، ليسَ لديَّ ســلاحٌ ولا متفجراتٌ. فتشــني كي تتأكدَ من ذلكَ لديَّ «هويّة» قديمةٌ ما زالت صالحةً للمرورِ عبر الحواجزِ.

لا أحملُ في جيوبي أي مناشــيرَ تدعو إلى إســقاطِ النظامِ، ولســتُ مؤيداً للحروبِ [يمكنكَ أن تتأكدَ من صدقِ كلامي من «غوغول»].

دعني أمرُّ؛

ففي تلكَ النافذةِ البعيدةِ، التي ما زالَ ينبعثُ منها ضــوءُ الشــموعِ، تنتظرني فتاةٌ، تسميني حبيبَهَا،

نريدَ أن نستغلَّ الحربَ ونختطفَ قبلةً في ظِلِها، حيثُ لن يرانا أحدٌ!

2-4-2012

صوت من ذاكرة بعيدة

أيقظَني صوتُ الريح؛

الصوتُ الذي لم أَسْمَعْهُ مُنذُ طفولتي؛

لم تهتزَّ الأبوابُ ولا النوافذُ كما كانت تفعلُ، ولم يكُنْ هناكَ سِـراجٌ كَي تطفِئهُ.

بقيتُ في سـريري أسمعُ الصفيرَ وأُخمِّنُ أنّهُ أَشَـدُّ صوتٍ للريحِ أسمعُهُ ليسَ في الإسكندرية؛ بل في حياتي.

فكرتُ أن أكتبَ عن الريحِ..

لم أجدْ معنى لذلكَ وأنا أنعَمُ بالدفـءِ؛

قلتُ ربما إذا كتبتُ عن القتالِ والريحِ يُصبحُ الأمرُ مقبولاً..

تخيلتُ الريحَ تهُبُّ من مدينةٍ محاصـرةٍ؛ تبطِئ الرصاصَ والقذائفَ؛ فتسـقطُ ميتةً في الطريق.. تَرددتُ؛ إنّها مجردُ مَجازاتٍ خرقاء؛ فالريحُ لم تقاتلْ يوماً ولم تهُبَّ من نقطةٍ واحدةٍ إلى كلِ الاتجاهات.

كعاجزٍ تأكلهُ أسـمالهُ، خطرَ لي أن نرسـلَ مع هذهِ الريحِ أصـواتَنا وصـلواتِنا للمُحاصرينَ..

أبعدتُ الفكرةَ تماماً، ليسَ لأني لا أعرفُ إن كانَ اتجاهُ الريحِ نحوَ المدينة المحاصـرةِ أم لا؛ بلْ لأنَ المحاصَـرين لا يأكلونَ الأصـواتَ ولم تُعالجِ الصلواتُ مصاباً ولم تمنعْ موتَ جريحٍ.

الريحُ تَصفُرُ خارجاً وتزدادُ سُـرعتُها وأنا في سـريري، أُخمّنُ عددَ الشُـهداءِ لهذا اليومِ وفي أيّ المناطقِ سقطوا.

عدتُ إلى النومِ، مقنعاً نفسي، بأنّه ليسَ مناسباً أن أكتبَ عن الحربِ والقتلى وأنا أنعَمُ بالدفءِ في سريري حتى لو كانَ هناكَ ريحٌ؛ رغم أن مَن يُشعلونَ الحروبَ ويُعطونَ أوامرَ القتالِ والقتلِ يَنعَمونَ بالدفِء.. أكثرَ مِنّي.

28-2-2012

لا عتب على الحرب

الشجرُ ليسَ بشراً؛ وقد يورطُ الجهاتِ ببعضِها وتنتهك الهدنةُ [التي قد تدوم طويلاً]

البشرُ ينتظرونَ ما يأتي، لا أحدَ ينتظرُ الفراغ.

تعالوا نحكِ بصراحةٍ، لا أحدَ يحفظُ السرَّ أيضاً. كلكم تعرفونَ هذا وتبوحونُ بأسرارِكُم لآخرين يبوحون بها لآخرين ويقولون لهم لا تبوحوا بها؛ لأنها أسرار.

عندما تبدأُ الثورةُ أشياءُ كثيرةٌ تنتهي [ولا أبوحُ بسرٍ هنا] ولكنْ عندما تبدأُ الحربُ تبدأُ أشياءُ كثيرةٌ.

تبدأُ الجروحُ طويلةُ الأمد؛ يبدأُ بناءُ سلمٍ طويلٍ لتصعدَ الأرواحُ إلى السماءِ بسهولة.

عندما تبدأُ الحربُ يفرحُ المقاتلونَ، العاطلونَ عن العملِ، التجارُ الذينَ يبيعونَ أدواتِ القتلِ.

الحربُ [عندما تبدأُ] تُؤجَّل الصلوات؛ يطولُ الترقبُ؛ وعندما تنتهي الحربُ؛ قد لا ينهزمُ الأعداء.

الجمهورُ لا يحبُّ الحربَ، لكنِّه يتابِعُها بِحماسٍ كمَن يشجّعُ فريقهُ المفضل.

الشعراءُ [كانوا] يمجدونَ الحروبَ؛ يكتبون قصائدَ حماسيةً تمتدحُ «قائدَ

الحربِ»، تشيدُ ببطولاتِ المنتصرين، وترثي الأبطالَ الذين استشهدوا قبلَ النصرِ بقليلٍ، كانوا دائماً يتجاهلونَ الجنودَ المهزومين.
هناكَ روائحُ تأتي مع الحرب، رائحةُ القمامةِ التي في الشوارعِ، روائحُ البارودِ، روائحُ الحرائقِ التي تندلعُ، روائحُ الجثثِ التي لم يكتشفها أحد، روائحُ الأفكارِ التي ترافقُ الحربَ.
يمكنُ أن نكتبَ كثيراً عمّ يحدثُ عندما تبدأُ الحربُ، لكنكم تعرفونَه.

17-4-2012

عن موتى يعرفهم الجميع

الموتى لا يأكلون،
الموتى لا يأكلون الكلام!
الموتى [ربما] يسمَعون ما يدورُ في مآتِمِهم. يتعرَّفونَ على «أصدقاءَ» جُدد، يروونَ على ألسنتِهِم حكايا يسمعونها لأولِ مرة. يستمِعُون لأحداثٍ شاركوا بها في أراضٍ لم تطأها أقدامُهُم، بطولاتٍ مختلفةٍ قاموا بها في وقتٍ واحدٍ مع أشخاصٍ متعددين في مناطقَ متباعدةٍ.
الموتى لا يتكلمون. حقيقةٌ يعرِفُهَا التجارُ، لذلكَ يأخذون راحَتَهُم في بيعِ وشراءِ ذكرياتِهِم.
أعرفُ شخصاً قُتلَ في الحربِ برصاصةٍ طائشةٍ، روى «صديقهُ» بطولاتِهِ في المعركةِ التي لم تحدث؛ كيفَ أوقفَ رتلاً من الدباباتِ، أسقطَ طائرةً بحجرٍ، وحصدَ مئاتِ الأعداء بسكينٍ عاطلةٍ.
يستنسخُ كثيرون نسخاً متباعدةً ومختلفةً من الموتى.

الموتى لا يأكلُونَ الكلام؛
غادروا ضجيج الدنيا
دعوهُم نياماً.. وجائعين.

4-12-2012

عن صور الحرب وأرقامها

إلى مصطفى كرمان

الحربُ تبدأُ وتنتهي؛
وعندما تنتهي الحربُ تتركُ صوراً تخلِّدُ ذكراها، وأرقاماً كثيرة.
بعدَ سنينَ طويلةٍ من نهايةِ الحربِ، وحدَها الأرقامُ تبقى شاهداً لا يموتْ على أنَّ حرباً بدأتْ وانتهت.
الحربُ تتركُ خلفها أرقاماً؛ قبوراً كثيرةً بشواهد كُتِبتْ عليها أعمارٌ قصيرة.
القتلى يصبِحُونَ أرقاماً، المصابُونَ يصبِحُونَ أرقاماً، البيوتُ المهدمةُ تصبِحُ أرقاماً، اللاجِئون يصبحون أرقاماً، المعاقُونَ يصبحون أرقاماً، الأيدي المقطوعةُ تصبح أرقاماً، الأرجلُ المبتورةُ بشظايا تصبح أرقاماً، الأعينُ التي لا تبصرُ تصبح أرقاماً، المختفونَ عن حبيباتِهم يصبحونَ أرقاماً، المختفونَ عن زوجاتِهم وأطفالِهم يصبِحون أرقاماً، المختفون عن أمهاتهم يصبحون أرقاماً، المختفون الذين لا يتذكرُهُم أحد، ولا يعرِفُهُم أحد، لا يتحولون إلى أرقام حتى، يبقون أرواحاً هائِمةً تلعنُ الحرب.
الأرقامُ تعني الجميع؛ يتداولُها الجميع.

الأرقامُ ذاكرةُ الحربِ الجماعية. الذاكرةُ التي لا تفنى. الصورُ ليستْ كذلك؛ الصورُ خاصة، الصورُ يحتفظُ بِها المقاتِلون الأحياءُ كذِكرى لِحربٍ خاسِرةٍ أو رابحةٍ [هل هناكَ حربٌ رابحة!] شاركوا بها. ربما يتوارثُها أبناؤهُم وأحفادهُم، وربما تضيعُ، أو تبقى في المنزِلِ الذي باعَته العائلةُ ليتخلص منها المالكُ الجديد، ويعلِّق بدلاً عنها صوراً تخصُّه، من تلكَ الحرب، أو يرميها لأنَّ الحربَ بالنسبةِ لهُ غدت مجردَ أرقامٍ لا يتذكرها.

الصورُ يعلِّقها أهالي الضحايا؛ حتى حبيباتُهم سيعشَقنَ ويتزوجنَ آخرين ولن يعلِّقن صورَهُمْ احتراماً لهم.

الأرقامُ يتداولُها الجميع.

عندما تنتهي الحربُ؛ يكتبُ المؤرخون:

أسفرت هذهِ الحربُ عن 353411 قتيلاً وعن 211312 مفقوداً ودمر 826347 بيتاً جزئياً و529803 بيتاً كليّاً... لن يذكروا تلكَ الأرواحَ الهائمةَ التي تلعنُ الحربَ.

لنْ يذكروا أنَّ القتيلَ رقم 12345 تركَ أماً عمياءَ ووحيدةً حينما أخذتهُ الحربُ إلى غيرِ رجعةٍ، ولن يذكروا قتيلاً آخرَ تركَ خلفَهُ طفلةً وحيدةً ويتيمةً في الصفِّ الأولِ الابتدائي. الطفلةُ هيَ من سيذكرُ ذلكَ لاحقاً. أهلهُ وأصدقاؤه سيذكرونَ ذلكَ وينسونَهُ.

لن يذكروا أنَّ شاباً خطفتهُ الحربُ وهو ينظفُ الشوارعَ من آثارِها ويغني للحياة.

17-11-2012

حياة عادية تحت القصف

هذا ليسَ عنواناً لفيلمٍ فرنسي يحكي عن الحربِ في سايغون؛ لكاتبٍ أو مخرجٍ يساري. وليسَ عنواناً لفيلمٍ أمريكي يحكي عن قريةٍ في فيتنام. ولا روايةً لكاتبٍ ألماني؛ كانَ يعيشُ في قريةٍ ألمانيةٍ في ظلِّ الحربِ العالميةِ الثانيةِ. ولا فيلماً سوفييتياً يصوِّرُ حياةَ قريةٍ قريبةٍ من ستالينغراد...

هذه حياةُ السوريينَ الآن!

2-11-2013

جثة تتسوق

رأيتُ اليومَ جثةً في الدكانِ.

كانت تقولُ للبائعِ لا يوجدُ في مقبرتنا برادات، لا أستطيعُ شراءَ أشياءَ كثيرةٍ كي لا تفسد!

عليكم أن تتخيلوا جثةً، فلا فائدةً من الكتابةِ عن جثةٍ إذا لم يتخيلها القارئ.

هناكَ قارئٌ سيتخيلها بكفن. أمرٌ متوقَّعٌ وطبيعيٌّ أن يتخيلَ الإنسانُ الجثةَ بكفنٍ حتى وهيَ تشتري خضاراً أو فاكهةً.

هناكَ من يتخيلُ جثةً بلباسٍ عادي؛ لباسِ عملٍ، لباسِ خروجٍ، لباسِ سهرةٍ...

وهناكَ من سيتخيلها ببدلةٍ عسكريةٍ. كثيرٌ من الجثثِ ترتدي الزيَّ العسكريَّ، المبقعَ بالدمِ.

أيُّ جثةٍ ترتدي الزيَّ العسكريَّ يجبُ أنْ يكونَ عليها بقعُ دمٍ، ربما دمُ الأعداءِ، وربما دمُها مختلطاً بدمِ الأعداءِ. وقد يكونُ دمُ الجثةِ فقط؛ فقدْ لا تكونُ [الجثةُ] قتلتْ عدواً.

تخيُّلُ جثةٍ ليسَ بالأمرِ السهلِ كما ترون. ولا يمكنُ إكمالُ الحكايةِ دونَ تخيلِ جثةٍ!

19 – 6 – 2013

بروفة لرؤية القيامة

كما لم يتوقعْ أحدٌ؛ ها هي القيامةُ تقومُ ببطءٍ شديدٍ في سوريا. يمكِنُكُمْ مشاهدتَها بالعينِ المجردةِ، بينما تمارسونَ حياتَكم الطبيعيةَ. تقرؤون الجرائدَ. تأكلونَ الشاورما. تحلُّونَ الكلماتِ المتقاطعةِ. تكتبونَ التعليقاتِ على فيس بوك.

والقيامةُ تقومُ ببطءٍ. لن يحدثَ شيءٌ سوى أنَّ سوريا ستغدو بلداً خاوياً مثلَ «ماكوندو» في نهايةِ مئةِ عامٍ من العزلة.

15-6-2013

المباراة ما قبل الأخيرة لحارس المرمى

إلى عبد الباسط الساروت ورفاقه... خارجين من الحصار

يخرجونَ الآنَ من الحرب،

تركوا أصواتَهُمْ هناكَ، تسقي الأشجارَ المحاصرة، تضعُ الماءَ في أوانٍ سلِمتْ من الرصاصِ، لما تبقى منَ العصافيرِ والحمامِ. دفنوا هزائمهُمْ في قبورٍ لا

شـواهدَ لها. تركوا خلفهُمْ ذكرياتٍ تأكلُ العشـبَ بوداعة؛ بوداعةِ المصيرِ وهو يُشوى على نارِ العجزِ، بوداعةِ الأعمى عندما تقودُهُ يدٌ في الطريقِ.

يخرجونَ منَ الحربِ الضيقةِ،

الحربُ التي خبِروا طرقَهَا ومواقيتَهـا، قـذائِفَهـا وأمواتَهـا وقبورهـا؛ إلى حربٍ واسِــعةٍ؛ حرب لا يعرفـونَ ملامِحَها؛ شــوَّه وجهها الجدري، وأفقدَها الزهايمر الذاكرةَ؛ فلم تعدْ تذكرُ حتى أعدادَ موتَاها.

خرجوا من حربٍ يعرفـونَ فيها القاتلَ والقتيلَ؛ حرب يبكونَ قتلاها بأسـمائِهم؛ يصلُّونَ عليهم، يدفنونَهم؛ ينتحبونَ على قبورِهِم، ويسـردون ذكرياتِهمْ معهُمْ؛ وكيفَ توقَّعوا لحظةَ الموتِ قبلَ وقوعِها.

خَرجوا إلى حربٍ لا يعرفُ قتلاها بعضَــهُم، ولا يتبادلُ فيها المقاتلونَ أرقامَ تلفوناتِ العائلةِ لإبلاغها «المكروه»؛ حربٍ فاقدةِ الذاكرةِ؛ وتأكلُ الأوهامَ.

خرجوا من رحابِ المكانِ الصغيرِ المحاصرِ؛ إلى فضاءٍ واسع وأعمى.

7-5-2014

الهزيمةُ التي تأخرت كثيراً عن موعدها

في هذهِ الحربِ تتوالى الانتصــارات، يومياً؛ الجميعُ يعلنونَ انتصــاراتِهم؛ في شـريط الأخبار العاجلة، في الصـباح الباكر، في المسـاء، وفي نشـرة منتصـف الظهيرة...

يا ألله تعبنا من الانتصاراتِ المستمرةِ؛ نريدُ قليلاً من الهزائمِ لنلتقطَ أنفاسنا، لنرتاحَ قليلاً بعدَ الهزيمةِ، ونفكرُ في «ماذا بعد؟»

27-7-2014

مدونة معاصرة على جدران كهفٍ سوري قديم

رأينا أشياءَ كثيرةً في هذهِ الحربِ!

ما رأيناهُ في هذهِ الحربِ يكفي لنخوضَ معارِكَ مع ظلالِنَا، كما كانَ يفعلُ «دون كيشوت»، ونختبئ خائفينْ منَ التفاحِ المعلَّقِ في الأشجارِ؛ ونَحسَبَ الكرزَ جماجِمَ والموزَ سيوفَاً ستجزُّ رؤوسَنَا بعدَ قليلٍ..

لكنَّ ذلِكَ لمْ يحدُثْ!

استمرَّتْ حياتُنَا تَغزُلُ على نولِهَا، بِضَجرٍ واضِحٍ سَجَادةَ أيامِنا الطويلةِ. مازِلنا نُحاسِبُ حبيباتِنا على أخطائِهنَّ، وننهرُ الأطفالَ على تأخرِهِمْ في النومِ...

رغمَ الأشياءِ الكثيرةِ التي رأيناها في هذهِ الحربِ.

في هذه الحرب رأينا جثثاً كأشجارٍ يابسةٍ مكسرةِ الأغصانِ، مرميَّةً على جوانبِ الطرقِ والأنهارِ،

خبزاً ملطخاً بالدمِ،

أكياسَ خضارٍ تُعرَضُ على قناتِنَا الفضائيةِ [دون سِحرٍ أو ادعاءٍ لمعجزةٍ] كأسلحةٍ استخدمَها «الإرهابيون»؛

قناصاً يقطِّعُ وقتَ مناوبَتِهِ الطويلَ والمملَّ باصطيادِ المارةِ؛

والناسُ يمرُّونَ بجانبِ الجثث دونَ أنْ يعيروهَا أيَّ انتباهٍ ويتابعونَ أحادِيثَهُمْ عن انقطاعِ الكهرباءِ والماءِ؛ أو إخبارِ أصدقائِهِمْ عبرَ «الواتس آب» عن أفضلِ الطرقِ لتجنبِ الأرقْ!

حدثَتْ أشياءُ غريبةٌ لم تحدثْ مِن قبلُ لكنَّها لم تفاجئ أحداً؛

البراميلُ التي كنَّا ندحرِجُهَا في طُفُولتِنَا بابتهاجٍ؛ كأحدِ ألعابِنَا المفضلَّةِ، راقبناهَا وهيَ تهطُلُ منَ السماءِ مخبئة موتاً قبيحَ الوجهِ لا يتقنُ المزاحَ.

تابعنا الطائراتِ وهيَ تُضَلِّل الأطفالَ، وتلقي لهُم ألعاباً مفخخةً أو طعاماً ساماً؛ ومستمتعاً بتعابيرِ الاستغراب على وجوه أطفاله، يروي الطيارُ بتشويقٍ «هوليوودي» مغامَرَاتِه في قتلِ الأعداءِ؛ مشجّعاً لهُم على الدراسة ليصبحوا أبطالاً مثله.

عرضَ لنا جنرالاتُ «جيشِنا الوطنيّ الباسلِ» بخرائطَ ملونةٍ، عملياتِهُم الدقيقةَ التي اكتشفوا خلالَها مخابئَ الأدويةِ في المشافي الميدانيةِ، التي استخدمَها الأطباءُ [المجرمونَ] لعلاجِ الجرحى. وسمِعنَا أبناءَ الضباطِ وأقارِبَهُم وهم يصرخونَ [واووو] فخراً وإعجاباً بهذا النصرِ.

المراسلونَ الحربيونَ في تلفزيوننا الوطنيّ؛ وبدهشةٍ ممزوجةٍ بالاعتزاز بقوةِ مخابَراتِنا العسكريَةِ، قدَّموا أنفُسَهم في بثٍّ مباشرٍ من الأنفاقِ التي تمَّ اكتِشَافُها، وكانت تستخدَم لتهريبِ الخبز.

هذهِ الحربُ أعادَتِ الناسَ لجذورِهِمُ الأولى، ووصَلَت ما انقطعَ من التاريخِ السحيقِ؛

رأينا الناسَ يعودونَ للسكنِ في الكهوفِ والأغوار ويستخدمونَ حطبَ الأشجارِ للتدفئةِ وطبخِ الأعشابِ البريّةِ، كأنَّهُم سيَّاح ملّوا حياةَ المدنِ العصريةِ!

شهِدنَا عودَةَ الأسلِحَةِ التي استخدَمَها الإنسانُ في حروبِه الأولى؛ تهشيمُ الرؤوسِ بالحجارةِ، الذبحُ بالسكاكينِ، قطعُ الأيادي والرؤوسِ بالسيفِ.

شاهدنَا الساطورَ؛ الذي كنَّا نراهُ بيدِ الجزارِ لتقطيّع الذبائحِ، لتكونَ صالحةً للطبخِ والشواءِ، وهو يهوي على رؤوسِ البشرِ والناسُ تتحلَّقُ حولَ المشهدِ كأنَّها تتابعُ فيلماً في السينما.

بتكرارٍ مملٍّ ظهرتْ هندُ بنتُ عتبةَ وهي تأكلُ الأكبادَ والقلوبَ على كل تلفزيوناتِ العالمِ.

خلالَ الحربِ؛

رأينا أطفالاً صنعوا من الموتِ كرةَ قدمٍ ولعبوا بهِ بحماسٍ شديدٍ!

عجيبةٌ هذه الحربُ؛

رغمَ كل محاولاتِهَا لتقديِمِ أشياءَ مشوقةٍ، إلا أنَّها أضحَت مِملَّةً.. وبطيئةً.

8-7-2014

عينات عشوائية من مجازر كثيرة

في تعريف المجزرة

قالَ الطفلُ: اقتُلني واترُك أُمي وأبي.

قالتِ الأمُ: اقتلني واترك ابني وأباه.

قالَ الأبُ: اقتلني واترُك ابني وأمَه.

قالَ القاتلُ: لا تقلقوا، سأقتُلكم جميعاً

26-5-2012

الحولة

تعريف آخر لمعنى «مجزرة»

خمسةُ حروفٍ صامتةٍ،

بأرواحٍ ملونةٍ،

ودمٍ ساخنٍ

وحكايَا تيتَّمَتْ.

لا تتحدثوا عن المجزرةِ،

ســتخوضــونَ بدماءِ الضـحايا، وربَّما تعكِّرونَ نومَهُم، اتركوا أرواحَهُم هادِئَةً، وإنْ لم تستطيعوا الصمتَ؛ اعزفوا لهُم الموسيقى، أو غنُّوا لهم أغنياتٍ بلحنٍ رتيبٍ وصوتٍ خافتٍ كي تساعِدُوهُم على النومِ!

13-6-2012

القبير

قَتَلوا سكانَ القريةِ؛

أَحرَقوا جثثَهُمْ كي لا تُدفَنَ في قبورٍ؛ تصبحُ شاهداً على المجزرةِ.

القتلةُ؛ خطفوا الجثثَ التي لم تحترقْ وبقايا الجثثِ المحترِقَةِ.

وضعوا [أيضاً] جنوداً ودباباتٍ وعناصرَ أمنٍ وشبيحةً وقناصةً في الطريقِ إلى السماءِ.

قالوا: يجبُ ألا تصعدَ أرواحُ الضحايا عندَ اللهِ؛

لأن الجحيمَ سيكونُ مصيرَنَا.

7 – 6 - 2012

عين عيسى

هذا الذي تراهُ يطيرُ عالياً في السماءِ ليسَ حماماً بريّاً؛

فرَّ من عابرٍ يمشي مسرعاً؛

إنها أشلاءُ «عين عيسى»

ستهبطُ بعدَ قليلٍ إلى الأرضِ؛ تقبِّلُ الترابَ

وترسُمُ شارتين؛

واحدةً تقولُ مِنْ هنُا مرَّ الطغاةُ،

وأخرى للحريَّةِ.

20-9-2012

شجر داريا

الأشـــجارُ تبكي طويلاً تبكي بنحيبٍ حادٍ تبكي بخفوتٍ شـــديدٍ تبكي لوحدِهَا تبكي أمامَ المارةِ المستجعلين مِنَ البرد. تبكي في الشتاءِ. تبكي في الصيفِ. تبكي في الربيعِ. تبكي في الخريفِ كثيراً. تبكي في الليلِ تبكي في النهارِ تبكي فوقَ عاشِـقَين تبكي فوقَ الغرباءِ تبكي فوقَ الجثثِ تبكي مثلَ أرملةٍ تبكي مثلَ عاشقةٍ قُتِلَ حبيبها الأولُ تبكي مثلَ أمٍّ فقدتْ جميعَ أبنائِها في الحربِ.

الأشجارُ تبكي كما ترون

تبكي قتلى المجازرِ التي حدَثَت تحتَ ظِلالِها..

30 – 8 - 2012

رسم هامشي على حافة مجزرة

انظرْ هذا المبنى!

إنَّهُ الوحدةُ التاسعةُ في المدينةِ الجامعيَّةِ...

على جدارِ الغرفةِ 603 في هذا المبنى رســـمتُ أولَ قلبِ حبٍ يخترِقُه ســـهمٌ.

رسـمتُ قطراتِ دمٍ بلونٍ أحمر، تسـيلُ منْ مكانِ اختراقِ السـهمِ لقلبي. كتبتُ

اسمَ «حبيبتي» بخطٍ كوفيٍّ كي لا يقرأَهُ المتطفلونَ بسهولةٍ..
هنا وقَعَتْ مجزرةٌ هذا اليوم
حيثُ جاءَ صاروخٌ واخترقَ هذا المبنى...

تبعثرتْ أدواتُ الرسمِ من أيدي طلبة كليةِ العمارةِ؛

وسالَ دمٌ كثير؛

سال دمٌ حقيقيٌّ من قلوبِهِمِ العاشقةِ.

أصبحوا جثثاً؛

سنقرأُ أسماءَهم بوضوحٍ بعدَ قليلٍ.

15-1-2013

خبز ملون

الرغيفُ لا يفكرُ؛ لا يحزنُ أيضـــاً، ولا ينتابُهُ القلقُ مثل «بان كي مون»، ولا يخاف الطائرات؛

لا يعرفُ اليدَ التي تحمِلُهُ، صـحيحٌ أنَّه يمنَحُها الدِفء إذا كانَ خارجاً للتوّ من الفرنِ، لكنَّهُ لا يقيمُ علاقةً عاطفيَّةً من أيِّ نوعٍ معها، ولا يحزنُ لمصِـــيرِها إذا تطايرت في الهواءِ؛ ســـواءً كانت لطفلٍ أو أرملةٍ عجوزٍ، أو شـــابٍ تزوجَ حديثاً، وعليهِ أنْ يثبتَ لزوجَتِه أنَّه قادر على إطعامِها في ظلِّ الحربِ.

هـذا الرغيفُ المرميُّ على الأرضِ؛ بجوارِ القتلى نجـا منَ المجزرةِ دونَ معجزةٍ؛ فالرغيفُ لا يموت.

لو كانَ الرغيفُ يحزنُ؛ لفكرَ بمصـــيرهِ المجهولِ بعدَ المجزرةِ؛ فمن يأكلُ خبزاً ملطخاً بالدمِ!

21 – 8 - 2012

سكود

الصواريخُ وسيلةُ نقلٍ؛

أسرعُ وسيلةِ نقلٍ حتى الآنْ.

تعبرُ المســـافاتِ والحدودَ دونَ تصـــاريحَ مرورٍ أو جوازِ ســـفرٍ؛ مثلُ الطيورِ والغيومِ والريحِ والزوابعِ والقصاصاتِ الورقيةِ التي مزقَتها عاشقةٌ بعدَ خيانةِ حبيبِها.

الصـــواريخُ لا تنقلُ بريداً ولا ملابسَ ولا أغذيةً ولا حلويات، ولا تنقلُ البشـــرَ كذلكَ، رغمَ أنَّهُم يحلمونَ بمناسباتٍ كثيرةٍ أن تنقُلَهُم ليصلوا بسرعةٍ.

الصـواريخُ متخصـصـةٌ بنقلِ سـلعةٍ وحيدةٍ هي الموتُ، وتوزّعُ الخرابَ والدمارَ معها كهدايا مجانية.

29-11-2014

بعد المجزرة.. تحت الركام

لا تقلّب الركامَ أرجوكْ!

ربَّما تعثُرُ على يدي لوحدِهَا،

وتنتَشِلُها وتبني لها قبراً.

دع جسَدي ينامُ في بيتِهِ،

مع آواني المطبخِ،

مع الأثاثِ الذي قضيتُ عمري أجمعُهُ قطعةً إثرَ قطعة؛

مع الأحلامِ التي كانت تنتابُني في آخرِ الليلِ عندما يهجُرُني النومُ؛

لا تُبعد أيَّ عضوٍ من جسدي عن العائلةِ،

ابنتي ترقدُ بجواري جثةً كاملةً، وولدي الغائبُ الذي نَجا مِنَ المجزرةِ، تركَ كتبَهُ ورسائِلَ حبيبتِهِ؛

لا تبعدني عنهُم أرجوك.

أشلاءُ زوجتي التي تزوَجتُها رغماً عن أهلِها؛ تعانِق أشلائي..

خاتَمُ عرسِ أمي هنا؛

ذلكَ الشيءُ الوحيدُ الذي اخترتُهُ من ورثتِها حينما ماتت قبل المجزرةِ بسنين؛

صورةُ أبي بلباسِهِ الرسمِي؛

صورةٌ أخرى لأبي مع عائِلَتي الصغيرةِ؛ التقطُتها بِنَفسي في عيدِ الميلادِ الأولِ لابني البكر؛

صورةُ تخرُجي مع زملائي في الكليةِ؛

كلُهُم هنا..

لا تأُخذ أشلائي بعيداً عنهُم؛

فأنا أحِبُّهم جميعاً،

ودائماً أسألُ أينَ أخذَتهُم دروبُ المصير.

أرجوكُم

يا ورثتي الأحياءَ

اتركوا بيتي مهدماً يجمعُ أشلائي وكلَّ ما أحب!

2-10-2012

خدعة الموت

إلى شهداءِ نهر قويق

اتركوا هذهِ الجثثَ مكانَهَا؛ تتشــمَّسُ على شــاطئ النهر دعوها تفكّرُ في نوعيّةِ الرصــاصــةِ التي اختَرَقتها في الرأسِ ترسُــمُ صــورةً للأيدي التي رمَتها في النهرِ الميتِ.

فقط؛ فكُّوا القيودَ مِن أيديها، واجلبوا لها كراسي شاطئية، ولباسَ سباحةٍ، ونظاراتٍ شــمســيةٍ، أجلِســوها عليها، اجعلوا بعضَــها يلفُّ رجلاً على رجلٍ؛ وبعضَــهَا مســترخيًّاً؛ قاربوا بين جثتين لتسـمعَ إحداهُمَا الأُخرى؛ تتحدثان عن شوقِهِما لأطفالِهِما أو حبيبتيهِمَا.

التقطوا لهم صــوراً تذكاريةً في غفلةٍ منهم. ربَّما تجتمعونَ بأحدٍ منهم لاحقاً وتقولون بفرحٍ:

هييه..

لديَّ صورةٌ لكَ على ضفَّةِ نهرِ قويق،

عندما كنتَ تسبحُ في الشتاءِ.

قولوا لأنفُسِــكُم إنَّ هذهِ مجموعةٌ من الشــبابِ المجانينِ الذين يســبحونَ في الشتاءِ معاندينَ الطقسَ والناسَ والطاغيةَ.

جثثٌ مثلُ هذهِ لا تتفَسَّــخْ ولن يقربَهَا الدودُ. جثثٌ مثلُ هذهِ يجبُ أن تبقى مكانَها كشاهدٍ على أنَّ الأبدَ يموتُ والأنهارُ تبقى.

إنْ لمْ يتفقِ الجميعُ على إبقائِهَا على الشاطئِ؛ صوِّروا كلَّ جثَّةٍ منفردةً، ضَعوا علامةً مكانَها حينما تنقلونَها؛ سيأتي مَن ينحتُ لهُم تماثيلَ في أماكِنِهم.

هؤلاءُ أولياءُ الحريةِ. ويجدرُ بِنا أن نبني لكلٍّ منهُمْ مقامَاً، نجعلها مزاراتٍ، تتباركُ بها النساءُ العواقرُ فتحبل، ويلمَسُها المرضى فيشفونَ، وتَستَنشِقُ

العوانِسُ روائِحَهُم فيتزوجنَ. ويلفُّ التاريخُ على يدهِ اليمنى شريطاً أخضرَ من غطاءِ مقاماتِهم؛ فيبصِر!

29-1-2013

قبرٌ لأطفال المجزرة

إلى أطفال مجزرة الكيماوي

هؤلاء الأطفالُ الذينَ قتِلُوا اليومَ، ادفنِوهُمْ جميعاً في قبرٍ واحدٍ. سـيتعرفونَ على بعض سريعاً. يصبحوُنَ أصدقاءَ؛ ويلعبونَ معاً.

ادفِنوا معَهُم ألعابَهُم. الأطفالُ يتمَسكُونَ بألعابِهم حتى وهُم نيامٌ، وموتُ الأطفالِ [حتى لو كانوا مقتولين] مجردُ نومٍ طويل.

الأطفالُ المقتولون لا يكبُرونَ، لذلكَ هم بحاجةٍ دائمة لألعابِهم التي أطلقوا عليها أسماءً وألقاباً، ويخاطِبونَهَا طِوَال الوقتِ بأحاديثٍ حميمية.

منْ ليسِ لديهِ لعبةٌ، اشتروا لهُ واحدةً. لا تستخِفُّوا بالأمرِ؛ فإقامَتُهم ستطولُ إلى الأبدِ. سـيملُّونَ منَ البكاءِ وهمْ ينادونَ أمهاتِهم. الأمهاتُ اللواتي يسـمَعنَ صـراخَ أطفالِهِنَّ لن يسـتطعنَّ الذهابَ إليهم، ولا تهدِئَتهُم، ولا التحايُلَ عليهِمْ بأكاذيبَ مكشـوفةٍ ليكفُّوا عن البكاءِ، لذلكَ يحتاجونَ الألعابَ لتمريرِ الأبدِ الطويلِ، ريثما تقومُ القيامةُ ويذهبُ إليهمْ الجميعُ..

أخمِّنُ أنَّ الكثيرينَ منهُم يحملونَ أسـماءً متشـابِهَةً؛ مثلَ مُحَمَد وعبدُ الرحمَن وعبدُالله [الذين يخاطِبهُمْ أهلُهُمْ وأصـدِقَاؤُهم حمودي وعبودي] ... لكنَّ طِفلاً واحِداً مِنهُم على الأقلْ يحملُ اسـماً غريباً. ربَّما كانَ بَردى! ذلكَ أنَّ أمَّه لا يعيشُ لها أطفالٌ، فقالَتْ لها العرَّافَةُ إذا رُزِقتِ بولدٍ سمِّيه اسماً غريباً وخالداً كي يعيشْ. لكنَّ «الكيماوي» يحصدُ الجميعَ حتى أولئِكَ الوحيدين لأمهاتِهِم.

اتركوا مع الأطفالِ عيدياتِهم، التي مازالوا يحتفظونَ بها. فبسببِ الحربِ كانتِ الدكاكينُ مغلقةً، ولم يشتَروا شيئاً؛ اتركوها لهُم للذكرى، كي يتذكروا العيدَ والدُنيا، فحيثُ أخذَهم «الكيماوي» لا توجد محلاتٌ للتسوّقِ ولا تُستَخدَمُ النقودُ وكلُّ شيءٍ مجاني.

ادفنوا معَهُم أمّاً واحدةً، اختاروا أمّاً لم تنجِبْ، لتعامِلَهُم جميعاً على أنَّهم أطفالُهَا، لتكُن كبيرةً بالسنِّ لتُصبِحَ جدتَهُم أيضاً، وتروي لَهُم حكايةَ «الأسدِ» الذي يخطفُ الأطفالَ ويشربُ دمَهُم بدلاً عن الماءِ؛ بعدَ أن شاهدَهُم في حُلمِه قد تَجمهَروا حولَهُ عازمين على طردِهِ منَ الغابةِ.

ادفنوهُمْ في قبرٍ واحدٍ؛ فبعضُهُم قتلَ جميعُ أهلِهم ولن يجدوا مَن يزورهُم أو يتذكرُهُم فيما لو دُفِنوا لوحدِهم.

22-8-2013

استنشاق الموت

إلى Nicolas Hénin

فكِّرْ مَعي!

في إثارةِ المعاييرِ المزدوجةِ الممشوقةِ القوامِ والتي تحافظُ على رشاقَتِها بتمارينِ القفزِ على الحبالِ.

في إغراءِ سياسةِ الكيلِ بمكيالِين ذاتِ الأردافِ المكتنزةِ، لترقصَ في حفلٍ خيريٍ وتجمَعَ التبرعاتِ لضحايا الحربِ.

بنصبِ مكيدةٍ ذاتِ حبالٍ قصيرةٍ ليقعَ فيها طيبو القلوبِ وأصحابُ المشاعرِ الإنسانيةِ العابرةِ للحدودِ والأعراقِ.

لنتجنَّبِ المصــيدةَ الخاليةَ من التعابيرِ المثيرةِ والمغريةِ، والتي لا تُقنِعُ ســائقي الشاحناتِ، أو حتى ربَّاتِ البيوتِ للاقترابِ مِنها.

فكِّر معي كمندوبِ مبيعاتٍ لسلعةٍ جديدةٍ، لمْ تطلِقهَا الشركةُ المنتجةُ بِحملَةٍ إعلانيةٍ؛

هلْ نرتدي رَبطَاتِ عنقٍ أنيقةً من ماركاتٍ شــهيرة، أو حتى مقلدة، هل نســرِّحُ مشــاعِرَنَا ونضــعُ عليها الجِل؛ أم نترُكُها منفوشَــةً [لمزيدٍ من الإقناع] ونحنُ نواجهُ الرأيَ العامَ بالحقائقِ اليتيمةِ؟!

فكِر معي؛

بمُفرَدي تأخُذُني الشُــكُوكُ لِطاعةِ المفرداتِ المتَسِــخَةِ، ذاتِ الأحاســيسِ الجافَّةِ، والتي لا تثيرُ انتباهَ المارَّةِ، أو حتى مُدمِنِي الوجباتِ السريعةِ.

أحتاجُ مَن يُرشِــدُني ويقودُني إلى جادَةِ الصــوابِ؛ حيثُ محلاتُ الخضــرواتِ الطازجةِ غيرِ المعدلةِ وراثياً، وبســطاتُ الباعةِ الجائلِين، وســوقُ الســمكِ، والطيورُ الحيةُ، حيثُ المتســوِّقونَ يســتنشــقونَ روائحَ البهاراتِ التي تُعطِّر الهواءَ، ويميِّزونَ الروائحَ، بما فيها رائِحة الموتِ، وتدمَعُ عيونُهُم عندما يَشمُونَه ولو من بعيد.

أريدُ تجنُّبَ العباراتِ المجوَّفَةِ، والتراتيلَ والأدعيَةِ غيرَ المشــحونةِ بالعواطفِ الحادةِ، والتي لا يمكنُ أنْ تقيمَ اتصــالاً مَع الآخرِ، الذي يجلسُ على ناصــيةِ المقهى يشــربُ البيرةَ الباردةَ، ويدخِّنُ ســجائرَ [اللف]، ويفكِّرُ بإطلاقِ حملةٍ لإعادةِ ثلاثةِ دلافين من حديقةِ الحيوانِ إلى موطِنِها الطبيعي في البحرِ.

كيفَ يُمكِنُني إقنَاعُ «باميلا أندرســون» أنَّ قتلَ مئاتِ الأطفالِ بالغازاتِ السامةِ، ليبقى شخصٌ محتفظاً بكرسيٍ [مهما غلا ثمنُهُ]، لا يقلُّ أهميةً عن ســلخِ جلودِ الحيواناتِ وهيَ حيّةٌ من أجلِ أن ترتَديَ بعضُ مدمناتِ حفلاتِ الاستقبال وأغلفةِ المجلاتِ الفراءَ!

هلْ نصـوُّرُ الأشـجارَ التي ماتتْ على هامِشِ المجزرةِ ونرسِـلُها لمنظماتِ حمايةِ البيئةِ لتطالبَ بملاحقةٍ دوليةٍ للمســؤولينَ عن الإبادةِ الوحشــيةِ لأشـجارِ الغوطةِ!

ســاعِدنِي بالتفكيرِ أرجوكْ! فأنا أريدُ لفتَ انتباهِ العالمِ لمئاتِ الأطفالِ الذينَ اســتنشــقوا الموتَ وهُمْ نيام، ولمْ يَعُدْ بِإمكَانِهِمْ الذهابُ إلى المدرســةِ، لتعلُّمِ ممارسةِ الديموقراطيةِ والدفاعِ عنْ حقوقِ الإنسانِ والحفاظِ على البيئةِ [ألا تهمكم حماية البيئة!].

لِنُفَكِّر بِشَكلٍ مُختلِف؛

نُفَكِّرُ بالألوانِ أو بالعلاماتِ الموسيقيةِ،

نُفَكِّرُ عبرَ الرقصِ أو حركاتِ الإيماءِ؛

لِنُفَكِّر في مخرجٍ ينقِذُنَا مِن ظَلامِ التعابيرِ الركيكةِ؛

لِنُفَكِّرْ بإبداعٍ يزيلُ آثارَ الكدماتِ التي خلَّفَها غازُ الســارينِ على وجهِ الهواءِ، الذي لا يجيدُ فنونَ الحربِ الإعلاميةِ، ونُحمِّلهُ رســائِلَ بســيطةً وشــفافةً، ونَدَعهُ يهبُّ نقيَّاً على ضمائرِ الناسِ الذينَ يقضونَ إجازَاتِهِم الصيفيّة.

لَعلَّ هناكَ مَنْ يتطوعُ للمساعدةِ في انتشالِنا مِن الهاويةِ السحيقةِ التي حفرَتْها أصابعُ متمرسةٌ في الخرابِ؛ أو يتألمُ بوضوحٍ لمصيرِنا على الأقلِ.

لا نريدُ للمجزرةِ أن تمضـيَ مثلَ زوبعةٍ في فنجانٍ أهمَلَهُ شـخصٌ ما؛ إثرَ تلقيهِ مكالمةً من مقرِّ عملهِ.

لنخترع وسيلةَ تعبيرٍ جديدةً يفهَمُهَا سُكَّانُ الكرةِ الأرضيةِ.

لنكُنْ رشـيقينَ ومرحينَ ونعبرُ بخفةِ ملاكمٍ، ونحنُ نسـردُ وصـايَا الأمواتِ وآلامَ الناجينَ؛ فنحنُ نريدُ أنْ نهُزَّ ضميرَ العالمِ الثقيلِ.

نريدُ أنْ نقولَ للعالمِ شـيئاً يفهَمهُ دونَ حاجزِ المفرداتِ التي تحتاجُ إلى ترجمةٍ تُلقي عليها ظلالاً من سوءِ الفهمِ والتأويلِ، حتى تُصبِحَ غيرَ واضحةٍ أحياناً، أو تعطي معانيَ عكسيَّةً؛ وأعذاراً شتى لعدمِ المبالاةِ بمقتلِ آلافِ الأطفالِ.

فكرْ معي أرجوكَ!

لا بدَّ مِن إيصالِ هذياناتِ الأطفالِ بعدَ استنشاقِ الموتِ، ونحيبِ من بقيَ حياً مِن أمهَاتِهِم، لكلِّ الأحياءِ، دونَ صوتٍ ودونَ أحرفٍ وكلمات.

نريدُ أنْ نبلِّغَهُم أنَّهُ في 21-8-2013 حدَثَتْ مجزرةٌ في غوطةِ دمشـقَ، مجزرةٌ بسـلاحٍ كيماويٍ؛ مجزرةٌ راحَ ضحيتَهُا مِئَاتُ الأطفالِ؛ عُرِضَـتْ صـورُهُمْ على شـاشـاتِ العالمِ؛ بِوجوهٍ باسـمة كأنَّها تلوِّنُ ريشَ طائرٍ يفرُّ من أمامِهِم في الحُلمِ، وجوهٌ لمْ يترُكْهَا الموتُ تُكمِلُ شـهقتَهَا الأخيرةَ؛ ولمْ تقمْ مظاهرةٌ واحدةٌ حولَ العالمِ للتنديدِ بِها؛ وتُرك الناجونَ ينتحبونَ وحيدينَ دونَ تعازٍ أو تضامنٍ من أحدٍ.

21-8-2014

خطابات الحرب

نداء ملون لذوي الضمائر البيض

مُوتُوا أيُهَا الشُجعَان؛ كي نَحزَنَ بوضوحٍ. نُفسرُ حزنَنَا دون أن نُسألَ؛ بأنَّ هناكَ مَن ماتُوا ونَعرِفُهمْ وكانوا أصدِقَاءَنا.

موتوا لِنكتبَ مراثيَ تمجِدُكم. نَظهَرُ على الشاشاتِ في نشراتِ الأخبارِ، ونقولُ للمذيعةِ: «يا سيدتي هذا النظامُ يقتلُ الأبرياءَ...».

نغيُّر صورةَ البروفايلِ على «فيسبوك» بصورةٍ لكُمْ؛ نتناقلُهَا مِنَ الآخرين نروي ذكرياتِنا عنكُمْ؛ كيفَ خرجنا معكُمْ في مظاهرةٍ العامَ الماضي، قبلَ أن نتركَ البلادَ لكُمْ؛ ولا بأسَ مِن شتمِ أنفُسِنا لأنَّنا جُبناءٌ..

موتوا كي ندوِّنَ ذكرياتِكُمْ ونكونَ ذاكِرَتكُمْ التي لم تمُتْ.

إنْ لمْ تجِدوا وقتاً للموتِ، إن لم يفاجِئكمْ، إنْ لمْ يستَطِعِ الطاغيةُ حصدَ رؤوسِكُمْ بقذيفةٍ حادة، إنْ لمْ يسقُطْ بجانِبكُمْ برميلٌ متفجرٌ، إنْ لمْ تَعثُرْ رصاصةُ القناصِ عليكُمْ أو أخطَأَتْ قلوبَكُمْ أو رؤوسَكُمْ.. إن بقيتُمْ أحياءً بمصادفةٍ سعيدةٍ أو بعاديةٍ شديدةٍ؛ اذهبوا للمعتقلِ.. حيثُ يمكنُنا أنْ نُطالِبَ بالحريةِ لكُمْ. ننشرَ خبرَ اعتقالِكُمْ؛ مرفَقَاً بِصُورِكُم إنْ وجِدَت. ننشئُ صفحاتٍ على «فيسبوك» تطالبُ بحريتِكُم.

نكتبُ عنكمْ جُمَلاً قصيرةً ذاتَ معنى ومغزى عميق تحصدُ الإعجاب.

إنْ لم يحدُثْ هذا وبقيتُمْ أحياءً خارجَ المعتقلِ؛ نرجوكُمْ أنْ تعيشـــوا في مدنٍ مدمرةٍ كلياً أو جزئياً، كي نصعدَ على الرُكامِ، وتُرى قاماتُنا ونحنُ نهتفُ بغضبٍ من أجلِكُمْ، ونلتقطُ صـوراً منْ أجلِ مسـتقبلِ أطفالِكمْ ومِن أجلِ الحريةِ التي تريدُونَها. ولأننا غاضبون من أجلِكُم فلن نبتسِمَ للكاميراتِ...

ماذا سنفعلُ إنْ لمْ يحدُثْ هَذا! كيفَ ستبكي السيدةُ التي وضعَتْ «المسكرة» قبلَ نشرةِ الأخبارِ، وتحصُدُ التعاطفَ على بُكائِها إن لمْ تموتوا؟

كيفَ سنصعدُ إنْ لم يكُنْ هناكَ ركامٌ تحتَنا حتى لو كانَ ركامُ مدنٍ مهدمةٍ!

نرجوكُمْ نحنُ نحتاجُكُم فلا تخذلُونا أيها الشجعانُ!

1-10-2012

خطاب إذاعي لمعتقل خرج قبل أن يتحول لجثة

أيها المواطنونَ الكرام!

أكرَهُكُمْ. أكرهُ هـذا العـالَمَ الـذي يبـدو خَـارِجَـاً للتوّ مِن قطرميزٍ مربى. أكرهُ الأشجارَ في الشـوارعِ، التي يبدو أنَّ وظيفَتَها إشـغالُ عمَّالِ النظافةِ المسـاكين، والذينَ أكرهُهُمْ أيضاً. أكرهُ المساميرَ في الشـوارعِ والتي تبعجُ دواليبَ السياراتِ. أكرهُ الأطفـالَ الأشـــرارَ؛ الـذين يعتقـدُ أبـاؤهُم أنَّهم جـديرونَ بـإحـدى جوائزِ نوبِل.

أكرهُ المجالسَ المنتخبةَ، وغيرَ المنتخبةِ، ورؤسـاءَها وأمناءَ سـرِّهَا، ومدوني محاضِرِ الجلساتِ المهترئين مِنْ كتابَةِ الأكاذيبِ.

أكرهُ النسـاءَ المتسـربِلاتِ بأفكارٍ مضـنيةٍ ومؤخراتُهنَّ مقطوبةٌ كثوبٍ مهترئٍ. الرصـاصَ الذي أسـالتُه أمهاتُنا فوقَ رؤوسِـنا لكشـفِ العينِ التي أصـابَتنا.

الرجالُ الذينَ يبدو أنَّهم خُلِقوا ليظهِروا امتعاضَـــهُمْ مِنْ زوجاتِهِم، ويتكالبون على النساءِ الأخريات.

أكرهُ الشوارعَ الطويلةَ والقصيرةَ وذاتَ القاماتِ الملتويةِ. أكرهُ دخانَ السجائِرِ في الأماكنِ المغلقةِ لأني مصابٌ بربوٍ تحسسي، والتصفيق الحاد الذي يزعجُ النباتاتِ والنائمين والقردةَ ونساءَ الباعةِ الجائلين وأحفادَهُمْ.

أيها الإخوةُ والأخوات!

آن لنا اليومَ أنْ نكرهَ، نكره بشدةٍ، كأنَّنا نشدُّ آخرَ برغيٍّ في دولابِ السيارةِ التي «بنشرت» على الطريقِ.

تَعَالَوا نكره بعضَنَا، نكرهُ أنفسَنَا، نكره حبيباتِنَا، نكرهُ زوجاتِنَا، نكره إخوتنَا؛ بما فيهم إخوتنا في الطوائفِ الكريمةِ.

لنبنِ هذهِ البلادَ بصروحِ الكراهيةِ الخالدةِ، ونعلّمْ أطفالَنَا -رجالَ المستقبلِ- الكرهَ على أصولِهِ وفروعِهِ، ونعلِّمهُم فِقهَ الكرهِ كذلكَ.

الكراهيةُ يا إخوتي وأخواتي حجرٌ صلبٌ نشجُّ بِهِ رأسَ التاريخِ ونكسِرُ به أضلاعَ الجغرافيةِ وأصابعَ التربيةِ الوطنيةِ.

أيها السيداتُ والسادة!

أكرهُكُمْ جميعاً، أكرهُكُمْ فرداً فرداً، ذكوراً وإناثاً، شيوخاً وأطفالاً، كهولاً وشباباً، ومن لمْ يردْ اسمُهُ في قائمةِ الكراهيةِ لا يخف؛ يتأملْ صوتي؛ سيجدُ نفسهُ محاطاً بكراهيتي.

أكرهُ الأشياءَ المائعةَ والمائِلةَ والسائِلَ والمحرومْ. أكرَهُ القذافي شخصياً وأبناءَهُ وصدَّامَ وأبناءَهُ.. أما الأسد وأبناؤهُ فلا تكفيهِمْ كراهيتي، لا تكفيهم كراهيةُ النملِ والجرادِ، كراهيةُ الألوانِ وكلُّ نبتٍ حيٍ، وكلُّ جماد.

أيُها الأبناءُ والبناتُ!

في هذه البلاد المترامية الأطراف؛ التي تكنزُ الديكتاتوريات للأجيال القادمة، لن يرشدكم أحدٌ إلى طريق المحبة، وأرضعتكم الكراهية باكراً إنْ لمْ ترضَعوا حليبَ الكراهيةِ في صِغَرِكُمْ، عليكُم بأناشيدِ الكراهيةِ. بصوتٍ عالٍ ردِّدوا ورائي:

نكرهُ بابا نكرهُ ماما نكرهُ كلَّ الجيرانْ

أكرهُ جدي أكرهُ بلدي أكرُه كلَّ الأوطانْ

هذا زمنُ الكراهيةِ، زمَنُكُم، صلّوا كي يدومَ متآخياً مع الديكتاتوريات. صلوا لِتَنبُتَ أشجارُ الكراهيةِ في الشوارعِ، في الأراضي الخاليةِ، في الصحراءِ، بين شقوقِ المباني، وتعيشوا في زمنٍ صلدٍ متوَّرِمٍ بالكراهيةِ.

أيُّها العالم!

كيفَ لا نكرَهُكَ وأنتَ كخنفساءَ تزوجَت أمَّها، وجَمَعَتْ بينَ الأمِّ والجدةِ. أبناؤكَ وبناتكَ يتبولونَ التاريخَ والمعاهداتِ الدوليةِ.

تنظرُ إلينا بحيادِ رجلٍ أعرجٍ ينتظرُ الباصَ ونحنُ نُحصَدُ أمامكَ كنباتٍ يابسٍ بأيدي القتلةِ، ونُربَطُ بِحزَمٍ جماعيّة كعلفٍ للحربِ ووسائلِ الإعلامِ وخطبائِكَ المفوهين.

عندما تخرجُ الجموعُ هادرةً بالكراهيةِ، ستركعُ تحتَ أقدامِهِمْ كعاهرةٍ مستعملةٍ لم تعُدْ تجدُ من يضاجِعُها تُحرِّكُ أساطيلكَ لإيقافِ نشيد الكراهيةِ الذي يُتلى على لحنِ القتلِ والمجازرِ،

قبلَ أن ينهضَ القتلى ويغتصبوكَ جميعاً.

أيُّها العالمْ

ويا أبَانَا الذي في كلِّ مكَانْ؛

احترسْ، سَنبصُق عليكَ بصقةً واحدةً!

24-1-2013

خطابُ مقاتل مهزوم

يا شعبيَ العظيمْ:

ها نحنُ نعودُ للفراغِ الذي جاءَتْ مِنهُ سُــلالتُنَا. الفراغُ الذي زرعنَا بهِ أرضَــنَا وعمّرَنَا مِنهُ بيوتَنا، ودفعنَا بهِ مهرَ زوجاتِنا؛ وأطعَمنَا مِنهُ أطفالنا وعمدناهُمْ بِه..

نعودُ عراةً؛ كما وِلدنا، ملطخين بالدماءِ وأرواحِ آلافِ القتلى.

وما كُنَّا سِــوى أجسَــاد محشــوَّة بالفراغِ؛ أياديناً فارغةٌ، عيوننا فارغةٌ، حتى أرواحُنا كانَت دوماً فارِغةً.

يا شعبيَ العظيمَ المهزومْ:

نعودُ لنَسَــبَحَ في الفراغِ ربَّما لِنصــفِ قرنٍ جديدٍ كما تقولُ العرافاتُ، فليحنِّ الإســلاميون مؤخراتهم بالفراغِ الذي قادُونَا إليهِ، ويُخَضِّــب المجاهِدونَ سكاكِينَهُمْ بدمِنا الذي يسيلُ في الفراغِ؛ وليصبغِ الإخوةُ الشيوعيونَ شَعرَ عاناتِهم بالفراغِ الذي نَظّروا لَهُ؛ وليغنّ الديموقراطيونَ أغاني الفراغِ.

ليهنأ الذينَ نهبُوا الفراغَ؛ ليخبؤهُ في البنوكِ ويورّثوهُ لأحفادِهِمْ.

ليهنَأ المهزومُونَ في هذا الفراغِ الرَحبِ؛ وليهنَأ المنتَصِــرونَ فقدْ مَلكُوا كلَّ هذا الفراغَ!

4-6-2014

خطاب مسجل عن جدوى الشوق في ظل الحرب

لا جَدوَى مِنَ الشيءِ إذا ارتَدى الثوبَ نفسَهُ على مرِّ الزمانِ؛
لا جدوى مِن اللاشـيءِ حتى لَو غيَّر جِلدَهُ وارتدى النقابَ احتراماً لتعاليمِ إمامِ الزمانِ «البغدادي»!
لا جدوى من طلب الراقصة «دينا» التصويت بنعم للدستورِ العسكري، لترقص على إيقاعه الدولةُ المدنيةُ؛ وإنْ هزَّتْ أردَافَها وألهبَتْ «أوساطَ» الشعبِ بالرغبةِ والحماسِ...
لا جدوى مِنْ جنيف السادس عشر؛ إلا كَجدوى اللعبِ ببعرِ الأغنامِ الجافِ.
لا جَدوَى مِنَ الحوثيينَ!
تخيَّلوا هَذَا العالَمَ المترامي الأَطرافِ دونَ الحوثيين.
لنْ يعني لكُمْ شيئاً غِيابُ الحُوثيين [ولا وجودُهُم]، حتَّى لو كانُوا يَطبُخُونَ لكُم الحربَ على نارِ الملالي.
لا جدوى مِن النزاعِ، ولا مِنْ تحوُّلِهِ إلى حربٍ مستعرةٍ! [ما الجدوى مِنْ حربٍ غيرِ مستعرة]، تُقشِّر على إيقاعِها الأرواحَ والذكرياتِ.
لا جَدوى مَنْ نُوبِّلْ «توكُلْ كرمَان»، ولا قيمةً [معنويةً] لها؛ عندما يحصلُ عليها بالقدرِ نفسهِ مُشعِلو حُروبٍ وطغاةٌ وغاصِبون لا جَدوى [أيضاً] من حمل امرأةٍ في مجتمعٍ محافظ لميداليَّة نوبل التي حُفِرَ عليها رجالٌ عراةٌ بأعضائِهِمْ التناسليةِ البارزةِ.
لا جَدوَى [كَذَلِك] مِن حِكَمِهَا البلاستيكيةِ في خطبِها المشروعةِ! التي لا تسطيعُ إطفاءَ الحربِ؛
لا جَدوى مِن مواضِيعِ التعبيرِ؛ وانقسامِ الهواءِ على جانبيِّ الطريقِ، مفسِحَاً الجغرافيا لمرورِ التاريخِ على عَربَةٍ تقودُها الجثثُ.

لا جَدوى مِنَ الشهادةِ ولا جَدوى مِنَ النصرِ ولا جَدوَى مِنَ التضحياتِ! ولا جَدوى مِنَ الحربِ ولا جَدوى مِنَ الثوراتِ إذا كانَ السفلةُ سيحكمُونَ إنْ نجحَت [أو فشِلَتْ] كما حَدَثَ عَبرَ التاريخِ!

30-12-2013

بعد أن أصبحت غاندياًّ في ظل الحرب!

لا يُوجَدُ في بريديَ آلافُ الرسائلِ، التي لا أستطيعُ الردَّ عليها بسببِ ضيقِ الوقتِ؛ لم يعُدْ يَصِلُني سِوَى رسائِلِ «سبام» مِن نصابِي أفريقيا؛ ومِن بينِها رسالةٌ مِنَ مَدام سَلمى التي فَقدَتْ زوجَهَا في طرابُلس الغرب، وكانَ مِن أعزِّ أصدقاءِ القذافي وتحتاجُ رقم حسابِيَ لتحوِّلَ لي ملايينَ الدولارَات.

لَم يُراسِلني أَحَدٌ مِنْ نُشطَاءِ الداخلِ؛ كمَا كانُوا يفعلونَ قبيلَ ظهوري على وسائَلِ الإعلامِ، ليزوِدوني بمعلوماتٍ سريةٍ وحساسةٍ لأقولَهَا على الهواءِ مباشرةً!

لمْ تَتَصِّلْ بي أيُّ وسيلَةِ إعلامٍ؛ طَالِبةً على عَجَلٍ؛ تَصريحاً حَوْلَ مبادَرةِ عَنَان؛ التي غَرِقَتْ في نَهرٍ مِنَ التفاصِيلِ والمجازرِ؛

ولمْ تُرسِل لي أيُّ مُعجَبَةٍ رِسَالَةً تُشيدُ بِأفكَاري المُكتَنِزَةِ؛ التي ترتدي ملابسَ شَفَّافة؛ لِتَخدمَ الثورةِ.

لَم يَعُدْ هناكَ مُعجَبُون بِعبَاراتي التي أكتُبُها على فيسبوك؛ رداً على سؤالِهِ المتكررِ «What's on your mind»، والرَسائِلُ التي تَصِلُني مِنْ «أصدِقَائِي»، تَوبيخٌ متواتِرٌ على موقِفي المتخاذِل مِنْ «الجَيش الحر»، وعدم دعمِي لَهُ بِصواريخِ الكاتيوشا، أو بطائراتِ تجسّسٍ بدونِ طيَّارٍ، ليُحَدِّدَ مكانَ سقوطِ

«جرَّةِ الغازِ» بِدقةٍ، أو على الأقلِّ بقذائف «آر بي جي» كي يُحرِّرَ سوريا سَبْعَ مرَّات!

أَصدِقَائِي العلمانيونَ، الذين انضمُوا لكتيبةِ الفاروقِ وكتيبةِ أهلِ السنَّةِ والجماعةِ؛ صَاروا يتركونَ الجبهاتِ ويعودونَ إلى شبكاتِ التواصلِ للمساهمةِ في تشويهِ صورتِي، بِرسائِل خاصَّة لأصدقائِهم؛ مستغربينَ عدمَ تكريسِ وقتي لتفسيرِ «نصرِ اللهِ القريب»، واسترسالي في كشفِ أكاذيبِ الناطقينَ الإعلاميين باسمِ الثورةِ؛ متسائِلينَ بِحُرقةٍ: يخدمُ مَن هذا؟! في هذا الوقتِ الدقيقِ والحرجِ الذي تسجِدُ بهِ البلادُ على بَركةٍ مِن دَمْ!

لم أَعُدْ أَرى في تِلفوني مكالماتٍ لم يُرد عليها، وصديقتي الوحيدةُ؛ لمْ تتحمَّلْ كَآبتي، وشَتَمتني بعدَ أنْ ملَّتْ انتظارَ ردِّي على رسالتِها الأّخيرةِ.

الفتاةُ التي حدثتُهَا قبلَ أسبوعَين عَن شَوقي لَها؛ قَالت لي: هذا فألٌ سَيء ولمْ تَعُدْ تردُّ على رسائِلي التي أرسِلُها لَهَا في الصباحِ الباكرِ!

لَمْ أَقُل شَيئاً يستحِقُّ العِقَابَ؛

كرَّرتُ الدرسَ الذي يحفظُهُ الجميعُ؛

الحربُ بركةٌ مِن دمٍ، وليست بابا نويل لتوزعَ الهدايا على المشرَّدينَ في العراءِ؛ في ليلةِ رأسِ السنةِ.

12- 5-2012

محاولة جادةٌ لرسم خارطة طريق

العَالَمُ مرٌّ العَالَمُ ســـمٌّ. العَالَمُ نِتَاجُ جِماعِ بَغلٍ وثَورٍ. العالمُ خصـــيتانِ من القيحِ والصـــديدِ. العَالَمُ قرادَةٌ كبيرةٌ. العالَمُ بَصـــقةٌ كبيرةٌ لكائِنٍ أســـطوريٍ العالمُ رائِحةُ جثَّةٍ معبَّئةٍ بكيسٍ مثقوب العالمُ يشربُ الدمَ ويسكرُ.

ونحنُ كلابٌ تنبحُ بشكلٍ مستمرٍ لاعتقادِها أنَّها ستخيفُ هذا العالَمَ!

19-9-2013

مجازات الموت

زيارةٌ يتيمةٌ

المَوتُ الذي أُفكِّرُ يوميًّاً بِهزيمتهِ؛ زارَني ليلاً برؤيَا مُحْكمَة؛
قال لي: سَأَعُود.
ربَّما ليسَ مناسِبَاً انتظارُهُ في المنزلِ،
وعليَّ الذهابُ لملاقاتِهِ.
ضيفٌ جليلٌ كهَذا لا يزورُنَا إلا مرَّة واحدةً طِوَال حياتِنَا!

10-5-2013

توضيح عشوائي للموت

لَم أجرِّبِ الموتَ؛
كنتُ أخافُهُ بِشدَّةٍ؛ ولم أقترِبْ مِنهُ سوى مرَّةٍ واحِدَة.
في تاكسي على طريقِ الإسكندريَّة الصحراوي صدمَتْنا شاحِنَةٌ ضخمةٌ مِنَ الخلفِ، طارَتْ السيارةُ في الهواءِ [الطَّلْق]، رأيتُ شجرةً كبيرةً أمامَنَا، ستوقِفُ تقدمَنَا إلى الأمامِ؛ وستهرُسُنا الشاحِنَةُ حِينَها.

لمْ يخطُرْ في بَالي سِـوى جملةٍ وحيدةٍ؛ «هيك الواحد يموت بهي البسـاطة!» [الذاهِبونَ إلى الموتِ لا يتكلَّمُونَ الفُصحى] وأغمضتُ عينيَّ مستسلِمَاً للموت. لَمْ أَمُتْ بالطبعِ؛ فلَم يَعُد أحدٌ مِنَ الموتِ ليكتبَ لكُمْ كَما تعرِفُون. فالشـاحِنَةُ تركَتْ ملاحقتَنَا، تماماً كما يُعفى عنْ سجينٍ وهو على حبلِ المشنقة.

لم أعدْ أخافُ الموتَ منذُ ذلكَ الحادثِ، لكني أكرَهُهُ بشـدَّة. لا أرحِّبُ بِهِ، لا أتمَناهُ، لا أريدهُ أنْ يقطِفَ أحداً أعرفُهُ، لا أحِبُّ الشـعاراتِ التي تمجِّدهُ، لا أُحبُّ الاحتفاءَ بِهِ. ولا أُحِبُ تزويرَهُ وتجميلَه.

الموتُ هو العدوُّ الملتصِـقُ بِنا، الذي يغافِلُنَا كلَّ حينٍ ويقطِفُ أرواحاً نحبُّها. منتظِراً لحظَةَ نصرهِ علينا.

الموتُ ليسَ نبيلاً ولا فارِساً.. أقربُ شبهٍ لهُ كاتِبُ تقاريرٍ سافلٍ يودي بأصدقائِنا للمعتقلات!

11-5-2012

وصيَّةُ رجل لم يقاتِل أحداً

إذا قُتِلتُ فَلَن أسـامِح بِدَمِي. لا أريدُ ثأراً، بَل جنازةً مهيبةً. يشـيِّعُني فيها كلُّ صـعاليكِ المدينةِ ومتسـوليها، وعاهراتِها، وشـارِبِي الخمرَ، والملحدينَ، والدروايشَ، والمصليّنَ الذينَ يعرفونَ وجهَ ربّهم ولا يعرفُونَ غيره.

إذا متُّ قتيلاً ابعِدوا عن جنازتِي كلَّ المتفوهينَ والمناضلينَ وأصحابَ الخطبِ الرنَّانةِ، والمناصبَ الرفيعةِ، والناشطينَ الثوريينَ الذينَ يحمدونَ سيرةَ الفقيدِ [أنا].

ليكتبَ أصدقائي عني كما كنتُ. لا أريدُ أحداً يجمّلُ صورتي. ولا أريدُ أنْ تطولَ سيقاني في القبرِ. ولا تذكروا محاسِني. اذكروا كلَّ مساوئِي. قولوا «مات الله لا يرده».

ولتقصَّ النسوةُ اللائي أحبَبنِني شعورَهنَّ، ولنْ أشعرَ بالذنبِ فيما لو شقَّت إحداهُنّ ثيابَها، وإذا خَمَشَت إحداهنَّ خدودَها لن أزعلَ في قبري.

في الحروبِ يعيشُ الموتُ بيننا كأحدِ أفرادِ العائلةِ أو الأصدقاءِ، لا تعرفُ أينَ يصادِفُكَ. ربَّما في المنزلِ، وأنتَ نائِمٌ يسقطُ فوقَكَ أحدُ صواريخِ سكود، أو بقذيفةٍ مدفعيةٍ قادمةٍ من «جيشنا الوطنيِّ»، وربَّما رصاص صديقٍ يقتلكَ مخطِئاً أو مصيباً.

الموتُ عملةٌ طائِشةٌ؛ قد تقعُ بينَ يديكَ في أيِّ لحظةٍ؛ فاكتب وصيتَّكَ باكراً.

25-4-2013

من وصيِّة رجلٍ يتوقع موتاً ملثماً

أُريدُ قبرَاً؛

أُريدُ قبراً بشاهدة؛

أُريدُ قبراً واسِعاً منَ الداخِلِ، أستطيعُ أنْ أقِفَ وأتحرَّكَ فيهِ؛ لا تَحشرونِي في حفرةٍ ضيّقةٍ؛ تغطونَها بالأحجارِ الثقيلةِ وتسدونَ كلَّ الشقوقِ التي يتسربُ منها الهواء؛ كأنَّ هناكَ خشية دفينة لدى الجميع من هروبي من القبر وعودتي للحياة. كأن لسان حالكم يقول وأنتم تطلون الحجارة [الثقيلة التي فوقي] بالطين: سدّوا جميع المنافذ عليه؛ يجب أن يبقى جثةً.

أريدُ قبراً واسِعاً كسيارةِ إسعافٍ منَ الداخِلِ؛ تلكَ التي تنقلُ الناسَ إلى الحياةِ أو إلى موتِهِمْ؛ لـهُ بابٌ يدخلُ مِنهُ الزوَّار، وبجانِبِ سريري ضَعوا كرسِيَّاً [واحِداً]، وركوَةَ قهوةٍ و «ببوراً» صغيراً، وفنجانين كي يصنعَ الزائرُ قهوةً لي ولهُ.

أعطُوا المفتاحَ لأمي فهيَ لنْ تمنعَ أحداً مِن زيارتي؛ لا تعطوهُ لحبيبتي فستمنعُ نساءً أخرياتٍ مِن زيارتي، بحجَّةِ أنَّها لا تعرفُ أينَ وضعَت المفتاحَ!

تفقَّدوني بينَ فينةٍ وأخرى؛ لا تتركوني وحيداً؛ حتى لو كانَ قبري واسِعاً وبشاهِدة.

23-11-2013

الذهاب إلى الموت سيراً على الأقدام

إلى تامر العوَّام

في الليلةِ الأَخيرةِ لم يكتُبْ وصيَّتَهُ،
لمْ يودِّعْ أَحداً، كما يفعلُ الذاهِبون إلى الموتِ، أو إلى الحربِ.
لم يكُنْ نبيّاً أنكَرَهُ قومُهُ،
ولم يكُن فيلسوفاً لم يَجِد سوقاً لحكمَتِهِ؛
كانَ يشبِهُنا جميعاً نحنُ الأحياء.
لم يُكتَبْ على جبينِهِ أنَّهُ سيموتُ بعدَ قليلٍ؛
واعتقدتُ أنَّ أمامنا وقتاً طويلاً كي نرسُمَ طريقاً بيننا.
قالَ لي: لمْ أكُنْ أحبُّكَ قبلَ أن تقرأَ الشِعرَ...
وقلتُ لهُ: لمْ أُحِبْ ملامِحَكَ القاسيةَ قبلَ أنْ تُغني.

لم نلتقِ بَعدها..

مضى بِدَمِه صوبَ البلادِ؛

وبقيتُ في المنفَى.

10-9-2012

موتٌ بلا قبر

إلى ميزر الخلف

أَنَا الذي لمْ أَحفَظ أسماءَ أبناءِ إخوتي، الذين ولِدوا في هِجرَتِي الطويلةِ؛

أعرفُ «ميزر»؛

ميزر كانَ بِكرَ والديهِ، أَحفظُ صورَتَهُ صغيراً يناديني «عمو». كنتُ صغيراً أيضاً، وأرتبكُ مِنْ أداةِ النداءِ هذهِ؛ أشعرُ أني ألبسُ ثوبَ أبي؛ كلَّما نَاداني بها أفرادُ الرَعيلِ الأوَّلِ مِنَ الجيلِ الثالثِ في دفترِ العائلةِ؛

ها هوَ الموتُ يأتي ببساطةٍ يا خلف،

ببساطةِ لفظِ المفردةِ نفسِهَا،

ببساطةِ أن تناوِلَكَ المخابراتُ العسكريةُ «هويةً» وتوقِّعَ على استلامِها كجثةٍ،

دونَ أنْ يكونَ حولَكَ مَنْ يقدِّمُ لكَ العزاءَ، ودونَ حائِطٍ لتبكي؛

ببساطةٍ أنْ تحملَ جثَّة ابنكَ في جيبكَ؛

ببساطةٍ أن يتركوه دونَ قبرٍ؛

هذا الموتُ قاسٍ؛ موتٌ دونَ جثَّةٍ، دونَ وداعٍ أخيرٍ، دونَ تشيِّيعٍ وعزاءٍ!

أمامَ هذا النوعِ منَ الموتِ، نتمنى فقطْ لو أنَّهُ جاءَ عبرَ رصاصةٍ.. لنحضنَ القتيلَ ونتلوثَ بدمِهِ، أو حتى عبرَ صاروخٍ لنُلَمْلِمَ الأشلاءَ وندفِنَهَا.

أمامَ هذا الموتِ الذي لا يبقي خلفَهُ سِوى «هويّةً» ماذا سنفعلُ يا ألله.

لو كنتُ مكانَكَ لوضعتُ أشياء يحبهَا ميزر في تابوتٍ ودفنتُها في قبرٍ مثلَ كلِّ الميتين؛ كُتبَه مثلاً، بعضَ ثيابِهِ؛ ألعابَهُ عِندَما كانَ صغيراً أولَ أمسِ...

تستطيعُ حينها أن تزورَ قبرهُ، وتبكي كلَّما عضَّكَ الشوقُ. تذهبُ إليهِ في الأعيادِ أنتَ وأمُّه مثلُ كلِّ الأحياءِ الذينَ يزورونَ أمواتَهُمْ.

لا تبقِ ولدكَ دونَ قبرٍ يا خلف

لا تترُكْهُ في العراءِ

هناك شتاءٌ بارد وطويل قادمٌ.

5-7-2014

من سيرةٍ ناقصة لمحارب رافقَ الموت

هذا الرَّجُلُ الذي يَجلِسُ على عَتبَةِ منزلٍ مهجورٍ؛ ينظرُ أمَامَهُ كأنَّهُ يقرأُ في كتاب؛

عادَ مهزوماً منَ الحربِ ببصرٍ يرى الأشياء كما تراها مرآةٌ مهشَمَة.

لفترةٍ استراحَ مِنْ مَنظَرِ الجثَّثِ والأشلاءِ، لكنَّ الأشلاءَ والجثثَ ظلَّتْ تراهُ؛ وتُسمِعُهُ استغاثاتِها.

يجلسُ على العتَبَةِ بانتظارِ القيامةِ؛ يحتفظُ [اليومِ الحسابِ] في ذاكِرَتِهِ التي أُصِيبَتْ بشظايا انفجارٍ؛ باستغاثاتٍ سمِعَهَا وهيَ تركُضُ نحوَ الله؛ كَحجَّةٍ على أنَّه لم يستجِبْ لَها.

استغاثةُ الأمِّ التي كانتْ تُمسِكُ مسبحةً طويلةً وتتمّتِمُ، فتطايرَ أبناؤُهَا أمامَهَا كغُبارٍ لا يُمسَكُ؛ جرَّاءَ وقوعِ برميلٍ متفجرٍ حيثُ يلعبون.

الرَّجلُ الذي اســـتجارَ ببيتِ الله فهدَمَتهُ القذائِفُ فَوقَهُ؛ العائِلةُ التي هربَتْ بعدَ ســـقوطِ صـــاروخِ ســـكود قربَ منزِلِهِمْ؛ لكنَّ القناصَ [الذي وفَّقهُ اللهُ بالتسديدِ] لمْ يُمهِل آخِرَهُمْ حتَّى يُكمِلَ قراءَةَ آيَةِ الكرسِي.

في الحصـــارِ الأخيرِ، عاشَ أيَّاماً لمْ يســـتطعْ عدَّهَا مَع جثثِ مقاتلين، ورجالٍ ونســـاءٍ وأطفالٍ ودجاجٍ وبهائمَ وحجارةٍ [وهؤلاء لم يشـــارِكوا في القتالِ]، وكلَّمَا تفسخَّتْ جثَّةٌ، يتفسَّخُ شطرٌ من إيمانِهِ!

بإيمانٍ متفسّخٍ قلَّبَ احتمالاتِ العاجِزِ؛

إمَّا أنَّ الله يَرَى؛ لكنَّهُ [لِحكمَةٍ لا تُدرَكُ] لا يريدُ أنْ يفعلَ شيئاً!

أو أنَّ الله أعمَى [فربَّما أصابَتْ عينيهِ الصورايخُ البعيدةُ المدى] لا يَرَى مُصابَ المستغيثينَ بِهِ؛ بإيمانٍ ينجو مِنَ الموتِ كلَّ مرةٍ بمعجزةٍ!

طِوَالَ أيَّامِ الحصارِ لَمْ يَأكلْ مِنَ الجثَّثِ شَيئاً، فَقدْ خَشِيَ أنْ تذهبَ إلى الجنَّةِ بأعضاءٍ ناقصة؛ حينما تُبعَثُ حيَّةً يومَ القيامةِ..

عِندِما تَفسَّخَتْ جميعُ الجثَّثِ حولَهُ، تَهَشَّمَ بَصَرُهُ، وانطَفَأَ إيمَانُهُ وغابَ عَن الوعِي، فرأَى الله مقتولاً بِرصَاصةِ قناصٍ في جبينهِ!

18-2-2014

الطاغية الذي أصبح متسولاً

لم يَعُدْ لكَ ذلكَ الحضُـــورُ المَهيبُ، حيثُ يكفُّ الناسُ عن المزاحِ، يوقِفُونَ أَعمَالَهُمْ، يَتذَكَرُونَ أَخطَاءهُم بِحقِّ الآخرين، ويكتبون طلبَ المغفرةِ على أوراقِ الندمِ.

لمْ يعُدْ ظِلُّكَ القاتِمُ يخيّمُ على المكانِ الذي تحلُّ بهِ؛ حيثُ الصمتُ سيدُ الوقتِ، تقطعُهُ تمتماتٌ لا تُذكَرُ مِن حُشُودٍ تستقبلكَ بمهابةِ سلطانٍ حضرَ لبلدةٍ نائية.

لمْ يعُد السوادُ اللباسَ الرسميَّ للنساءِ في حفلاتِ استقبالِكَ؛ وحينَ تغادِرُ لمْ تَعُدْ تتركُ نواحَاً يقطّعُ القلوبَ؛ النواحُ أصبحَ مكتوماً وشاحِبَاً كأنَّه صدىً بعيد.

لمْ تعُدْ ذلكَ اللغزَ المحيّرَ للأطفالِ؛ وهُمْ يسألونَ عنْ أمهاتِهِمْ أو آبائِهِمْ أو إخوتِهِم الغائبين؛ ولم يعُدِ الجوابُ «صعدَ إلى السماءِ عندَ الله»؛

فالغائِبونَ أضحَوا أمامَ العيونِ جُثَثَاً في الشوارعِ، تأكُلها الكلابُ، أو تحتَ ركامِ المباني، أو أشلاءً متناثرةً في الطرقاتِ والساحاتِ؛ تُجمَعُ مثلَ فاكهةٍ أو خضارٍ تمزَّقَ كيسُهَا في الطريقِ.

ولم تعدِ الكوابيس المرعِبةَ تداهِمُ الأطفالَ في الليلِ، لرؤيتِهِمْ يداً مقطوعةً تتدحرجُ أو إصبعاً يطيرُ، أو حتى رأساً معلقاً على شجرة.

كمَا ترى أيُّها الموتُ؛ يا سيدَ الضعفاءِ، لم تَعُدْ سُلطَاناً مهيبَاً تسجدُ أمامَهُ الأرواحُ وتتهاوى الأجسادُ لرؤيتِهِ، أصبحتَ مملاً ولا تثيرُ الرهبَةَ في النفوسِ، واكتشفَ الجميعُ [حتى المغفَّلونَ] أسرارَ ألعابِ الخفَّةِ التي تمارسُهَا لتُدهِشَ البشرَ، أدركوا عماكَ وعرَفوا أنَّهم عصَاكَ التي تتوكأُ عليها.

استدلَّ الناسُ إلى أساليبكَ المكرَّرَةِ والمعادةِ في خطفِ الأرواحِ، وتركِ الأجسادِ هامدةً أو ممزقةً، حتى أنَّ كثيراً منها لمْ تعدْ تجدُ منْ يُكفِنها وينقُلُها باحترام، كما كانَ التعامُلُ مع ضحايَاكَ.

أصبحَ الناسُ يستخدِمُونَ الجرَّافَاتِ والشاحناتِ لتجميعِ الجثَّثِ التي تترُكُهَا خلفَكَ، يرمونَها بِلا مبالاةٍ واضحةٍ في حفرٍ واسعةٍ ويردمونَهَا بصمتٍ ويمضونَ سريعاً دونَ أنْ يتركوا حتى شاهدةً تدلُّ على أسماءِ الموتى.

أصبحتَ عاديَّاً؛ لم يَعُدْ حضورُكَ خبراً عاجِلاً؛

المشجّعونَ يتابعونَ فِرَقُهمْ المفضلةِ في المونديال، ويشتمُونَ الحكم الذي لم يحتسب لفريقهم ضربة جزاء، ويتألمون لإصابة نجمِ فريقِهم؛ ويشتمونَ وحشيةَ لاعبي فريقِ الخصمِ، ويطلقونَ على المباراةِ وصفَ المجزرةِ؛ بينما أنتَ تقومُ بزيارةٍ روتينيةٍ لقريةٍ [سورية] محوّلاً سكّانَها إلى جثثٍ ومبانيها إلى خرائبَ.

كما ترى أيّها الموت؛ لم تعُدِ المجازرُ الحقيقيةُ مثيرةً للاهتمامِ؛

الأطفالُ يستمرونَ في تقليدِ المقاتلينَ في لعبةِ الحربِ؛ ويمثِّلُونَ دورَ الجثَثِ باحترافٍ شديدٍ لكثرةِ مشاهدتِها ترتمي أمامَهُمْ. العشّاقُ يقبِّلونَ بعضَهُمْ ويمارِسُونَ الحبَّ في غرفٍ مفتوحةِ النوافذِ حيثُ لم يعُدْ هناكَ أحدٌ يراهُمْ أو يأبَه لَهُم..

والنسوَةُ يكمِلنَ حَفرَ الكوسَا والباذنجان لطبخِ المحشي دونَ ثرثراتٍ عن زواجِ ابنةِ «المجاهدِ» من أميرِ الولايةِ؛ أو يتابعنَ صُنعَ «العقيدةِ» لنتفِ الشعرِ من الأماكنِ الحساسةِ...

أيّها الموتُ!

لم تعُدْ أكثرَ منْ مُتَسوّلٍ بائسٍ يثيرُ الشفقةَ، وهو يشحذُ الدموعَ والرهبةَ؛ بعدَ أنْ مرّغتِ الحربُ أنفكَ ومهابَتَكَ بالوحلِ.

أيُّ سُخفٍ هذا الذي أصبحتَ فيه!

مالكَ تتشبثُ بالمُلكِ كطاغيةٍ من بلادِ الشرقِ؛

لو كنتُ مكانكَ لخطبتُ في الناسِ وتنحيتُ عن العرشِ، دعوتُهم لانتخابِ ملكٍ جديدِ، ملك يعيدُ للموت هيبتَهَ ورهبتَه.

10-7-2014

في الكتابة عن الموت

كتبتُ كثيراً عن الموتِ في الفترةِ الماضية؛
حتى إحصائياً ستجدونَ «المفردة» وردَتْ عشراتِ المرات.
هناكَ أسبابٌ كثيرةٌ للكتابةِ عن الموتِ لا يمكنُ حصرُهَا؛ فالموتُ عملةٌ متداولةٌ منذُ الأزلِ؛ وستبقى متداولةً حتى الفناءِ الأخيرِ، الذي لنْ يحدثَ على الأرجحِ. لكنْ لديَّ أسبابٌ مقنِعَةٌ لكتابتي عن الموتِ؛
فالحربُ [أولاً] وكما ترونَ وتشاهِدونَ بالعينِ المجردةِ تلتَهِمُ الحياةَ؛ الأحياءَ، البيوتَ، الذكرياتِ...
الحربُ جعلَتِ الموتَ كثيراً، أينما تلفتنا نراهُ. نصادِفُهُ في كلِّ مكانٍ. في البيوتِ، داخلَ غرفِ النومِ، في الحمامِ، أثناءَ ممارسةِ الجنسِ، في الطريقِ إلى المدرسةِ، عند تقاطعِ الطرقِ، أثناءَ اللعبِ في الحارةِ، عندَ الذهابِ سيراً على الأقدامِ لشراءِ المعكرونةِ، على أبوابِ الأفرانِ وأثناءَ الزحامِ لتأمينِ الخبزِ للعائلةِ، في وسائلِ النقلِ العامةِ، في المعتقلاتِ، خارجَ المعتقلاتِ، في مناطقِ سيطرةِ النظامِ، في «المناطقِ المحرَّرَةِ» ...
أصبحَ الموتُ يأتي في أيِّ وقتٍ؛
يأخذُ الناسَ بنزهاتٍ جماعيَّةٍ لزيارةِ الأبدِ الذي لنْ يعودوا منهُ؛
يأخُذُهُمْ بوسائلَ نقلٍ مختلفةٍ؛
الرصاصُ، المدافعُ، الصواريخُ، البراميلُ المتفجرةُ، السياراتُ المفخخةُ، الهاون، الساطورُ، السيفُ، السكينُ، الخنقُ باليدين...
الموتُ أخذَ كثيرين عنوةً وخطفاً إلى الجنَّةِ كشهداءَ؛ ومنهم من لم يفكِّر بالجنَّةِ أصلاً، وكانَ يفضِّل الحياةَ عليها. هذا [وحدَهُ] سببٌ كافٍ لكتابةِ مجلداتٍ كثيرةٍ عن الموتِ.

تخيَّلْ لو أنَّنا وثّقنا فقط؛ ما كانَ يحلمُ به هؤلاء الأموات، لكانَ علينا أنْ نكتبَ نصاً لا ينتهي مِنَ الأحلامِ، التي بعثَرَها الموتُ أو اغتالَها ببرودٍ شديد.

أما السـببُ الثاني لِكِتَابَتي عن الموتِ؛ وردَ في رواياتٍ كثيرةٍ؛ تقولُ إنَّ العارفينَ يدركونَ اقترابَ الموتِ، تتعرَّفُ إليهِ حواسُهُمْ؛ يشمونَ رائِحَتَهُ من بعيدٍ، وعندما يقتربُ يرونَهُ على هيئةِ سرابٍ، أو حكايةٍ بهيئةِ جسدٍ بلا وجهٍ، يخوضونَ حِواراً عاطفيَّاً معهُ، محاولينَ إقناعَهُ أنْ يؤجِّلَ مهمتهُ قليلاً، وهذا ما أفعلُهُ!

أحاولُ إقنَاعَهُ أنْ يصرفَ بصرَهُ عني قليلاً؛ فما زالَ عليَّ إنجازُ بعضِ الأشياءِ العالقةِ؛

ابني بعيدٌ عني، وأريدُ أنْ أجتمعَ بِهِ في بيتٍ واحدٍ لأيامٍ معدودةٍ. أيضاً أريدُ بعضَ الوقتِ لأنامَ بحضنِ حبيبتي ليومٍ طويلٍ وأقولَ لها ماذا تفعلُ بذكريَاتِنَا، ولِمَنْ تُعطي الفرحَ الذي جففنَاهُ ووضعناهُ بأكياسٍ؛ كـ«مونةٍ» للأيامِ القادمةِ.

أريدُ أنْ أكتبَ بعضَ الأفكارِ التي مازالتْ تلحُّ عليَّ وربَّما تبعثُ البهجةَ في نفسِ شخصٍ على الأقلِّ، أو تدهشُ أرملةً ماتَ عاشِقُها...

أكتبُ عنِ الموتِ لا لقلَّةِ المواضيعِ التي يمكنُ أنْ تُكتبَ، ولا كشاعرٍ يعيشُ في الدولِ الإسكندنافيةِ؛ ولمْ تَعُدْ لديهِ قضايا مِن نوعِ توفيرِ الخبزِ، والحربِ، وعدمِ توفُّرِ المياهِ الصالحةِ للشربِ؛ أكتبُ لأنَّ الموتَ بدأَ يحاصِرُني مِن كلِّ اتجاهٍ أَمضِي نحوهُ؛ لا أكتبُ لأنَّهُ مُجَرَّدُ فكرةٍ سيطَرَتْ عليَّ نفسيَّاً وأصبَحَتْ تُلِحُّ كهاجسٍ للكتابةِ!

أكتبُ لأنبِّهَ أصدِقَائِي أنَّ الموتَ يمزِّقُ ملابِسِي، ويشدُّ شَعريَ، ويريدُ خَنْقي؛ كي ينهَرَهُ أحدٌ مِنهُمْ ويقولُ لهُ ماذا تريدُ مِنْ هذا الرَّجُلِ! اتركْهُ قليلاً مِنَ الوقتِ فما زالَ يكتبُ أشياءَ نُحِبُّهَا.

أَكتُبُ لِتَحضِنَنَي حبيبَتِي، تَضَعَ رأسيَ على صَدرِهَا وتقولُ لِي «بعيد الشر عن قلبك».

المشكلةُ أنَّ الموتَ لا يتأثَّرُ بالعواطفِ؛ ويتبولُ على الأفكارِ المنطقيةِ؛ ولا يرتَشي أيضاً!

ماذا عليَّ أنْ أفعلَ! أحدٌ مِنكُمْ يضعُ نفسَهُ مكاني.. ويُقرِّر.

16-7-2014

هوامش الحرب

الشمس تشرق كل يوم

الشَّــمسُ تُشــرِقُ كلَّ يومٍ في مُعظَمِ بلادِ العالمِ. هذهِ ليسَــتْ معلومةً ســريةً، ويعرِفُهَا الجميعُ، رُغمَ أنَّ هناكَ مَنْ يعتقدُ خطَأً أنَّ الشـمسَ تُشـرِقُ كلَّ يومٍ في كلِّ بقاعِ الأرضِ.

مَعلُومَة كَهذهِ لا يمكنُ الاستفادةُ مِنهَا أبداً؛

لا يُمكنُ بيعُهَا لتجَّارِ الأَفلامِ الوثائقيةِ الذينَ يجوبونَ البِلادَ بحثاً عنْ أشــياءَ تشـتريها مِنهُم الفضـائيات؛ ولا يمكنكَ أنْ تكتُبَهَا كخبرٍ عاجلٍ لتصـبحَ ناشـطاً إعلامياً يُفَبرِكُ الأكاذيبَ على عجلٍ كأنَّهُ يشربُ كَأسَ شايٍ باردٍ؛

ولنْ تزيدَ فُرْصَتَكَ في الحصولِ على تمويلاتٍ لمشاريعِكَ الوهميةَ من مؤسَّساتِ الـ NGO'S التي تكاثَرَتْ فوقَ جثثِنا كالديدانِ التي تنخرُ جسداً متفسِّخاً؛

ولا يمكنكَ أنْ تبتدعَ نظريةً في تفصـيلِ العالمِ على مقاسِـكَ الشـخصـيِ بناءً عليها؛

ولنْ تُقنِعَ أيَّ صـبيَّةٍ أنْ تهيمَ بكَ؛ أو على الأقلِّ تقبلَ دعوتكَ إلى فنجانِ قهوةٍ؛ بناءً على ترديدِ هذهِ العبارةِ أمامَهَا أو عبرَ إرسـالِهَا لها كرسـالةٍ بإحدى وسـائلِ نقلِ البريدِ الفوري المتكاثرةِ!

عبارةٌ كهذهِ لا قيمةَ لها يا فهمانْ، ولنْ تُنجيكَ مِنَ الغرقِ في البحرِ المتوســطِ أو بحرِ إيجة، ولنْ تُقنِعَ السَــمَكَ بعدمِ أكلِ جثتك بعدَ أنْ تفطسَ مِن قِلَّةِ الأوكسجين.

لَنْ تَجعلَ الموتى يثقونَ بِكَ،

ولنْ تَجعلَ الأحياءَ الذينَ تُصَادِفُهُم يتهامسونَ حولكَ [إنَّهُ صاحِبُ الاكتشافِ الشهيرِ...] ويطلبونَ التقاطَ الصورِ التذكاريةِ معكَ.

ولنْ تجعلَ أنصافَ وأثلاثَ وأرباعَ وأخماسَ وحتى أعشارَ الأميّينَ يبدأونَ بها رسائِلَهُمْ لحبيباتِهِمْ، أو يضمُّنونَهَا في مقالاتِهِم [رغمَ أنَّها أهمُّ مِنَ النظرية المتداولة على نطاقٍ واسعٍ «نحنُ محكومونَ بالأملِ»]؛

ولنْ يعلِّمهَا خطاطٌ لتلامِيذِهِ كقولٍ مأثورٍ. [على أيَّةِ حالٍ هذِهِ المهنةُ في طريقِهَا للانقراض].

عبارةٌ كهذهِ لنْ تجعلَ النظامَ يترنحُ؛ كَما أخبرنَا تُجَارُ الروثِ [والذي يُستَخدَمُ كسمادٍ عضويٍّ] مِرَاراً؛

ولنْ تجعلَ النصرَ يتأخرُ؛

ولنْ تَسقُطَ دولةُ الخليفةِ البغدادي التي أقامَهَا بِسُرعةٍ وسهولةٍ كأنَّهُ يُصوِّرُ «فيديو كليب» لسارية السواس.

عِبَارَةٌ كَهذهِ عبارةٌ عاديةٌ يعرِفُها الجميعُ؛

لا يمكنُ أنْ تصنعَ مِنهَا خيَماً للاجِئِينْ؛

ولنْ تقيَ الناسَ شرَّ البراميلِ المتفجرةِ التي اكتشفَهَا النِظامُ

كأسلوبٍ رخيصٍ للإبادةِ؛

لنْ تجعلَ العدوَّ يستسلمُ،

ولن تُفيدَ محادثاتِ السلامِ،

ولنْ توقِفَ الحربَ.

30-7-2014

كَمينٌ عاطفي مجرد من الرَّغبات

لِنَتَأَمَّلْ هَذَا الخَرَابَ، بعينيهِ الواسِعَتينِ ورموشِهِ الطويلةِ، وكُحْلِهِ المثيرِ؛

لنَضَعْ أيَادينا في يدهِ الممدودةِ لَنا،

لِنَخدعَه بِرغبَتِنا في العبورِ إلى الضفةِ الأُخرى منَ الحياةِ، نُغريهِ بِنَظَرَاتِنا الشَبِقَةِ، وأجسادِنَا الملهوفَةِ للنومِ معهُ؛

نُنَادِمُهُ حتى يثملَ، ونَدَعُهُ يتلمسُ أجسَادَنَا، نرقصُ لَهُ، نَتَعَرَّى أَمامَهُ حتى مِنْ ثيابِنَا الداخليةِ،

وعلى السَّريرِ نفاجِئُهُ بِوِسادَةِ آلامِنَا الثقيلةِ، نكتمُ أنفَاسَهُ حتَّى يموتَ.

هَكَذا تَكُونُ الكَمَائِنُ في الصفقاتِ المشبوهةِ، وعملياتِ التَجسُّسِ.

نندبُ فوقَ جثَّتِهِ كحبيبةٍ ثكلى، لمْ تَعرِفِ الخيانةَ،

نُكَفِنُهُ بِخريطةِ العَالمِ، ونلفُّهُ بعلمِنَا الوطنيِ وأعلامِ الدولِ الخمسِ الدائمةِ العضويةِ؛

نُقيمُ لهُ تشيِّيعاً مَهيباً؛ كقائدٍ قُتِلَ أثناءَ معركةِ النصرِ بشظيةٍ طائشةٍ؛

نَدعو لجنازَتِهِ قادةَ العالمِ، والشخصياتِ الاعتباريةِ وذاتَ النفوذِ؛

يتبارَى خُطَبَاؤنَا في رِثَائِهِ؛

نقرأُ عليه نصوصَ قراراتِ مجلسِ الأمنِ، بِما فيها المغدورةِ بالفيتو، وتقاريرَ مجلسِ حقوقِ الإنسانِ العالمي...

نَكتبُ على قبرِهِ:

هنا يرقدُ الخرابُ الذي احتضنَ هَذي البلادَ طويلاً.

21 – 8 - 2014

بديهيَّاتٌ نائِمةٌ في الطريق

لا يُمكِنُكَ أنْ تُدرِكَ الجهاتِ، ولا يُمكِنُكَ أنْ تلحقَ كلَّ المارةِ على كوكبِ الكرةِ الأرضــيةِ. لا يمكنكَ لحسُ مســتطيلٍ ذهنيٍ، ولا يُمكِنُ أن تشــربَ الريحَ. لا يمكنكَ منادمةُ الأبدِ، ولا تعبئَةُ فراغٍ مجوَّفٍ داخلَ الروحِ.
عليكَ أنْ تقبلَ الحياةَ معْ علمكَ أنَّ هناكّ أشياءَ كثيرةٌ لا يمكنُ فِعلُها.

9-3-2013

موليّا

تَعالَوُا لِنُغَنِّ «المُوليَّا»[5] [إلي سار نجم السما تيسر وسار...] دونَ مُبَرِّرَاتٍ تُذكَر، دونَ أنْ نُجيدَ الضربَ على الدفِّ؛ دونَ أنْ يكونَ لدينا دَفٌّ حَتى.
نَســتَذكِرُ الزمنَ قبلَ دخولِ كتائبِ الأورغِ الفاشــيةِ التي عاثَتْ في المُوسِــيقى خَرَاباً، وقبلَ مَجِيءِ جنودِ الخليفةِ البغدادي.
نُرَتِّلُهَا بِبُطءٍ كَمَنْ يَحتَسي أَخِرَ رَشْـفَةٍ مِنْ كَأسِ حَيَاتِهِ، نَشـرَحُ مَعَانيهاَ للمارَّةِ، والصَــبَايَا اللواتِي يرتَديْنَ الجينزَ ويعتقدنَ أنَّنَا نتحدثُ لغةَ قبائِلِ الهُوتُو، نُتَرجِمُهَا للسَــيِّدةِ هيلاري كلينتون وجون كيري والرئيسِ الأمريكيِ [ابن حســين أوباما].

[5] الموليّا: أحد ألوان الغناء الشـعبي في وادي الفرات. تتكون من رباعيات شـعرية، ثلاثة أشـطر تنتهي بقافية متشابهة والشطر الرابع ينتهي بـــيّا. كانت تغنى بشكلٍ أساسي مصحوبة بإيقاع الدفوف. وعندما احتلت «الدولة الإسلامية» الرقة منعت الموسيقى والغناء .

نَسْبِقُ كلَّ رُبَاعِيَّةٍ مِنْ المُوليَّا بـ «يا ابو حسين...» دَلَالَة على مَكَانَتِهِ كَشَاهِنشَاه العالمِ، مُتَوجهِينَ لَهُ بالغِنَاءِ، ليقتَنِعَ أنَّ وقتَهُ لَمْ يمّضِ عَبثاً وهو يسمعُ المُوليَّا باللُّغَةِ الانكليزيةِ. هّكذا [يا ابو حسين؛ لاقعد على المنهل الكل يوم ترودنه...].
نُقنِعُهُ بِجَملٍ رَكيّكَةٍ ومُستَهلكةٍ، أنَّ المُوليَّا غذاءُ الروحِ في وادي الفراتِ؛ حيثُ أقامَ البغدادي دولةَ الخلافةِ.

وبصريحِ العبارةِ؛ وبعدَ أنْ يهزَّ رأسَهُ مُعجَبَاً و مردّدَاً: It's good نُخبِرُهُ أنَّ مجزرَةً ارتُكِبَتْ بحقّ المُوليَّا [والتي تعتبر أقليّة موسيقية]؛ فبعدَ أنْ قَصَفَتهَا كتائِبُ الأورغِ، ببراميلِ الضجيجِ المتفجرةِ، جزَّ كلماتِهَا ولحنَهَا جنودُ «الدولةِ الإسلاميةِ» بالسكاكينِ، دونَ أنْ ينشروا فيديو الذبحِ على «اليوتيوب».

المُوليَّا ذُبِحَتْ بصمتٍ وسَالَ دمُهَا نَحوَ الفراتِ، حيثُ كانتْ تطوفُ بالمراكِبِ على طولِ النهرِ.

دمُ المُوليَّا لم يتصدرِ الصَفَحَاتِ الأولى في الصحفِ العالميةِ، ولمْ توردها وكالاتُ الأنباءِ كخبرٍ عاجل..

المُوليَّا؛ جُثةٌ مَتروكَةٌ في العراءِ..

تَعَالوا نُقِمْ حِدَاداً على روحِهَا،

نستَذكِر عذاباتِ العشَّاقِ التي لحنَتْهَا،

نُحيي ذِكرَاهَا بغناءٍ جماعيٍ، شَاحبٍ وحزينٍ، نُورّطُ العالمَ بِحبّها، والتأسّي لمَصِيرهَا.

23 – 8 - 2014

في فضائل الصمت

ماهيَ العِبرَةُ أنْ تقولَ للّيلِ: أيُّها اللّيلُ!

ماهيَ العبقريَّةُ في قولِكَ لفتاةٍ تجلسُ بِجانِبِكَ، في مقهى يُطِلُّ على النيلِ، في أوَّلِ يومٍ مِنَ الخريفِ: لقدْ جاءَ الخريفُ أخيراً! والخريفُ -كَمَا تعلم - يَأتي كلَّ سنةٍ في نفسِ الموعدِ.

أيُّ إضافةٍ تقدِّمُهَا، حينَ تقولُ لفتاةٍ رائعةِ الجمالِ: أنتِ جميلةٌ! سِوى أنْ يكبُرَ رأسُهَا.

أو حينَ تتفاصَحُ أكثرَ من اللازمِ قائِلاً كَمَنْ يُخبِرُ عن اكتشافٍ علميٍ: ماءُ البحرِ مالحٌ!

ما القيمةُ الثوريةُ لقولِكَ: هذا قاتِلٌ. لِمَن قتلَ شخصاً على الأقلّ.

وماهيَ الفائِدةُ التي يجنيهَا غيرُكَ حينَ تقولُ: الشهداءُ يموتُونَ دِفَاعَاً عن الوطنِ!

هل تعتقد أنك تقدم شيئا لعلماء الأنثروبولوجيا عندما تقول: الشعوب لا تموت!

جملٌ كهذه؛ لن تجعل رجال الكنيسة يحكمون عليك بالإقامة الجبرية، بتهمة الهرطقة، ولن تُنحت لك التماثيل بعد قرونٍ تخليداً لذكراك، حتى لو خرجتَ عارياً وصرخت «وجدتُها.. وجدتُها» قبل أن تتلوا اكتشافاتكَ هذه.

لو كانَ هناك عدل لحُكم عليكَ بالصمت.

2-9-2012

عن سوريا التي يعرفُها الجميع

الناس خارِج سوريا

الرَّجُلُ العجوزُ الجالِسُ على مِقعدٍ في الحديقةِ؛
أُخمِّنُ أنَّهُ يُفكِّرُ بصديقِهِ الموت!
هلْ استيقظَ باكِراً
هلْ نظَّفَ أسنانَهُ وتناولَ إفطارَهُ
هل لبِسَ جوارِبَ سميكةً قبلَ أنْ يخرُجَ في هَذَا الطقسِ البارِدِ
هَكَذا هُمْ الناسُ؛ يفكِّرُونَ بالغائِبِينَ.

22-5-2014

في سوريا

الكِتَابةُ ظِلُّ الأشياءِ، رائِحَتُهَا البعيدة.
نحنُ لا نكتبُ الأشياءَ التي حَدَثَتْ بالفِعلِ؛ بلْ نكتبُ ظلالَهَا.
نكتبُ عنهُ. نكتبُ الدمَ الذي جَفَّ.
كيفَ لنا كتابةُ الألمِ، الفَزعِ، الرُعبِ، الجوعِ، الموت...

حتى لو كُنتَ عبقريّاً؛ هل تستطيعُ كتابةَ شعورِ أبٍ ذَبَحوا عائِلَتَهُ أمامهُ بِبُطءٍ وبِسكاكينَ مثلمة، أو أمٍّ كانَتْ تَلعبُ مَع طِفلِهَا الوحيدِ فشقَّتهُ القذيفةُ نصفينِ أمامَ عينيها!

كيفَ لكَ أنْ تكتُبَ آلامَ جثَّةٍ ينهَشُهَا كَلبٌ، هل تَستَطيعُ إدراكَ مشاعِرِ الكلبِ!

دَعكَ مِنْ ذَلكَ. صِفْ لي بِمَا تَحتَاجُهُ مِنْ كلماتٍ وجملٍ، مشاعِرَ إنسانٍ وهو يأكُلُ جثَّةً!

ذلِكَ حدثَ قبلَ قليلٍ في بلدٍ اسمُهُ سوريا في القرنِ الحادي والعِشرِين.

26-5-2014

ما يمكن فعله قبل التوجه إلى الحدود

جَفِّفِ الذِكريَاتِ؛ كَمَا كانَتْ أمُّكَ تُجَفِّفُ الباميَاءَ والباذنجانَ، الذكرياتُ الجافَّةُ يسهلُ حملُهَا؛ لِتكونَ مَؤونَة في شتاءٍ لا تَعرِفُ أينَ سَيُحلُّ بكَ.

ضَعهَا في جيبِ حقيبَتِكَ الصغيرةِ، أو جيبكَ إنْ غادَرتَ على عَجلٍ أثناءَ الغارةِ الجويّةِ، وقبلَ سقوطِ البرميلِ المتفجرِ بلحظاتٍ لا تترُكْ ذكرياتِكَ خلفَكَ مشرَّدَةً؛ فعِندَمَا يُدمِّرونَ الأَمكِنَة تُصبِحُ ذكرياتُنا بِلا مَأوَى.

أَوْصِ أصدِقَاءَكَ قبلَ أنْ يغادِرُوا خَرَائِبَهُم التي كانَتْ بُيُوتَاً، أَن يَحْمِلُوا خَرَائِطَ عليها أسماءُ قُرَاهم، أو أحيَائِهم؛ ربَّمَا لَنْ يَبقى مِنها حَجَرٌ، فَهذهِ الحربُ كقطيعِ كلابٍ مسعورةٍ تنهشُ كلَّ شيءٍ.

احتَفِظ بِصوَرِ الأمكِنَةِ التي تُحِبُهَا: المَقهَى الذي كُنتَ تَشربُ فيهِ قهوَتكَ مَع أصدِقائِكَ، الشَارِعُ أو الحَديقَةُ حيثُ قابَلتَ حبيبَتَكَ لأوَّلِ مرَّةٍ؛ وكنتَ مرتبِكاً كعصفورٍ مُبللٍ؛ ولا تنسَ صُوَرَكَ في الأماكِنِ الأثريةِ مَع زُملائِكَ في الرحلاَتِ

المَدرَسيّةِ، والذينَ ربَّما الآنَ يُقاتِلونَ في جهاتٍ متقابِلةٍ، صُورُ مدرَسَتِكَ أيضاً، إنْ كنتَ مِمَنْ يُحِبُّونَ المدرسَةَ، صُوَرُ بيتكَ الذي دَفعَتَ ثَمَنَهُ عَدَّاً ونَقدَاً سِنين طويلة مِن عُمرِكَ...

سَتحتَاجُ هذهِ الصورَ كوسائِلِ إيضاحٍ حينَ تَروي [في بلادٍ لا تعرِفُ اسمَهَا ولا لُغتَها الآنَ] لأصدقاءَ جُدُدٍ، أو غُرَبَاءَ جَمَعَتْكَ بِهِمْ مُصَادَفَةٌ، قِصَصَاً عَن «بلدِكَ الأصليّ»، عنِ البِلادِ التي يتناوَلُ فيها الناسُ إفطَاراً موحَداً كنشيدٍ وطني.

سَتَحتَاجُهَا وأنتَ تَروي لِأحفَادِكَ؛ دُونَ أَنْ يكونَ هُنَاكَ مِدفَأةٌ يَتَحلَّقون حَولَهَا، سِيرَةَ البِلادِ التي جِئتَ مِنها. وتُفَسِّر لَهُمْ وَشْمَ «البلدِ الأصليِّ» الذي يَحمِلُونَهُ في بَلَدِهِم الجَديدِ.

سَتَحتَاجُهَا عِندَما تَثْمَلُ؛ وأنتَ تُنَادِمُ نوباتِ الحنينِ في حانَةٍ لا تعرِفُ فيها أَحَدَاً.

قبلَ أنْ تودِّعَ سوريا يُمكِنُكَ أنْ تَفعَلَ أشياءَ كثيرةً لا مَعنى لَها:

تَبتَسِمَ لَأعمِدَةِ الكهرَبَاءِ التي كُنْتَ تَمرُّ بِجَانِبِها دونَ أَنْ تُثيرَ انتبَاهَكَ، تَحفِرَ اسمكَ للذِكرى على حَائطٍ سَتَقصِفُهُ الطائِراتُ قريباً، تَزرعُ شَجَرةَ كينا أو صَفصَافَةً [ولا تَستهتِر في هذا الأمرِ؛ فَقَدْ تَعوُدُ بَعدَ سنينٍ وسَتَجِدُ أنَّها الكائِنُ الحيُّ الوحيدُ الذي تّعرِفُهُ في هذهِ البلادِ].

تَحفِرُ قَبراً وهمِيَّاً في مَكَانٍ غيرِ صَالِحٍ للقصفِ، تدفنُ فِيهِ كُلَّ أَشيائِكَ الحَميمَة؛ رَسائِل حَبيبتِكَ، دفترَ مذكَّرَاتِكَ، هَدَايا صَديقَاتِكَ وأصدِقَائَكَ، صُكُوكَ المُلكيَّةِ لِمَا أَضحَى غُبَاراً...

فَكلُّ ذي حَيِّزٍ سَيكونُ عِبَئاً عليكَ وأنتَ تُغادِرُ البَلدَ الذي يَأكُلُهُ الخَرَابُ.

25-7-2014

معبرٌ حُدودي

تَأمَّلْ هذهِ القِطعَةَ الصَغِيرَةَ مِنَ الأرضِ؛ والتي كَانَت مهجورةً يَومَاً ما؛
خَمِّنْ عَدَدَ الطُيورِ التي عَبَرَتْ سَمَاءَهَا؛
عَدَدَ الأقدامِ التي مَرَّتهَا؛ الأفكّارُ التي قَطعَتْها بِشَكلٍ عَشوائي كَتَلامِيذَ في رِحلَةٍ مَدرَسِيةٍ؛
كَمْ جَميلَةٍ مَرَّتْ مِنْ هُنَا، كَمْ طِفلٍ عَبَرَ مَع أُمِّهِ دُونَ أَبيهِ، كَمْ طَالِبٍ كَسولٍ، كَمْ لِصٍ، كَمْ بَليدٍ، كَمْ شَخصٍ مِنهُمْ يُفَضِّلُ القَهوَةَ على الشَاي، كَمْ شخصٍ مِنهُمْ قَرَأَ ابن تيميَّةَ أو «رياضَ الصالِحينَ»!
هَلْ فِيهُمْ مَنْ يَحفَظُ مُعلَّقَةَ امرُؤ القيسْ، أو زُهير بِنْ أبي سَلمى؛ كَمْ عَدد الأَشخاصِ الذينَ نَجَحُوا فِي الامتِحَانَاتِ بِالغِشّ؛ وهلْ فِيهِمْ مَنْ حَصَلَ عَلى العَلَامة التامَّةِ في الرياضياتِ؛
كَمْ أُمٍّ ابنُها في المُعتَقَلِ، أو قُتِلَ تَحتَ التعذيبِ، كَمْ أَبٍّ قُتِلَ أَطفَالُهُ في الحربِ، كَمْ تَتَوَقَّعُ عَدَدَ الأَشخاصِ الذينَ دُمِّرَتْ بُيُوتُهُم ومَرّوا مِنْ هُنَا!
لا أُرِيدُكَ أَنْ تُفَكِّرَ بِدِقَةٍ كَمَنْ سَيُقَدِّمُ كَشفَاً مَاليَّاً لِمَصْلَحةِ الضَرَائبِ؛ بَلْ مُجَرَدَ أَرْقَامٍ تَقريبيَّة لَنْ يُحَاسِبَكَ عَليها أَحدٌ لَو أَخطَأتَ.
تُرَى بِمَاذا يُفَكِّرُونَ فِي لَحظَةِ عُبُورِهِمْ إلى بِلادٍ أُخرَى، وَهَل يُوجَدُ اثنان مِنهُمْ يُفَكِّران بِنَفسِ اللَّحظَةِ في نَفسِ الشيءِ، أو يُفَكِّرانَ بالذهابِ إلى نفسِ البلدِ.
هَلْ فَكَّرَ أَحَدُهم بَأنَّ حيَاتَهُ كَانتْ أَفضَلَ لو تَزوجَ حَبيبتهُ التي رَفَضَهُ أَهلُهَا، وهَلْ كَانتْ سَتَسِيرُ بِإيقاعٍ مُختَلِفٍ لَو اكتَفَى بِإنجابِ وَلَدين.
مَاذا يَحمِلُونَ مَعَهُم يا تُرَى؛
هَلْ جمِيعهُمْ يَحْمِلونَ مَفاتِيحَ بُيوتِهِمْ حَالِمِينَ بالعَودَةِ إليها بَعدَ قَليلٍ،

هَلْ جميعهُمْ يَحمِلونَ أَوراقاً ثبوتيَّةً أو جَوَازَاتِ سَفرٍ، وَكَمْ مِنهُمْ سَيُغَادِرُ البَلَدَ التي خَلفَ المَعبرِ.

مَنْ مِنهُمْ يَحمِلُ صُورَةً لِأَحدِ أَفرادِ العائِلةِ في مِحفَظَتِهِ، كَمْ عَدَدُ الذينَ يَحمِلُونَ مَعَهُم ذِكرَيَاتِ اشتِرَاكهم في المُظَاهَرَاتِ التي طَالَبَتْ بالحريةِ...

رَيثَمَا يَصِلُكَ الدَورُ وتَعبِرُ أَنتَ أَيضَاً، قَطّعْ وَقتَكَ بالتفكيرِ بِهَؤلاءِ الذينَ سَيَتُمُ تَسميَتُهُمْ لَاجِئين بَعدَ قليلٍ،

هَؤلاء لَيسوا أرقَامَاً، إِنَّهُمْ بَشَرٌ بِحَيَوَاتٍ ومَصَائِرَ وأَحلَامٍ تَمضي نَحوَ المَجهولِ.

28-7-2014

للمهاجرين الجُدد

على الحُدُودِ؛ وأَنتَ تُغَادِرُ سوريا؛
لا تَسْتَعجِلْ؛
قِفْ والتَفِتْ إليهَا لِدَقيقةٍ لا أَكثَرْ؛
انظُرْ إلِيّها بِهدوءٍ لِمَرَّةٍ أَخيرَةٍ والتَقِطْ بِعينيكَ آخِرَ الصورِ؛
تنفَّسْ هواءَها بعُمقٍ، عدّةَ مرّاتٍ، حتّى يتعبّأ جوفُكَ برائحتِها؛
اذرُفْ دَمعَةً وَاحِدَةً كَمَلِكٍ يبكي ضَيَاعَ مُلكِهِ..
رُبَّمَا لَنْ تَعودَ مَرَّةً أُخرى
وسَتَحتَاجُ هَذهِ الزوَّادَةَ في غُربَتِكَ الطَويلَةِ.

26-7-2014

وداعاً سوريا

قُلْ وَدَاعَاً لِهذه البِلاَدِ التي عَجِزَتْ أَنْ تُصبِحَ وَطَنَاً كَطَالَبٍ فَشِلَ في الامتحانِ؛
وداعَاً لِلنَدَمِ طَوِيلِ البَالِ؛
للشُرُفَاتِ التي شَهِدَتْ مُشَاجَرَاتِكَ مَع زَوجَتِكَ، ودَفَنْتَ فيها الذكرياتِ المتقيّحَة، وخِيَانَاتِ الأصدِقَاء؛ لِلصُوَرِ التي بَقيَتْ مُعلَّقةً على الجُدرَانِ، كَذاكِرةٍ مُنتَقاةٍ مِنْ سِيرَتِكَ التي لا تَهمُّ أَحَدَاً، والتي سَتَذهَبُ وَحيدَةً للنسيانِ [تحتَ الرُكامِ ربَّما].
وَدَاعَاً لِلشَمسِ العاديَّةِ، التي انتَظرتَها في الشِتَاءِ ولعَنتَهَا في أيَّامِ الصيفِ اللاهِبَةِ.
وداعَاً لِلحِجَارَةِ التي تَحتَ كُلٍّ مِنهَا حِكَايَةٌ أو نَدَم.
وداعَاً لِلخُبزِ، لِغبارِ الأمسِ، لِحَسَرَاتِ القتلى، لِلطُرُقَاتِ التي تَمشِي عَليها الحِيرَةُ، للنَميّمَةِ التي تَفردُ شَعرَهَا لِكُلِّ عَابرٍ.
قُلْ وَدَاعَاً لِلتَلَصُّص على حَياةِ الآخرِينَ، التي تَستَحِمُّ عَاريَّةً كَحَقيقَةٍ بَائِتَةٍ في المنازِلِ المُجَاوِرَةِ؛ للسِيَرِ المُكَرَّرَةِ للجيرانِ، الذينَ اقترَضُوا مِنكَ الخُبزَ والمِلحَ؛ ولا تُفَكِّرُ بِإعَادَةِ الصُحُونِ التي استَعَرتَهَا إلى مَطَابِخِهِمْ المَهجُورَةِ.
ودِّعِ المَوتَى ولا تُودِّعِ الأَحيَاءَ؛ اترُكْ لَهُمْ فُرصَةَ شَتمِكَ لأَنَّكَ لَم تُوَدِّعهمْ؛
اغسِلْ يقينكَ بالعَودَةِ بِصَابُونَةِ غارٍ؛ تَذَكَّرْ أُمَّكَ عِندَمَا كَانَتْ «تطبش» رَأسَكَ بِهَا، بينَمَا تَبكي مِن الصَابُون الذي دَخلَ عينيك؛
وأَنتَ تُوَدّعُ مِيَراثَكَ مِنَ الحياة التي هَرِمَتْ بَاكِرَاً؛ كَفِّنهُ بِتَهويدَاتِ النَّومِ التي غَنَّتهَا لكَ أُمُّكَ صَغيراً، اتركهُ على سَرِيرِكَ.. وغَادِر!
في نَهارٍ مُقَشَّرٍ مِنْ لَيلِ الآخَرِينَ،
وبخلسةٍ عاريَّةٍ مِنَ الضَحِكِ، ونَميّمَةِ الأصدقاء؛

بتلويحةٍ واهِنَةٍ مُصَابَةٍ بِشَلَلِ الأطفال؛

وَدِّع هَذي البِلَادَ التي فَشِلَت في أَنْ تُصبِحَ وَطَنَاً كَطَالِبٍ كَسُولٍ؛

قُلْ لَهَا وَدَاعَاً؛ [وَدَاعَاً لا لِقَاءَ بَعدهُ، وَنَعِمَ البَلَدُ أَنتِ لِلعَدوِّ، وليسَ لِلصَـــدِيقِ،

ولا يَدخُلُكِ «سوريٌّ» بَعدَ الآنَ إلَّا خَائِفَاً]*

ودَاعَاً يا سوريا

ودَاعَاً يا أُمَّنَا؛

التي بَكَتنَا كَأَعمَى لا يَعرِفُ الطَرِيقَ؛

التي سَتَنْتَظِرُنَا كَعَاشِقَةٍ بيقينٍ لا يُبصِرُ؛ إنَّنَا سَنَعُود.

ودَاعَاً لأمسِكِ الذي سَبِحنَا بِهِ عُرَاةً؛

لِغَدِكِ العَاري مِنَ الأَسماءِ والصِّفَاتِ.

اغفِري لَنَا خَطَايَانَا وأخطَاءَنَا فَقدْ كُنَّا نُحِبُّكِ ونَحنُ نَهدِمُكِ حَجَرَاً.. حَجَرَاً.

11 – 8 - 2014

• تنسب هذه المقولة لهرقل حين غادر سوريا إثر هزيمة جيشه في معركة اليرموك مع جيش المسلمين.

سيرة و اقعية لمجازات المجازر

الحولة

منطقة في محافظة حمص، وقعت فيها مجزرة بتاريخ 25-5-2012، راح ضحيتها 108 أشخاص على الأقل، من بينهم 49 طفلاً و34 امرأة. وفقاً للمتحدث باسم مكتب المفوضية السامية لحقوق الإنسان. وقال المتحدث روبرت كولفيل خلال مؤتمر صحافي، إن معظم ضحايا مجزرة الحولة في سوريا أعدموا؛ استناداً إلى النتائج الأولية لتحقيق أجرته الأمم المتحدة. [بي بي سي 29 أيار/مايو 2012]

ووصف روبرت مود، رئيس بعثة الأمم المتحدة في سوريا، عمليات القتل بأنها «عشوائية ولا تغتفر» وقال: إن مراقبي الأمم المتحدة، يمكنهم أن يؤكدوا استخدام الأسلحة الخفيفة والرشاشات والمدافع والدبابات. [بي بي سي 26 أيار/مايو 2012]

ونقل موقع BBC الإنكليزي [27 أيار/مايو 2012]، عن أحد السكان [أبو عماد]، الذي تحدث من الحولة؛ إن نداءاتهم لمراقبي الأمم المتحدة فشلت في دفعهم للقيام بما من شأنه منع المجزرة.

وقال «تحدثنا مع سبعة من المراقبين في الليل، وأخبرناهم إن مجزرة ترتكب الآن في الحولة، من قبل مرتزقة النظام، لكنهم رفضوا القدوم لوقف المجزرة».

مجلس الأمن، الذي تحدث إليه الجنرال مود، عبر دارة تلفزيونية مغلقة، من دمشق، أثناء اجتماع لمناقشة المجزرة؛ أصدر بياناً غير ملزم، حول المجزرة في 27 أيار/مايو بموافقة جميع أعضائه الـ 15 قال فيه، إن ما جرى في الحولة

«تضمن سلسلة من عمليات القصف بالمدفعية والدبابات استهدفت بها القوات الحكومية حيا سكنياً» [التلغراف 28 أيار/مايو 2012]

ونص البيان؛ على أن المجلس «يدين بأشد العبارات الممكنة عمليات القتل التي أكدها مراقبو الأمم المتحدة لعشرات الرجال والنساء والأطفال، وإصابة مئات آخرين في قرية الحولة قرب حمص في هجمات شملت قصفاً بالمدفعية والدبابات الحكومية لحي سكني»

وأضاف البيان؛ إن المجلس «يدين أيضا قتل مدنيين بإطلاق الرصاص عليهم من مسافة قريبة وبالانتهاكات البدنية الجسيمة. يشكل مثل هذا الاستخدام الصارخ للقوة ضد السكان المدنيين خرقاً للقانون الدولي المطبق ولالتزامات الحكومة السورية بموجب قرارات مجلس الأمن الدولي»

وفي تقرير قدمته القناة البريطانية الرابعة، من داخل بلدة الحولة، قالت: إن أكثر من مئة شخص قتلوا يوم الجمعة نصفهم تقريباً من الأطفال. [30 أيار/مايو 2012 القناة الرابعة، يوتيوب]

وقال التقرير: «أطفال ونساء تم قتلهم.. أطلق عليهم النار وجزت حناجرهم من قبل رجال جاؤوا من قرى قريبة.»

حيث أخبر سكان القرية القناة، أنهم هوجموا من قبل مليشيات مؤيدة للنظام. وأشارت القناة إلى أن الحكومة السورية أنكرت هذا ونسبت المجزرة لأعمال الإرهاب.

رافق مراسل القناة «أليكس تومسون» مراقبي الأمم المتحدة إلى الحولة وقال في تقريره الذي عرضته القناة:

«لم أرَ في حياتي أناساً متلهفين لإخبارنا بما حصل معهم مثل هؤلاء قام مراقبو الأمم المتحدة باحتضان السكان قبل أن يبدأوا بأي عملية مراقبة»

ثم أضـاف «تم أخذنا لنمر على البيوت بيتاً بيتاً ليروي كل شـخص ما حدث معه. بالنسـبة للمتهم الذي قام بالمحزرة هنا يوم الجمعة فالجميع يجمع عليه».

حيث أبلغ المراسـل، رجل تحدث نيابة عن السـكان؛ بأن الشـبيحة جاؤوا من قرى مجاورة للحولة.

وقال توماس «عرضوا علينا فيديوهات ما بعد المجزرة؛ لا يمكن عرض صور الأطفال الذين شـوهت أجسـادهم بالسـكاكين ونسـاء تم إطلاق النار على وجوههن بالإضافة إلى جثث الرضع المشوهة».

ونقل موقعBBC ، [28 أيار/مايو] عن واحدة من الناجين من المجزرة، وتدعى رشـا عبد الرزاق ما حدث قائلة «كنا في المنزل عندما دخل المهاجمون وكانوا من الشـبيحة وقوات الأمن كانوا يحملون معهم أسـلحة رشـاشـة من طراز الكلاشينكوف».

وأضافت «أدخلونا إلى إحدى غرف المنزل، وضربوا والدي على رأسـه بمؤخرة البندقية ثم أطلقوا النار على رأسه مباشرة».

وأوضحت رشـا؛ إنه من بين 20 شـخصا من أفراد عائلتها كانوا في المنزل أثناء الهجوم، لم ينج سوى أربعة فقط.

وقد نقلت وكالة أنباء الأناضول [28 أيار/مايو 2012] عن سيدة فقدت أربعة من أطفالها إن ما يعرف بـ«الشبيحة» الموالين للأسد، قد داهموا المنزل، بينما كان زوجها خارج المنزل، وقاموا بإطلاق الرصـاص عليها، وعلى أطفالها لكنها نجت بإيهامهم أنها قد توفيت.

القبير

مزرعة صــغيرة في ريف حماة، يقطنها حوالي150 شـخصـاً، أغلبهم من عائلة واحدة. وبحسب رواية مركز دمشق لدراسات حقوق الإنسان؛ قامت دبابات النظام الســوري بتاريخ 2 حزيران/يونيو 2012 بحصــارها وقصــفها، قبل اقتحامها بمرافقة «الشــبيحة»، المسـلحين بالسـكاكين والأسـلحة النارية والهروات. واســتمرت المجزرة من الثـانيـة بعـد الظهر حتى المســاء، حيـث انسـحب المهاجمون، بعد أن أحرقوا المنازل، تاركين خلفهم جثثاً متفحمة، لنساء وأطفال وبنات.

وقد وثق مركز دمشق لدراسات حقوق الإنسان، أسماء 54 ضحية.

وكان الجنرال روبرت مود، رئيس بعثة المراقبين الدولية في ســوريا، قد ذكر في اليوم التـالي؛ إن فريقاً من المحققين أرسـلتهم البعثـة إلى بلـدة القبير، حيـث وقعت مجزرة راح ضحيتها 78 شـخصـاً، لم يتمكن من الدخول، لأن حواجز جيش النظام منعتهم من الوصــول. بينما قال بان كي مون الأمين العام للأمم المتحـدة إن البعثـة تعرضــت لإطلاق نـار من أسـلحـة خفيفـة [رويترز 7 حزيران/يونيو 2012]

وكان أحد ســكان القرية، قد قال لـــAFP ؛ إنه تم الاتصــال ببعثة المراقبين الدوليين أكثر من ثلاثين مرة قبل المجزرة، لكنهم لم يأتوا. [موقع ســكاي نيوز عربية 7 حزيران/يونيو 2012]

ووفقا لما ذكره أحد الشـهود، للمركز فإن سـيارات إسـعاف دخلت القرية قبل انسـحاب القوة المهاجمة، وقامت بسـحب عددٍ من الجثث قدرها ما بين 25-30 جثة.

وذكر شاهد آخر [وفقا لتقرير مركز دمشق]؛ إنه شاهد جثة امرأة أمام أحد المنازل مقتولة بطلق ناري بالصدر، ويدها اليمنى مقطوعة من المعصم، وجثة طفل رضيع ملقاة بالقرب منها، تعرض للطعن في بطنه بأداة حادة، مما أدى إلى خروج أحشائه منها. كما ذكر أيضاً بأنه شاهد أمام منزل آخر، جثثاً لثلاثة أطفال، وراء جثة لامرأة، كلهم في وضعية الجلوس، بما يوحي بأنها كانت تحاول حمايتهم.

ونقل موقع BBC العربي [9 حزيران/يونيو 2012] عن مراسلهم «بول داناهار»، الذي تمكن من مرافقة المراقبين الذين استطاعوا الدخول يوم 9 حزيران/يونيو؛ قال إنه شاهد أدمغة الضحايا وأشلاءهم ودماءهم الجافة متناثرة داخل المنازل. وإن مباني القرية مدمرة وخالية تماماً من الأحياء والأموات.

وقال «بمجرد دخولنا إلى المنزل الأول داهمتنا رائحة قوية للحم بشري يحترق، وقد بدا واضحاً بالنسبة لنا أن المكان كان مسرحا لجريمة مروعة. كل شيء قد احترق تماماً، والمنازل مجردة من كل شيء».

عين عيسى

قرية تابعة لمحافظة الرقة، ارتكبت فيها مجزرة بتاريخ 20 أيلول/سبتمبر 2012، راح ضحيتها 150 شخصاً، وفقا للمرصد السوري لحقوق الإنسان، إثر قيام طائرات النظام السوري بقصف محطة وقود في القرية.

في تلك القرية البعيدة والنائية، لم يوثق أحد شهادات الناجين من المجزرة. بينما ذهب القتلى بصمت؛ لم يأخذوا وقت أحد في وسائل الإعلام أو المنظمات الحقوقية.

مجزرة داريا الكبرى

تقع داريا في ريف دمشق، غرب العاصمة بحوالي 8 كيلومترات، وتعد أكبر مدن الغوطة الغربية.

وقعت فيها مجزرة في شهر آب/أغسطس عام 2012، سميت «الكبرى» تمييزاً لها عن مجازر أخرى، ارتكبها النظام السوري في المدينة. وقد وثقت الشبكة السورية لحقوق الإنسان أسماء 524 ضحية.

وبحسب رواية الشبكة لوقائع المجزرة، فقد تم التمهيد لها اعتباراً من 20 آب/أغسطس في ثاني أيام عيد الفطر [الذي يحتفل به المسلمون]، بقطع الكهرباء عن المدينة وحصارها، والبدء بقصف عنيف لها، بالمدفعية والأسلحة الثقيلة والصواريخ، واستمر القصف حتى صباح يوم الجمعة الموافق 24 آب، حيث اقتحمتها قوات من المخابرات الجوية، معززة بقوات من جيش النظام السوري، مدعومة بعدد كبير من الدبابات، وتحت غطاء جوي من المروحيات المقاتلة، وحدثت اشتباكات مع مقاتلي الجيش الحر، الذين كانوا يتمركزون بأسلحة خفيفة في عدد من مواقع المدينة، لكنهم انسحبوا بعد ذلك؛ فبدأت قوات النظام منذ ظهيرة يوم الجمعة حملة مداهمات واعتقالات واسعة، رافقتها عمليات حرق للمنازل والمحال التجارية ولعدد من السيارات. وجرف المشتل الزراعي في المدينة، إضافة لحرق بعض مستودعات الأدوية، ونشر القناصين على أسطح الأبنية العالية.

استمرت هذه الأعمال وبوتيرة تصاعدية حتى يومي السبت والأحد [25،26 آب/أغسطس]، التي تمت فيهما عمليات الانتقام والقتل العشوائي، والإعدامات الميدانية الجماعية بحق سكان المدينة، وقد جرت حالات إعدام لعائلات بكاملها في منازلها، وقاموا بالتمثيل بالجثث وحرقها وتشويهها.

وقد حصلت أكبر التصفيات داخل مسجد في المدينة وفي محيطه، حيث يقع بالقرب منه منزل تحته ملجأ احتمى داخله عدد كبير من المدنيين، وجدوا جميعهم مقتولين، وجثثهم متراكمة فوق بعضها البعض. وقد وثقت الشبكة السورية في هذه المكان فقط، مالا يقل عن 156 اسم قتيل بينهم 19 جثة لنساء و3 جثث لأطفال. كما عثر أيضا على عدد من الجثث في بساتين المدينة.

في الذكرى الأولى للمجزرة، نشر المجلس المحلي لمدينة دوما، على صفحته في فيس بوك ، شهادة لأحد الناجين جاء فيها:

[كنا في البيت عندما بدأت المداهمات، ذهبت مع أهلي إلى جامع الرحمن، ثم عدنا لنجلس في قبو بيتنا مع أبي وإخوتي وأقاربي، في اليومين الأول والثاني لم يحصل شيء وفي اليوم الثالث جاءت قوات الجيش، قاموا باقتحام القبو وسألونا ماذا تفعلون هنا؛ أجابهم أحد الشباب: هذا ملجأ نزلنا هنا لنحمي النساء والأطفال من القصف...

صرخ فينا الضابط وجوهكم إلى الحائط، وبدأت زخات الرصاص تهطل علينا، أغمي علي على أثر إصابة، ثم تركوا الجثث على الأرض وذهبوا؛ وعندما نهضت رأيت الجثث في وضع مزري، فجارنا قد فقئت عينه وآخر قطعت قطعة من وجهه وأخي مصاب في صدره وأبي أصيب بطلقتين، ثم سمعت صوتهم قد عادوا وهم يتحدثون بأنهم يريدون أن يجهزوا على الجرحى، فسحبت جثة عمي وجثة رجل آخر ووضعتهما فوقي وتظاهرت بالموت، قال أحدهم للآخر ما رأيك أن نصفهم بجانب بعضهم ونطلق الرصاص عليهم مرة أخرى كي نتأكد من موت الجميع؟ فأجاب الآخر: خسارة الرصاص بهم. وبعد أن رحلوا جاء قريبي عصام ليحاول انتشال الجثث فناديته قائلاً: عصام ما زلت حياً.]

مجزرة كلية العمارة بحلب

وقعت المجزرة بتاريخ 15كانون الأول/يناير 2013 أثناء تقديم الطلاب لامتحاناتهم، في المنطقة بين السكن الجامعي وكلية الهندسة المعمارية في القسم الشمالي من جامعة حلب.

وفقا للشبكة السورية لحقوق الانسان، فإن الطيران الحربي التابع للنظام السوري، قام بقصف جامعة حلب بصاروخين من طائرات ميغ، وثقت الشبكة 38 ضحية بينهم عشر نساء وطفلان إضافة لأكثر من 250 جريح.

المرصد السوري لحقوق الإنسان؛ قال إن حصيلة المجزرة وصلت إلى 87 ضحية، من الطلاب، والنازحين الذين لجؤوا إلى السكن الجامعي، هرباً من أعمال العنف والمعارك اليومية؛ سقطوا إثر الانفجارين اللذين وقعا يوم الثلاثاء، وقد تضاربت المعلومات بشأنهما بحسب المرصد.

فيما قدم إعلام النظام السوري روايتين مختلفتين، عن سبب الانفجارين، قال في الأولى أنهما نتجا عن «إطلاق إرهابيين قذيفتين صاروخيتين» على الجامعة، [وكالة سانا 15 كانون الثاني/يناير] فيما قال مصدر عسكري في النظام، أن مقاتلي المعارضة أطلقوا صاروخ أرض جو مضاداً للطائرات، في اتجاه طائرة حربية كانت تحلق في المنطقة، لكنه أخطأ الهدف وسقط على الجامعة. وذلك وفقا لتقرير وكالة فرانس برس.

مجازر الخبز

استهدف النظام السوري في أوقات متباعدة ومناطق متفرقة من سوريا أفران الخبز، حيث يتجمع الناس في طوابير لشراء الخبز، بمختلف الاليات العسكرية من مدفعية ودبابات وطيران وبراميل متفجرة. وبدأت مجازر الخبز

بمجزرة فرن عشــيرة بتاريخ 16 كانون الثاني/يناير 2012 في حمص وامتدت لتشــمل محافظات عدة. وحتى نهاية العام 2012 وثقت الشــبكة الســورية لحقوق الإنســان اســتهداف النظام لــــ 33 فرناً في محافظات حلب وحماة وحمص ودير الزور وإدلب. وقد بلغ عدد ضحايا هذه المجازر 310 شخصا بينهم 60 طفلا و4 نساء. إضافة لـ 1024 جريح.

مجازر السكود

وثقت الشــبكة الســورية لحقوق الإنســان، حتى الشــهر الســادس من العام 2013، اســتخدام قوات النظام الســوري لما لا يقل عن 131 صــاروخ أرض أرض بعيد المدى؛ رغم أن توقعاتها تشـير إلى أن العدد أكثر من ذلك؛ تسـببت هذه الصــواريخ في مقتل 257 مواطن جميعهم من المدنيين بينهم 84 طفل و54 امرأة، كما سقط قرابة الـ 1000 جريح.

وفقا للنيويورك تايمز، [مايكل غوردان وإيريك شــميت 20 كانون الأول/ديســمبر 2012] فإن النظام الســوري قد اســتخدم صــواريخ الســكود بعيدة المدى، التي صـممها الاتحاد السـوفيتي، لأول مرة لقصـف مدينة حلب في شــمال ســورية. حيث قصــفها بـــ 6 صــواريخ باليســتية بتاريخ في كانون الأول/ديســمبر. واســتمر بعد ذلك باســتخدام هذه الصــواريخ قليلة الدقة بشــكل مســتمر، في محافظات حلب، إدلب، دير الزور، الحســكة، الرقة، حماة، حمص، وأحد أكبر هذه المجازر حدثت في فبراير/شــباط، عندما وقع صــاروخ ســكود في حي بدرو الفقير شــرق حلب، والذي لجأ إليه نازحون من مناطق أخرى من المدينة، وأســفر عن مقتل العشــرات وهم نيام، وعرض تقرير لقناة الجزيرة مقابلة مع طفل فقد كل إخوته، وذكر أن امرأة جاءت متأخرة ولم تســتطع أن تلقي نظرة أخيرة على ابنتيها اللتين دفنتا بقبر جماعي.

بينما عرضت قناة أورينت [25 شباط/فبراير 2013، يوتيوب] مقابلة مع طفل تحدث عن فقدان معظم أقاربه وقال إنه شاهد جدته أربع قطع.

مجزرة نهر قويق

اكتشف سكان مدينة حلب، صباح الثلاثاء في 29 كانون الأول/يناير 2013، عشرات الجثث، داخل نهر قويق، عند جسر السنديانة، جميعها مكبلة الأيدي، وبعضها مقيد الأرجل ومكمم الأفواه بشريط لاصق، وبعضهم رؤوسهم مغطاة بأكياس من النايلون. وأغلبها قتل بطلقة واحدة في الرأس من الأمام.

كانت الجثث ترتدي الملابس العادية والأحذية، وبعضها يرتدي ساعته وخواتم الزواج، فضلا عن وجود النقود بجيوب بعض الجثث. وقد قام قناص يتبع لجيش النظام متمركز في حي الإذاعة، بإطلاق النار على الأهالي الذين ينتشلون الجثث، مما أدى لتوقف العملية لساعة. وفقا لتقرير مفصل نشره «موقع كلنا شركاء». بتاريخ 1شباط/فبراير 2013

وبحسب التقرير، الذي نقل عن مصدر طبي من أحد المشافي الميدانية، التي استقبلت الجثث، فإن أقدم جثة هي لشخص قتل قبل ثمانية أيام، وأحدث جثة هي لشخص قتل قبل ساعات من تاريخ العثور عليها. مما يدل على أنهم قتلوا في أوقات وأماكن متفرقة، وتم تجميع الجثث ورميها في النهر. وحسب ما أفاد أهالي بعض الضحايا، فإن 15 منهم كانوا مفقودين منذ فترات متفاوتة، أطولها شهر. بينما أفاد أهالي خمسة من الجثث، أنهم كانوا مسجونين لدى الفروع الأمنية في مدينة حلب.

وقد نشرت مواقع المعارضة صوراً التقطها أهالي الحي تظهر منسوب النهر المرتفع قبل العثور بأيام على الجثث، وصوراً لمنسوب النهر في يوم اكتشاف

الجثث؛ تظهر انخفاضه. مما يثير الشكوك بأنه تم تخفيض معدل ضخ المياه في النهر، من محطة الضخ الرئيسية، التي يسيطر عليها النظام، لتظهر الجثث. وقد بلغ العدد الكلي للجثث التي انتشلت من النهر 109 جثث وفقاً لهذه المصادر.

مجزرة الكيماوي

وقعت المجزرة في غوطة دمشق، بتاريخ 21 آب/أغسطس 2013، في بلدات ومدن زملكا وعين ترما وعربين والمعضمية، وراح ضحيتها حوالي 1450 شخصاً نتيجة استنشاق غاز السارين، وفقا لتقديرات متفاوتة قليلاً. وقد حصل الهجوم بعد ثلاثة أيام من وصول بعثة المفتشين الدوليين إلى دمشق، للتحقق من استخدام الأسلحة الكيماوية في مناطق أخرى في وقت سابق. وذكر تقرير لجنة التفتيش التابعة للأمم المتحدة في وقت لاحق، أن غاز السارين أطلق بواسطة صواريخ أرض أرض، وأن الهجوم تم بين الساعة الثانية والخامسة فجراً، وهو توقيت ضمن إصابة ومقتل أكبر عدد ممكن من الأشخاص، نتيجة انخفاض درجة الحرارة مما يجعل الغاز يتحرك إلى الأسفل باتجاه الأرض. وبحسب كل من فرنسا وبريطانيا وألمانيا والولايات المتحدة ومنظمة هيومان رايتس ووتش؛ فإن النظام هو من نفذ الهجوم بينما انفردت روسيا حليفة النظام السوري بقولها إن قوات المعارضة هي من قامت بذلك.

سيرة مقتضبة لأشخاص مروا في النصوص

مصطفى كرمان

ناشط مدني سلمي؛ قتل في حلب يوم الجمعة 16كانون الثاني/ ديسمبر 2012، ببستان القصر، التي كانت مركزاً للنشاطات المدنية والسلمية، نتيجة إصابته بشظية، جراء قصف للنظام السوري استهدف تظاهرة سلمية، وقد اخترقت الشظية صدره، ولم تفلح كل محاولات إنقاذه في المستشفى الميداني، وكان قد تزوج قبل مقتله بخمس عشرة يوم فقط.

عبد الباسط الساروت

حارس مرمى منتخب شباب الكرامة مواليد 1982، انضم للثورة مبكراً وأصبح يقود المظاهرات في مدينة حمص، وأطلق العديد من الأغاني من منصات التظاهر في أحياء مختلفة من مدينة حمص، تعرض للإصابة ولأكثر من محاولة اغتيال.

بعد قمع النظام السوري للحراك السلمي، واتجاه الثورة السورية إلى العسكرة، تحول الساروت إلى مقاتل في أحياء حمص حوصر مع مئات من المقاتلين داخل أحياء مدينة حمص، لتتقلص مساحة حركتهم في أحياء المدينة القديمة؛ التي حوصرت حصاراً محكماً، لفترة تقارب السنتين، وأصبح الجوع العدو الأول الذي بدأ بالفتك بالناس في الأحياء المحاصرة.

ووفقا لتقرير نشره موقع العربية نت: فإن المقاتلين المحاصرين بقيادة الساروت، قاموا بحفر نفق تحت الأرض، إلى أن وصلوا إلى حي القصور، مقابل المطاحن، بهدف إدخال الطحين للجائعين، وقد تجمعوا جميعاً في

النفق ليستطيعوا حمل أكبر قدر ممكن من الطحين، ففوجئوا بمجموعة من الضباط والعساكر من جيش النظام متواجدين في ذلك المكان، وقد كشفوا النفق عندما خرج أول شخص منهم، وتم قصف النفق وإطلاق النار بشكل شديد، ومن ثم حصار المقاتلين من كل الجهات، ليقتلوا جميعاً باستثناء 3 أحدهم الساروت، ولتكون حياة 60 شابا ثمناً لبعض أكياس الطحين.

كتب الساروت قائد المجموعة ليلة المجزرة على صفحته في فيس بوك: «عرس جماعي لـ 62 بطلا نالوا الشهادة في ظروف لا تصدق، كانوا يحملون على أعناقهم هم 3000 نسمة في حمص المحاصرة، وكانوا آخر أمل لفك هذا الحصار اللعين، رحمكم الله يا أبطال، عذراً يا رجولتي لا أستطيع منع نفسي عن البكاء.»

ونعى استشهاد شقيقيه «أحمد» و«عبدالله» اللذين شاركا في محاولة فك الحصار، بعد أن كان قد ودع شقيقين آخرين له «وليد» الذي استشهد أواخر عام 2011 و«محمد» الذي استشهد في مطلع عام 2013 بحسب التقرير. كما فقد اثنين من أخواله، والعديد من أقاربه.

خرج الساروت من المدينة المحاصرة، بموجب صفقة حصلت مع النظام؛ شملت خروج مئات من المسلحين المحاصرين، توجهوا نحو الريف الشمالي لمدينة حمص؛ وجاء الاتفاق بعد مفاوضات بين النظام والمحاصرين بإشراف الأمم المتحدة ومشاركة إيرانية.

ونشر له بعد خروجه فيديو، يطلب فيه سلاحاً من جماعات جهادية متطرفة تقاتل في سوريا؛ وأثار جدلاً واسعاً لدى جمهور الثورة السورية، حيث اشتهر الساروت بأناشيده وأحاديثه التي تدعوا لوحدة السوريين، وتؤكد أن مشكلة السوريين مع النظام وليس مع أتباع طائفة أو دين من السوريين.

نيكولا هينان

صحفي فرنسي اختطفه تنظيم «الدولة الإسلامية» في مدينة الرقة بتاريخ 22 حزيران/ يونيو 2013، مع المصور الصحفي بيار تورس.

وقد أعلن الرئيس الفرنسي عن تحريره إضافة لثلاثة صحفيين آخرين، يوم السبت 19 نيسان/أبريل 2014، دون تفاصيل تذكر عن سير عملية المفاوضات لإطلاق سراحهم ولا الجهة التي كانوا لديها.

كان لنيكولا خلال فترات إقامته في مدينة الرقة، علاقات جيدة مع سكان الرقة؛ بينما نسج بيار علاقات وطيدة مع التجمعات المدنية، التي أنشأها شباب الرقة بعد خروجها عن سيطرة النظام، خلال فترة إقامته فيها.

تامر العوام

مخرج وناشط إعلامي؛ من محافظة السويداء، توفي متأثرا بجراحه بعد إصابته من قبل قوات النظام السوري أثناء تغطيته الأحداث في مدينة حلب، بتاريخ 09 أيلول/سبتمبر 2012. بحسب تقرير لرابطة الصحفيين السوريين.

أنجز العوام العديد من الأفلام التسجيلية الخاصة بالثورة السورية، آخرها كان فلم يسجل أحداث مدينة إدلب، حيث عاد إلى البلاد سرا.

كان العوام يقيم في ألمانيا، ونقل الكثير من الأحداث التي صورها في سوريا إلى القنوات الألمانية والعالمية، كما ونظم العديد من المظاهرات والنشاطات الداعمة للثورة في أوروبا.

التقيته للمرة الأولى والأخيرة في المؤتمر السوري للتغيير في أنطاليا في أيار/مايو 2011.

ميزر خلف محمد الخلف

طالب ماجستير اقتصاد، اعتقل في 3 أذار/مارس 2014 لدى المخابرات العسكرية في دمشق أعطيت «هويته» لوالده الذي كان ينتظر أن يشمله «العفو»؛ بداية شهر تموز/يوليو دون أن يسلموه جثمانه؛ ليصبح في قائمة «شهداء تحت التعذيب».

العبرةُ في الحواس

IT IS ALL ABOUT SENSES

2018

كُتبت نصــوص هذه المجموعة من شــتاء عام 2010 وحتى صــيف 2017 وفي مدن مختلفة: الإسكندرية، القاهرة، أنطاليا، أثينا، باريس، يورن، أمستردام، برشلونة، زاراغوسا، ستوكهولم، موتالا، مالمو.

قَامَتُكِ هذِهِ شَبِيهَةٌ بِالنَّخْلَةِ، وَثَدْيَاكِ بِالْعَنَاقِيدِ.

قُلْتُ: «إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى النَّخْلَةِ وَأُمْسِكُ بِعُذُوقِهَا». وَتَكُونُ ثَدْيَاكِ كَعَنَاقِيدِ الْكَرْمِ،

وَرَائِحَةُ أَنْفِكِ كَالتُّفَّاحِ،

وَحَنَكُكِ كَأَجْوَدِ الْخَمْرِ.

أَنَا لِحَبِيبِي، وَإِلَيَّ اشْتِيَاقُهُ.

سفر نشيد الأنشاد (7: 7-10)

فاتحةٌ لكتاب الحواس

إلى صخر حاج حسين

النافذة بزجاجها المكسور، تطلُ على الرصيف الذي يمرُّ عليه رجل يتباهى بذكورته. ضاجع الوردة في المساء منفرداً، وفي الليل مارس الشبق فوق غطاء سريرٍ مُطعّم برسومٍ قديمة، وغمس حلمتي أنثى متعجرفة بالعسل صباحاً، رسمها صبي أحول على كرتونة مهترئة، ثم تناول الحليب من كأسٍ بلاستيكي بهدوء.

كلكم تعرفون أن السلحفاة أسرع من اللون البني؛ الرجل أكثر إثارة من ظله؛ والمرأة العارية البعيدة مجرد سمكة تنزلق بين يديك كلما حاولت أن تمسكها، كأنك تقرأ موضوعاً مهماً في واجهة موقعٍ لأخبار البورنو.

اللذة ليست في المفردات [ها أنا أكشف لكم سراً كنت أحتفظ به لنفسي!]. أعني أن اللذة ليست في مفردةٍ كـ اللذة، والشبق لا يأتي أيضاً من صورة المرأة العارية، حتى لو كنا نراها من خلال المرآة، أو من خلال ذكورة الرجل الهائج كقوس مشدود. صورة المؤخرة المكتنزة مجرد صورة! قد تشبه صورة البطيخ الأصفر لدى شعوب أخرى، أو دائرة لدى معلم الحساب في مدرسة ابتدائية في قرية من تمبكتو.

ماذا تستفيد من صورة التفاحة في كتاب المدرسة غير أنها وسيلة إيضاح!

وما العبرة من ارتجاج مؤخرة أنثى جميلة وهي ترقص حينما تكون أعمى فقد يديه في الحرب! وماذا يجني مصاب بزكامٍ مزمنٍ من زجاجة عطر جيفنشي

تهديها له حبيبة معطرة بإســكادا! وما فائدة الكلمات الجنســية التي تخدش الحياء العام وتشعل الحياء الخاص لجارك الأطرش!

ما أعنيه من كل هذا أن العبرةَ في الحواس.

9/6/2014

أرى الحياةَ عاريةً في المنام

أَنَا نَائِمَةٌ وَقَلْبِي مُسْتَيْقِظٌ.

سفر نشيد الأنشاد (2 :5)

شمعة تنظر إلى الحياة بعين واحدة

إلى رين

فكر وأنت تنظر إلى المرآة. ستـرى انعكاس تلك الأفكار على ملامحك؛ عينيك أيضـاً. فكر ببطءٍ؛ الأفكار السـريعة تنمو سـريعاً وتموتُ سـريعاً. فكر كأنك الشخص الذي داخل المرآة وينظر إلى لحياة من خارجها. تأمل هذا الشخص الذي ينظر إليك من داخل الحياة. لا تحاول أن تقلده، أو تعبس في وجهه. تصـرف بشـكلٍ طبيعي، كشـخصٍ ينظر إلى الحياة من خارجها، واعط هذا المتسول الذي ينظر إليك بعض الرأفة وقليلاً من التفهم..
الأشخاص الذين داخل الحياة يستحقون العطف.

7/12/2016

رجل أعمى في فيلم صامت

انظر خلفك ببطءٍ شديد. انظر لحياتك كمن ينظر في بئرٍ عميق؛ لترى كم هي بعيدة تلك الحياة التي اخترتها، لترى المسافة التي نمت بينكما مع الزمن، وترى صـورتك البعيدة التي لم تعد تشـبهك. تأمل بحيادٍ تام، الفراغ الخالي من الأحاسـيس الذي يفصـلكما؛ انتبه للصـمت الذي حلّ بينكما كأنه الابن الوحيد الذي أنجبتماه...
تلك حياتك التي تريد،

في قاع بئرٍ جاف،

تنتظر نصيبها كأرملةٍ عمياء.

24/1/2015

أمنيات تتسولُ حافية

أريد أن أمشـي حافياً في شـوارع المدن الغريبة، أتأمل الناس، ببلاهة رجلٍ يمشـي في نومه، دون أن يعنيني مصـيرهم. أفكر في تسـرب الحياة من بين أصابعي المرتعشة، بينما أحاول أن أحفن منها ما يروي ظمأي. لا أفكر بأغنام أمي، ولا بمواسـم الأمطار التي ينتظرها أهلي، بشـغف عاشـقة تنطرُ حبيباً غائباً، قبل تكاثر وسائل الاتصال.

أترك حذائي، وحقيبتي مفتوحة في مستودع الأمانات؛ لم يعد لديَّ ما أخشى ضياعه أو سرقته. لم يعد لديَّ أسرار أيضاً لأخشى تسربها..

أريد أن أمشـي حافياً في مدن غريبة، وحينما أتعب، أجلس على مقعدٍ خشـبي في حديقة، بجوار سيدةٍ عجوز تقرأ في كتابٍ..

أنظر إليها كرجلٍ ميت لا يفكر بشيء.

29/10/2015

شجرة الندم

هناك..

أمامكِ في البعيد، على جانب الطريق الذي تسيرين فيه، هناك شجرة! أعرف هذا الطريق، فقد مشيته حافياً من قبل.. كنتُ هناك، وصلت قبلك بسنتين

على الأقل. أكلتُ من ثمارها وجلســـتُ في ظلها طويلاً وعدتُ. الطريق ينتهي عندها

إنها شجرة الندم.

5/7/2016

قاطعُ طريق

حينما تكون وحيداً؛ حينما تكون في مدينة غريبة لا تعرف فيها أحداً؛ حينما تنهش داخلك كلاب ضـــالة وجائعة، حينما تكون متعباً من حمل الأوهام؛ حينما تنظر إلى المرآة ولا ترى وجهك؛ حينما تريد الخروج من المتاهة التي وجدت نفســـك فيها لأنك لم تتعلم قص الأثر؛ حينما يحاول الليل إغواءك لتمارس معه ســفاح القربى؛ حينما ينهدُّ حيلك من حكايتك التي تحملها كآخر أثرٍ من الدنيا..

اجلس جانب الطريق وأغمض عينيك، كأنك قاطع طريق معاصر؛

فتش وقعَ خطوات العابرين عن حكاياتهم المخبأة، ســـتجد أن كل مشـــية حكاية، وســـتجد أن حكايتك التي تريد أن تأخذك إلى أســـفل البئر مجرد حكاية.. مثل حكايات هؤلاء البشـــر الذين كانوا يمرّون حولك دون أن تنتبه لجروحهم المفتوحة أو لنزيفهم الداخلي.

17/9/2016

إشارة موازية لحياة لم تدونها كتب التاريخ

هل ترى هذا الوشم!

الوشم الذي على وجه كلماتي! ويميزها عن كلمات الآخرين. الوشم الذي على شكل جرس كنيسة! ويجعلك تسمع كلماتي كأنها رنين خلخال في قدمي امرأة ترقص، حينما تخرج من بين شفتي وتسرح في البرية كقطيع أغنام.

هذا الوشم نقشته أصابع امرأة مُحِبة بصبرٍ عارٍ دون إبرة.

20/9/2014

حزن يرتدي طاقية داكنة ونظارات طبية

دعني أشرح لك المساء!

يمكن أن أحدثك طويلاً عن معنى كلمة المســاء كما وردت في معاجم اللغة، ويمكن أن أكتب لك كثيراً عن دلالات المســاء في الشــعر الحديث [والقديم أيضاً]؛ لكني أريد أن أشرح المساء الذي أعرفه أنا، وليس مساء شخص آخر، فهناك مساءات مختلفة بعدد البشر؛

مسائي الذي أعرفه طائر أصاب جناحيه صياد أُمّي، وهو يتخبط بدمه أمامي ولا يستطيع أن يطير..

هذا هو مسائي ببساطة.

19/9/2014

بازار الأحد

الزمنُ يمضي بجفاءٍ حاد، ومن هنا يبدو سحيقاً؛
تفحّص حياتك جيداً، كمن عثر على سـلسـالٍ معدني بلون ذهبي؛ دقق في تفاصيلها التي تبدو باهتة؛ بعد أن غادرتها الألوان وتركتها للأسود والأبيض.
لتعرف قيمة حياتك التي مضـت، قف على أحد التقاطعات في أحد بازارات الأحد؛ ضـع أجزاءً منها على شـرشـفٍ أبيض ونظيف، اعرض المقاطع الأكثر تشـويقاً من كل حياتك السـابقة. نادِ المارة والمغرمين بالأنتيكة والأشـياء الصدئة التي لا يستخدمها أحد ولم تعد تنفع لشيء..
سـتكتشـف دون دليلٍ أن الناس في البلاد الديمقراطية تخاف القانون! لذلك لم يبعثر أحدٌ الأجزاء المشـوقة التي تعرضـها من حياتك؛ لأن كل ما تفعله هو التضييق على المارة.

7/10/2015

عمرٌ يسبح في الأنهار

مررتُ من فوق الراين ومن تحته أيضاً، ومشيتُ بجانبه، إنه نهرٌ كبير..
كنا صـغاراً، ونحسـبُ أن البليخ أكبرُ نهرٍ في العالم، وحينما قادتنا أقدامنا الطرية إلى الفرات؛ وقفنا مشـدوهين لأن هناك نهر أكبر من البليخ، الذي جفّ قبل أن يقيم البغدادي دولته، وترك خلفه أراض يتيمة. كبرنا، وقادتنا أقدامنا اليابسـة إلى النيل حيث وقفنا مدهوشـين أن هناك نهر أكبر من الفرات!

حينما وقفتُ بجانب الراين وجدتُ أني فقدتُ دهشتي منذ زمنٍ طويل.

9/5/2015

شعراء المهجر

أقف على نافذتي التي تطل [بعد مسافة شاسعة] على غابة، أنظر إلى الثلج المتساقط باعتيادية لا تلفت انتباه أحد. لم يذكّرني الثلج بأهلي وأوطاني أو حتى أمي! تذكرتُ شعراء المهجر أنفسهم؛ رددتُ كلمات رشيد أيوب البسيطة والعميقة فخرجت كأنها نشيجٌ مكتوم. كيف تحملوا السنين المقفرة كصحراء شاسعة، يوم كانت الرسالة تحتاج شهوراً لتصل وتعود.

يمكن أن نعيد قراءتهم الآن بعينٍ مفتوحة على وسعها، لندقق في أوجاعهم التي وصلتنا

ولم ننتبه أنها كانت جافة ويابسة.

21/11/2015

أمنية عارية على الشاطئ

ليتني ظلٌ!

ليتني ظل كي لا أسير وحيداً. كي لا أفكر في الطريق ولا في معنى الحياة. كي أختفي عند مغيب الشمس. ظل بلا روح؛ كي لا تجرحني السكاكين، ولا أحسب الخسارات التي تراكمت فوق ظهري وأوهنت قدرتي على المسير..

ظل يتيم

بلا حبيبة
ولا أصدقاء
يفتشون ذاكرتي عن معنى غيابهم.

25/6/2016

نسخة مقلدة من مارلين مونرو

على شرفةٍ في الطابق الثالث من متحف الإيروتيكا ببرشلونة، تتحرك سيدة مقلدة مارلين مونرو، المرأة التي كان يمكن أن تموت بالحصبة في بلادنا، أصبحت معنى لكلمة «الإثارة» في كل لغات العالم!
السيدة التي يفترضُ أن وظيفتها إثارة انتباه المارة، كانت تؤدي عملها بإيقاع رتيب خالٍ من الإثارة، لكن هناك من توقف والتقط لها الصور! أعتقد أنهم فعلوا ذلك فقط لأن السيدة تقلد مارلين مونرو!

18/5/2015

محاولة لشرح معنى الزمن

إلى الطائر الذي يقف على نافذتي

كما ترى أيها الطائر الحزين؛
الأمسُ قد انتهى، واليوم شارف على نهايته، والغد سيلحق بهما إلى مقبرة الوقت!
كما ترى أيها الحزين

الأيام السيئة تموت أيضاً
مثل بقية الأيام
أليس هذا شيئاً مفرحاً!

3/10/2016

أسمعُ الريح تهذي خلف أبوابٍ مغلقة

أُحَلِّفُكُنَّ يَا بَنَاتِ أُورُشَـلِيمَ بِالظِّبَاءِ وَبِأَيَائِلِ الْحُقُولِ، أَلاَّ تُيَقِّظْنَ وَلاَ تُنَبِّهْنَ الْحَبِيبَ حَتَّى يَشَاءَ.

سفر نشيد الأنشاد (2: 7)

هذا أنا

هل تسمع هذا الصوت! صوت الصفير الذي يبدو قادماً من بعيد؛ كأنه
صوت ريح مرت بيوتاً خالية أو خرائب، أو صوت ذئبٍ طعين
هذا صوتُ الفراغ في داخلي.

21/9/2014

حياتي التي نسيت أن تنام

في داخلي حياة هرمة؛
تدخن تبغاً رديئاً، وتسعلُ بشكلٍ مستمر!
عبر مسيرها الطويل نحو نهايتها، تعلمت الحكمة من تأمل المارة، والإصغاء لأصواتهم الداخلية، وتفحص الطريق الذي تسلكه نظراتهم. أصبحتْ تخمنُ بماذا يفكر الرجل الذي يمشي ببطءٍ وحيرة كأنه أضاع الطريق، أو فقد حاسة المستقبل كليّاً! تعرف بدقة لماذا تلتفتُ المرأة التي تزاحم نفسها في الطريق، وتذرف دمعاً صامتاً لا يستطيع إعادة الحكاية التي تهشمت قبل قليل.

في داخلي حياة صامتة طوال الوقت! تقضي نهاراتها في تقليب مصائر البشر كأنها تقرأ كتاباً بلغة قديمة، وفي الليل تحضن أيامها الميتة وتعلمها أن تتصرف كأنها على قيد الحياة!

في داخلي حياة هرمة وصامتة، تتشاجرُ بالإيماء مع نفسها، وتطعن بعضها بسكاكين المطبخ، وعندما تنهي حربها الأهلية، تجفف الدماء وتنظف المكان، وتجلس في ركنٍ قصي في داخلي تنتظر مصيرها ببطءٍ، وهي تدخن التبغ الرديء.

11/12/2015

كطائرٍ يغادر المكان مغرداً قبل المجزرة

قبل أيام قليلة تمنيت أن أكون شجرة. شجرة تعمرُ طويلاً؛

يلتقي تحت ظلها العشاق في بداية طريقهم الوعرة، يرسمون عليها قلوب الحب والسهم الذي يشير عادة لأول حروف أسمائهم. يكتب عليها الغريبُ اسمه، مؤرخاً مروره الذي لا يهم أحداً، سوى حبيبة محتملة لن تمر من هذا المكان. تبني عليها أجيالٌ من الطيور أعشاشها، وتمارس شغبها فوقها بشكلٍ دائم.

شجرة تنصت لحديث الطيور

والعابرين

والعشاق

والصوت الداخلي لحبيبة تروي لنفسها حكاية لا تهم أحداً.

22/1/2015

أغنية لمطرب راحل عن الشوق

كلكم تعرفون الشـــوق، أعني لابدّ أنه مرّ بكم. ذلك الإحســـاس الذي يختلف وصـفه من شـوقٍ لآخر، يختلف [أيضـاً] بحسـب علامته الفارقة. كلكم جربتم هذا الشـــوق، الذي يعصـــركم أحيانا، وتبدون بين يديه كخرقة مبلولة في يدِ سيدة شغوفة بنظافة مطبخها.

وأنا أمشـي وحيداً، في هذه السـاعة المقفرة في شـوارع موتالا، التي على مقربة وجيزة من الحدود الشـمالية للعالم، يرافقني الشـوق؛ يتحدث معي بصـوت مبحوحٍ كأنه شُـفي للتوِّ من زكام شـديد؛ يتعلق بيدي اليسـرى واضـعاً يده قريبة من قلبي الذي أصيب بجلطتين حتى الآن!

الـذين مرّهم الشـــوق مرة على الأقـل، يـدركون المتـاهـة التي يـدخلهـا الـواحـدُ عندما [فجأة] يحتل كيانه ذلك الإحساس العارم بالشوق!

أنتم تشـتاقون أصدقائكم؛ مدينتكم التي عشـتم فيها شـبابكم أو سنيناً طويلة من العمر؛ ربما غرفتكم التي قضـيتم فيها سـنين الدراسـة الطويلة؛ المكان الذي كنتم تلعبون فيه كرة القدم أو أي لعبة أخرى. تشـتاقون مدرسـتكم الثانوية؛ المقاهي التي كنتم ترتادونها؛ المطاعم؛ الحانات؛ الرصـيف؛ موقف الباص ربما..

ربما تشـتاقون لأشـياء تحافظون عليها كأسـرار فلا يمكننا معرفتها! لكن جميعكم فكر بخطةٍ حتى لو لم تكن محكمة لحل مشـكلة الشـوق! كالسـفر إلى حيث يلعب الشوق أو يرقد حتى..

هذا هو الفرق؛ فقد رحلت أماكني كلها، بطرقٍ مختلفة. رحل أصدقائي إلى كل جهات الأرض، ومات بعضـهم بطرقٍ متعددة. رحل أهلي إلى دولٍ من الصـعب

الوصـــول إليها، وحبيبتي التي أنقذتها ســـفينة في المتوســـط ذهبت على متنها للبرازيل وانقطعت أخبارها، وبقي الشوق!

بقي شـــوقي تائها دون مكانٍ يؤويه، يرافقني باســـتكانة يتيم وندندن أنا وهو أغنية لمطرب راحل عن الشوق.

12/10/2015

رجفة الله أو صوت المغني

الصـــوت الـذي لـه خمس حواس؛ الصـــوت الـذي يرتعش؛ الصـــوت الـذي يضحك؛ الصوت الذي يتمايل؛ الصوت الذي يرقص؛ الصوت الذي يرتجف كطفلة تتســـول في البرد؛ الصـــوت الذي رائحة؛ الصـــوت الذي يبدو أنه كائن حي، الصـــوت الذي يجرح؛ الصـــوت الذي تعرفونه جميعكم؛ صـــوت الريح في حالة شجن؛ صوت الإله في حالة نشوى..

صوته رجفة الله!

أعني صوت أبو بكر سالم

الذي يجعل أرواحنا تتصاعد كبخارٍ لا يلمس؛

الذي، أجســـادنا [وهي تســـمعه] تفقد عظامها اليابســـة، تلين وتميل مع الريح الحنونة التي تهدهدهُ؛ الصوت الذي يحضر غبار الأمس..

هذا صوتنا..

نريده أن يغني لنا عن الشـــوق، أغنية أخيرة بصـــوته الـذي اكتســـب خبرة المســـنين وبقي شـــاباً لا يشـــيخ. أحدُ ما يرجوه، يقول له: الناس [جميع الناس، خصـــوصـــاً الذين فقدوا أوطانهم] تُريدك أن تغني لهم أغنية واضحة وســـهلة

عن الشـــوق، ترمم أيامهم وتخيط أرواحهم الممزقة، وتنادي الزمن أن يرأف بأعمارهم.

هذا صوتي..

إن كنت تسمعه يا أبو بكر سالم.. غنَّ لي أغنية عن الشوق.

2/2/2016

مصيرٌ فقد عكازه في الشتاء

لنكتب عن هذ المصير، ننظر له برفق وهو يرافق الريح، آخذين بعين الاعتبار برودة الطقس وأوجاع المفاصـــل. نبني لـه كوخاً في كل طريق، كوخاً بثلاث جدران ونافذة. نرمي في كلِّ كوخٍ وســادة لا تحرك الأحلام ولا تســتثيرها، ولا تسبب الشخير أيضاً، فلا يجدر بمصير يرافق صاحبه بشكلٍ دائم أن يشخر! نغريه بالمصادفات التي سيجدها في الطريق. وإن عجزنا، نزين له النصر على أعدائه الذين ســيواجهونه بثيابهم الداخلية، بل نزين الهزائمَ كلّها كنصــرٍ في ليلة زفافهِ!

نقنعه بتبني الحكمة واحتمال الآلام،

نقول له بصراحة؛ أن من يرافق الريح عليه تعلم العويل.

3/09/2016

كورال جماعي دون آلات موسيقية

لنتعلم الثغاء، كقطيع أغنامٍ تائه وجائع، ونتجاهل صـوت الأجراس البعيدة، التي تضللنا دائماً وتطعمنا وهم المراعي القريبة. لنفضح ما يجول في خواطرنا، حتى لو كان إبرة تخيط ثوب الليل، ونتجنب المراثي التي تعض أطراف أثوابنا كبلادٍ مسعورة.

نتكئ على حواسـنا ونمضـي في هذه الظلمة بثغاءٍ حاد، كقطيع أغنامٍ تائه وجائع، تركه الراعي وذهب بمفرده ليشرب من النهر.

12/9/2014

امرأة سورية في مخيم الزعتري

دعونا نمر من هناك، بجانب تلك الخرائب، نفتح الفكرة على مصـراعيها، ونرحب بأنفسنا كضيوف يعرفهم المكان، ونجد عذراً واهياً للغناء «مالي شغل بالسوق مريت اشوفك». نمرن أصواتنا العمياء. ندربها على الكلام الذي يخرج مرتعشاً وجافاً وفاقداً لهيبته كامرأة سورية في مخيم الزعتري.

دعونا لا نكذب على أنفسـنا. دعونا نتصـارح، ولنترك هذه الخطابة الثورية التي ترطن بالتفاؤل، لنقل عن أنفسنا ما يخجل من قوله الآخرون:

نحن في القعر الذي يرتبط بالبئر دائماً. نختنق كماءٍ يجفُّ في وضح النهار!

نحن هذه الخرائب التي أدعوكم أن نمرَّ بجانبها ونتمرغ بترابها ونبكي..

14/6/2016

نداء استغاثة

أيها الناس!

أيها الناس جميعاً

أعني يا أصدقائي أيضاً

الذكرياتُ تأكلني؛ الذكرياتُ منذ الصباح الباكر، وأنا لا زلتُ بين الصحو والنوم، تبدأ بنهشي؛ تقطّع لحمي بمخالبها وتأكله أمامي بتلذذٍ واضح! كل ذكرياتي تجتمع كقطيعٍ من الأسود تأكل لحمي نيئاً ومشوياً، فهي أحياناً تقلبه بهدوء على نار التحسُّر المكتوم. ذكرياتي تستفرد بي كشخصٍ أعزل في شمال العالم وتفترسني!

أرجوكم وقعوا بياناً للتضامن معي ضد وحشيتها، وطالبوا بحقي في الحياة. طالبوا أن تعاملني وفقاً لاتفاقية جنيف لمعاملة الأسرى.

27/11/2015

بائع متجول

لدي ذكريات..

لدي الكثير من الذكريات

لدي ذكريات ملونة

لدي ذكريات بالأبيض والأسود

لدي ذكريات تطير مثل أسراب الحمام في سماء صافية

لدي ذكريات أليفة كقططٍ مسالمة وودودة

لـدي ذكريـات تقفز كغزلان في غـابـات بلـدٍ أوروبي [أعني لا تخشــى القتـل والصيادين]

لدي ذكريات عذبة وصافية من أيام الطفولة

لـدي ذكريات مشــرقة ونظيفة عن الحب كطفلةٍ جميلة في الصــف الأول الابتدائي تلعب في باحة المدرسة التي تحبها

لدي ذكريات تصلح كوسائل إيضاح في درسٍ عن الحب

لدي ذكريات مرحة ومشاكسة تجعلكم تموتون من الضحك

لدي ذكريات يمكن استخدامها في مواقف مختلفة من الحياة

لدي ذكريات «خالية العلام» تبدو كأنها جديدة

لدي ذكريات كثيرة..

وكبائع متجول

أريد بيعها لأفرغ مكاناً لذكريات جديدة.

22/1/2016

أشمُّ رائحة الغائبين فأصحو

أَسْنِدُونِي بِأَقْرَاصِ الزَّبِيبِ. أَنْعِشُونِي بِالتُّفَّاحِ، فَإِنِّي مَرِيضَةٌ حُبًّا.

سفر نشيد الأنشاد (5 :2)

امرأة نائمة بلباسٍ شفاف

لا تحمل أكثر من طاقتك حتى من المفردات، امض خفيفاً في الحياة كحبة مطرٍ تسـقط منفردة إلى موتها! لا تفكر من خلال مفرداتٍ ثقيلة، سـتكون أفكارك سمجة وسمينة تكتم الأنفاس.

فكر عبر مفرداتٍ حساسة، لها رائحة خلاصة الربيع أو زهرة البابونج على الأقل؛ رشيقة، تمارس ريجيماً صارماً، وتحلم أن تكون «ستايل» على أغلفة مجلات الموضة؛ ذات ملمس أليف؛ فالمفردات لابد أن تلامس السامع أو القارئ.

أنت لستَ مسؤولاً عن مصير البشرية، ولا إطعام دجاجها، ولستَ المتصرف بمصائر الأضداد! فكر بمفرداتك كأنك تنتقي حبات بطاطا للسلق وليس للقلي. فكر بأنك فراشة وحمل المفردات الثقيلة سيجعلك عاجزاً عن الطيران.

تخفف من الحروف الزائدة والتعابير الركيكة والطويلة، فكر دائماً كأنك تكتب على تويتر. التعابير القصيرة ذات المفردات الرشيقة سريعة كالطلقة، فكن أنت كالقناص تماماً.

27/6/2014

فكر بمصير هولندا

اترك الصباح جانباً. اترك الليل يبكي أخيه الذي استشهد على هامش مجزرة «شارل إيبدو». اترك خلفك خطى متعثرة تفتش عن طريقة قانونية لتجديد

جواز سفرها. اترك الأشياء التي تعنيك إلى حدٍ ما [مرحلياً ولفترة وجيزة] وفكر بمصير هولندا لساعاتٍ طويلة!

تذكر الأقواس المائية في أمستردام، التي يتسربُ البشر من شقوقها إلى مصائرهم الواطئة. فكر بجدية بالقطارات التي بلا مآخذ كهربائية لشحن الهواتف المحمولة [كما في السويد]، وابتسم بشكلٍ محدود عندما تمر بجانب النساء الضخمات بلا مبررٍ أو أسبابٍ مقنعة، ودون جمالٍ تهتز له أغصان الأشجار. فكر [بشكلٍ مشوش] بالنساء اللواتي داخل الفترينة في شارع Red light street ولديك يقين أنّهنّ يفكرنّ بمنتهى الخفة بالحياة. تخيل نساء تعرفهن في أماكنهن، يدعين الجدية والحزم [دون عاصفة من الرغبة].

فكر باللون البرتقالي [بشكلٍ حاد كشفرة حلاقة قديمة]، أو بالملك الذي تنازلت له أمه بياتريكس عن العرش بسهولةٍ كأنها تلف له سندويشة زعتر قبل الذهاب إلى المدرسة.

اترك كل ما يعكر صباحك جانباً، بل اترك الصباح نفسه جانباً [كما مر معنا]، وبشكلٍ هادئ ومتوازن، وحينما لا يكون لديك شيء أكثر أهمية؛

فكر بمصير هولندا!

7/5/2015

سطرٌ مرتبك من الحنين

وفي هذه الأثناء يمكن أن نكتب عن جملة الحنين! نتحدث عنه بالمجمل، لا نفصّل، لأن التفاصيل فقدت مطارحها. يمكن لي أن أكون شاعراً رديئاً يستدر عطف قارئه ويكتب «ما أقسى الحنين إذ يفقد رائحته»! لكن دعونا نتحدث عنه بالمجمل!

لنقل: من كان يتخيل كل هذا الشتات! الذي يحدث كأنه أمر طبيعي! كأننا تدربنا عليه كثيراً، حتى اعتدنا عليه، بل كأنّا ولدنا لهذا الشتات. الشتات الذي اعتدنا عليه بالمجمل حتى فقدنا حاسة الشم. فقدنا حاسة اللمس أيضاً، نلمس كل شيء كأننا نلمس الفراغ.

الذين لمسوا الفراق يعرفون ما أعني؛ الذين ينتابهم الحنين بالمجمل ولا يجدون مطرحاً محدداً له يعرفون ما أعني؛ بل يتعاطفون معي أيضاً لأني لمستهم كما يلمسون الفراغ.

يا للقسوة فعلاً

حنين مرتبك نتحدث عنه بالمجمل!

13/6/2016

رائحة الكلام

الذي قضى عمره مهاجراً، وترك في كلِ بلدٍ غادره حفنة من السنين بالأسود والأبيض، وأصدقاء يرممون آثار ذكرياته التي تركها آيلة للسقوط. الذي باع أوهاماً من الفضة على أرصفة مدنٍ كثيرة، واشترى أخرى ذهبية من الأسواق الحرة في المطارات، لا تأخذ حجماً في الـ Handbag التي صارت رفيقة سفره الوحيدة.

الذي لم يعد يذكر رائحة التراب بعد المطرة الأولى في قريته الأم؛ يشم رائحة الخسارة في النبرة المنكسرة لأصوات المهاجرين في منافيهم الجديدة.

29/4/2015

وردة يابسة في حفنة رمل

كان يجب أن تنام على الحافة. تثبت نفسك بصعوبة، وتترك أحلامك تدون رغباتها بمعزلٍ عنك بقلم رصاص. كان يجب أن تنام على الحافة لوقتٍ طويل، لتصلكَ رائحة الزمن الفارغ الذي كتبه بوتزاتي في «صحراء التتار». تقلب المعاني المختلفة للحياة بأثوابها الزاهية والداكنة ولا تجد معنى على قياسك؛ وأنت تعلم [كما يعلم الآخرون] أن مهنة الخياط على وشك الانقراض.

20/6/2016

مسألة بسيطة في الحساب

يمكنك أن تزيل البقع التي تركها الآخرون على وجهك، تتخلص من الأثر الذي تركوه حينما صافحوك مغادرين. يمكنك أن تشلع جذورهم من أيامك القادمة، أن تصنع من حياتك المشتركة معهم سابقاً دُمى، وتبيعها، أو تتبرع بها للصليب الأحمر ليرسلها لأطفال في مناطق الحروب والكوارث. يمكنك أن تمحيهم من الدفاتر والسجلات التي تقيد فيها ديون حياتك التي استلفتها من الآخرين أو أقرضتها لهم؛

يمكنك أن تفعل أكثر من هذا..

لكن الذكريات التي تركوها حين غادروا، ستطل برائحتها، من خلف الباب الذي بقي موارباً، كأطفال أشقياء يتضاحكون لإغاظتك ثم يختفون.

20/9/2014

مايوه سباحة بألوان العلم الوطني

بـالطبع يمكن أن نتحـدث في التفـاصـيـل، يمكن أن نقول أشـيـاء كثيرة في التفاصيل؛ لكن التفاصيل قد تستغرقنا، نطيعها ونغرق! بدلاً عن هذا تعالوا نقلد التفاصـيل، نتمايلُ في السـاحات، نمشـي كراقصـات الباليه، نقلدها ببطءٍ، لكن بمرح تلاميذ؛ نتلو أغانٍ قديمة، أو تهويدة من تهويدات الطفولة، نقنعها أن ترقص معنا، ونحن نخطط أن نخطف منها قبلة أثناء الرقص! ويمكن أن تـذهبوا أبعـد من القبلـة! لكن عليكم تخيـل ذلـك بـأنفسـكم، فالشاعرُ لا يقدم المجازات كوجباتٍ سريعة وجاهزة!

23/1/2015

الحميمية التي ترتديها الريح

الروائح التي بنت أعشـاشـها في الذاكرة؛ أعني الروائح التي فارقناها. تأتي غالباً من مكان بعيد تخاصـر الذكريات. روائح الطفولة؛ روائح الأماكن؛ الطعام؛ الأمهات؛ الأصدقاء...

تنهض وترتدي ثيابها على عجلٍ

لتنادمك؛

كلما هبتْ ريحُ الوحشة.

19/6/2017

قصة الرجل الذي حمل جثتهُ

أريد أن أحكي لكم سراً!

فالناس يهتمون لحديثك عندما تحكي لهم سراً. الكلام الذي ليس فيه أسرار كثير، تجده في كل مكان، يُحكى بصوتٍ عالٍ، ولا أحد يصغي له. فمن يأبه لحديثٍ طويل عن الفرق بين انتاج الكهرباء من مياه البحر عبر ظاهرة المد والجزر وإنتاجها من الطاقة الشمسية! سوى الأشخاص الهاربين من أحاديث نسائهم التي ليس فيها أسرار.

الأسرار تتيح لك التقرب من الآخرين. الذين تعطيهم أسرارك حتى لو أعطوها لآخرين كما هو شائع، يحرسون ظلك، يرأفون بخطاك المتبعثرة لأنهم يعرفون الأسباب، يتعاطفون معك حين تمرّ من أمامهم حاملاً جثتك..

الأسرار أيضاً تتيح لك التلصص على حياة أخرين! تشعر بثقة عندما تقابل شخصاً سرّب لك أسراره آخرون. تقف مزهوّاً، تحس بقدرتك على سحله في بلاط الضرورة!

لهذا أريد أن أحكي لكم اليوم سراً عن حياتي أنا، أريدكم أن تتعاطفوا معي وتشفقوا عليّ، فقد مرت حياتي دون أسرارٍ تذكر!

24/11/2016

عزف منطقي تحت شباك جارتي النائمة

المرأة ليست جملة قصيرة مكتملة المعنى! ولا حصيلة خلط عدة ألوان [قام به طفل]، ولا يمكن اعتبارها نجمة تائهة، أو شمساً تهدّل قميصُها فبان مفرق نهديها!

يمكن أن أكتب لكم عدة مجلدات عن الأشـياء التي لا يمكن أن تكونها المرأة؛ لكني [وخلال مسـيري نحو البئر] فكرتُ كثيراً بالذي يوقظ المرأة من النوم، أو يجعلها ترتدي حذاءها على عجلٍ، دون مواربةٍ، أو خوف من شـريكها الذي يدفع لها ثمن العطر والأحذية. فكرتُ بالذي يجعلها تعرض عريها الداخلي [ولا أقصـد الملابس هنا إطلاقاً] لأصـدقائها المخلصـين. فكرتُ بالذي يجعل المرأة مبللة دون مطرٍ مصحوبٍ بالريح. فكرتُ بالصـوت المتحشـرج والخافت للمرأة عندما تتلو أخطاءها دون تسـلسـل منطقي وتطلب الغفران. فكرتُ أيضاً أن المرأة عشيقة المسافة وشبيهتها؛ لكأنهما توأم سيامي.
فكرتُ بأني عاجزٌ أيضاً [مثل كل الرجال على هذا الكوكب]، عن تأليف لحنٍ، يجعل امرأة ميتة في سريرها تستيقظ، حتى لو عزفه عاشق تحت شباكها.

8/5/2015

ألمسُ جسدي مستدركاً آثار الليل

سُــرَّتُكِ كَأْسٌ مُدَوَّرَةٌ، لاَ يُعْوِزُهَا شَــرَابٌ مَمْزُوجٌ. بَطْنُكِ صُــبْرَةُ حِنْطَةٍ مُسَــيَّجَةٌ بِالسَّوْسَنِ.

ثَدْيَاكِ كَخَشْفَتَيْنِ، تَوْأَمَيْ ظَبْيَةٍ.

سفر نشيد الأنشاد (7: 2-3)

خنجر البارحة

لم أجرب طعنة الخنجر. لم يطعني أحدٌ بخنجر من قبل، ولم أطعن أحداً كذلك. حين أكتب عن «طعنة الخنجر» لا أقصد السكين، فقد جرحتني سكاكينٌ كثر في بلادٍ كثر. السكين تذبح، تجرح، تقتل أحياناً، لكن الخنجر يطعن.

الشعراء الحقيقيون يستخدمون الخنجر في مجاز الطعنات، بينما الساردون يستخدمون السكين. هذا فرقٌ جوهري بين الشعر والسرد.

أعرف الخنجر جيداً؛ [وتعرفون السكين] فقد سرقت خنجر أبي عندما كنتُ صغيراً، احتفظت به فترة طويلة. كنت أدرك الفرق بين الخنجر والسكين؛ وإلا لِمَ سرقته، فالسكاكين كثيرة ولا تستحق السرقة.

كنت أخرجه من غمده، أضعه باتجاه الشمس لأرى لمعانه، أتلذذ بملامسة حوافه المسنونة، وأضغط بسبابتي على رأسه المدبب وأخمن أنه يدخل سريعاً في جسد العدو. كنتُ أفكر أن أفضل مكانٍ لطعن عدوٍ [صغير بعمري] هو الخاصرة، ليس لأنها سهلة على الخنجر [فالخنجر يخترق حتى العظم] بل لأنه لن يموت على الأرجح. لم أكن أتخيل عدوي ميتاً بل مطعوناً مرمياً على الأرض يبكي ويستغيث، فلم أكن أريدُ أن أصبح قاتلاً. حين يئستُ من إيجاد عدوٍ يستحق «طعنة الخنجر» أعدت خنجر أبي إلى مكانه.

الطعنة المباغتة، طعنة خنجر، طعنة محاربٍ استعد لك جيداً، طعنة عدو، فلا تستخدم طعنة الخنجر في مجازٍ عن طعنة الصديق أو الحبيبة. فكر جيداً فيما أقول: في اللحظة التي يطعنك أحدٌ ما بخنجر فهو عدوك، إن لم يرد قتلك فهو يريد هزيمتك، إذلالكَ. هناك خلطٌ فادح في استخدام «الهزيمة»، الهزيمةُ ذلٌ، الهزيمة تخص الأعداء.

عندما تقول: «طعنتُ بخنجر». أنت لم تمت، نجوتَ من الموت بأعجوبة [قد يكون إلى حين]، لكنك تعني أن جرحك عميق. أخمن أن طعنة الخنجر لها طعمٌ، طعم شيءٍ لاذع وحاد ومفاجئ، لكن لا صوت لها، ولن تحس بها والخنجر يخترقُ جسدك.

الخنجر سريعٌ. إنه ابن السيف الصغير، ألم الطعنة يأتيك بطيئاً عندما يبردُ الدم. ويستمرُ طويلاً طويلاً وقد لا تشفى؛ وإن شفيت ستظل آثار الطعنة في جسدك وذكرياتك للأبد، ترويها دائماً. لذلك حاذر ولا تستهتر بالمجازات.

الآن وقد عرفتَ ماذا تعني طعنة الخنجر! ستدرك ألم المعنى حين يكتبُ أحدٌ ما:

لا يوجد مارة في آخر هذا الليل،

ليمسك أحدٌ هذه اليد التي تغرس خنجرها في خاصرتي بشكلٍ متكرر!

22/6/2014

الشجرة التي فقدت ظلها بشكل تام

بينما يتلهى العالم بالحروب، ويتابع أخبار البورصة ومؤشرات الأسهم، وإعلان دولة الخلافة الإسلامية.. يمكنك أن تتسلق المستقبل. تمرّن أصابعك على الإمساك بالحواف الخشنة، تقوي حاسة اللمس لديك، وتعبر إلى الضفة الأخرى..

حيث ينتظرك الموت بمعطفه الداكن، ووجهٍ محايد خالٍ من التعابير، ماداً يده اليمنى، ليصافحك بمودة وصلابة. يقودك إلى بيتك الجديد حيث ستمضي حياتك هناك بعذوبة وسلاسة، بلا جيران ولا أصدقاء ولا شوق ولا لذة...

هناك، حيث يمكنك أن تسـرد حياتك مرات عديدة على نفسـك، تختار ثيابها السـابقة وألوانها، طريقة ضـحكها، مشـيتها ورغباتها. تنقيها من البشـر والمنغصات ونوبات الألم، تضيف لها البهارات التي تُريد؛

هناك، حيث أنت المسـتمع الوحيد، يمكنك أن تعيد ترتيب السـرد مرات ومرات حتى تصل لرواية مشوقة لحياتك،

حياتك التي لم تأخذ رأيك يوماً بما تفعله.

30/6/2014

محاولة يائسة لفهم الفراغ

هل لمست الفراغ من قبل!

الفكرة أمسـكت بي كلعنة جارحة خارجة من كتابِ سـاحرٍ يجعل الحجارة تتسـلق الجبل. من المؤكد أن أحداً لم يتخيله أيضـاً. فلا يمكن تخيل شـيءٍ كهذا. الفراغ ليس أبعاداً، لنشـاهده بالعين المجردة، سـواء كانت سـليمة أو مصـابة بالرمد، أو حتى تذرف الدمع. لم يشـاهده أحدٌ من قبل حتى لو كان يبصر بعيني زرقاء اليمامة.

لم يقرأ أيٌّ منكم جُملاً كهذه «رأيتُ فراغاً جميلاً. ما أطيب طعم الفراغ. سمعت الفراغ يبكي ليلة البارحة...»، ولم تصنع أي شركة عطراً من خلاصة الفراغ. والعطارون القدماء لم يزرعوا عشبة الفراغ.

الفراغ شـقيق الموت! الموتُ مجرد فراق طويل. أو على الأقل هذا ما يردده أحبةُ الميتين.

26/6/2014

أبناءُ الحيرة

الحيرةُ تطفأ كل أضــواء المنزل. تترك باب غرفة النوم مواربأً. تتعرى بهدوءٍ من ملابسـها الداخلية. تندس إلى جانبي في الفراش. أحضـنها بهدوءٍ تام، بهدوءٍ لا يثير الريبة ولا المخاوف ولا يمكن تفسـيره بسـوء نية. أداريها كشـمعة تواجه جيوش الريح منفردة، لا أريـدهـا أن تنطفئ؛ حتى لا تغمض الحكاية عينيها وتنام للأبد.

أسـتطرد إلى جانبها. اسـتطرد في كل شـيء. أشـعر باللذة والعجز ورغبة النوم. أصل ما ينقطع من حكايتنا بدمعةٍ أحياناً، وأخيط ثوبها بأصابعَ ترتعش وبكاءٍ مكتوم، وكلما أوشكتْ أن تغفو، أعيد لها لذة أصابعي حين لامَستها أول مرة، فتصحو كطيرٍ مبلول؛

لكنها تسـتطردُ بعيداً. تترك بيننا مسـافة كافية للظنون، مسـافة كافية لنعض أصابع بعض دون لذة، وبألمٍ بطيء..

تستطردُ

وتتركُني أربّي أبناءها.

27/11/ 2014

بائعة البندورة العارية أمام قصر الملكة في أمستردام

ما فائدة أن تشـرح للمارة ما يدور في ذهنك! أن تحكي لصـديقك عن الطريق الذي سـلكته في صـعودك إلى جبل الخواء. أن تضـع يد حبيبتك على مكان الألم تماماً، والتي لن تحس به بكل تأكيد، لأن الألم لا ينتقل بالملامسـة..

دعونا ننتقل لمكانٍ أقل حميمية وأكثر تجرداً، فالأحاسيس لا تنتقل عبر الهواء كفيروس الإنفلونزا، بل عبر الحواس، كما تعلمون.

تخيل أنك تعبر الشارع وتتجنب جثتك كي لا تدوسها، أو تأكل الكبسة بيدك التي قطعت أصابعها للتو، أو تنام على فراشٍ من البعوض مستلقٍ على ظهره ويضحك لمصيرك..

يمكن تخيل سلسلة لا نهائية من مشاهد كهذه يحاول الشاعر فيها أن يقرب لكم معنى الألم الذي تعرفونه جيداً.

21/1/2015

قدم ترتعش على أول السلم

إلى خلف علي الخلف أو ليندا حسين

افتحِ النوافذ والأبواب للشمس. للريح. للغرباء أيضاً. وللقادمين الجدد. رتب حياتكَ كمنزلٍ يستعد لضيف عزيز. اعط يدك لمن يريد أن يقطع الطريق، أو يصعد الحافلة، وللعابرين الذين تلتمع عيونهم برغبة مصافحتك. للتائهين أيضاً..

كل يدٍ ممدودة نحوكَ فرصة لحياة محتملة

تعامل معها بجدية مفرطة

كأنك [لو أضعتها] ستفقد بصرك أو يدك التي لم تمدها.

17/9/2016

عن فوائد الحب التي يتجاهلها الآخرون

هاتِ يدكِ

لا أريد أن أصافحك، أو أقطع لك عهوداً ربما لا أستطيع تنفيذها. أريدُ يدك لأقبلها، أتلمسها ببطء شديد كأعمى يتعرف على الناس باللمس، أضعها في راحة كفي، وإبهامي يستكين لنعومتها وهو يتلمس طريقه ذهاباً وإياباً، ويكف عن البكاء!

هاتِ يدكِ

تحسباً للمفاجآت أيضاً؛ فربما حدث زلزال فجأة، أو ألقي برميل متفجر على المكان الذي أمسك يدك فيه باسترخاء طبيعي؛ عليَ أن أكون بصرك الذي يرى الطريق، وقدميك اللتين تحاولان إنقاذك من موت محتمل أو عاهة دائمة؛

إذا كانت يدك في يدي في تلك اللحظة لن أتركها محاولاً النجاة منفرداً، قد ننجو معاً دون أن يأبه لنا أحدٌ، وقد نموت ويدك في يدي، فينتبه لنا مصورٌ محترف يعمل في وكالة أنباءٍ عالمية، وتخلدهُ هذه الصورة، ويحصد بها جوائز كثيرة دون أن تُذكر أسماؤنا.

7/10/2015

أصابع مرتعشة تتلمس القدر النائم

أعرف القدر، رأيته مرة على الجسر يروح ويجيء كأنه ينتظرني. باضطراب وحيرة يفرك يديه، كأنه يخشى أن أتأخر «فيفوته الغطار». في المجاز يمكن أن

نتاجر بالأرواح، ونلعب مع القدر الغميضة، يمكن أن نتذوق الفجيعة، ونلمس المعنى ونشم رائحة الموت.

في المجاز يمكنك أن تجعل أيّ شيء يحدث! تلون الأيام وفقاً لحالتك والألوان التي تحبها وتكرهها؛ تجعل القدر قاتلاً عشوائياً يحصد الأرواح كأنه يشرب الماء. يمكنك أن تقول ببساطة: هذه الحياة زرقاء ولها طعم الغدر.

وإن كنتَ عاشقاً يمكنك أن تشبّه حبيبتك بقدرٍ أعمى، أو ريحٍ عاتية فقدت الطريق. يمكنك أن تقول للمارة: انظروا، إنها تسحلُ أيامي وتمثّلُ بجثتي.

24/6/2014

رغبات جنسية تنشر الغسيل على السطح

نريد أن نكتب حكماً، تمشي مصطفة كرتلٍ عسكري، وتحيي المنصة التي يجلس عليها الأوغاد عادة؛ أقوالاً مأثورة، تبقى خلفنا في المجلات الميتة، ومواقع اقتباسات العظماء والعباقرة، الذين أكل لحاهم الدود وصارت عظامهم مكاحل.

لا نريد كلاماً عادياً يثرثره الجميع؛ كالحديث عن رائحة الجرابات، أو قصاصة الأظافر الممتازة مع المبرد، أو طريقة صنع القهوة وترتيب الملابس الداخلية.

نريد كلاماً قوياً يهابه الأعداء فترتعد فرائصهم؛ كلاماً عميقاً، يدركه الراسخون في العلم، وقراء كتب البلاغة، والذين يبحثون ما بين السطور ويبعصون الكلمات ويفلّون الحروف عن القمل والصئبان.

نريد أن نكتب ما يجعل القارئ يتعجب ويندهش، يحك أرنبة أنفه ويمسح عينيه، ويحك طيزه أيضاً، ليتأكد أن ما قرأه هو ما قرأه ولم يتراء له.

نريد أن نكتب حكماً وأقوالاً مأثورة لا يستفيد منها أحد ولا تعلم سوى البلادة.

25/8/2014

فروقات جوهرية

في الليل تتلمس الطريق،

في النهار تراه!

5/5/2016

أتذوقُ الأمس مستذكراً ندمي بحيادٍ شفاف

لِيُقَبِّلْنِي بِقُبْلاَتِ فَمِهِ، لأَنَّ حُبَّ[هُ] أَطْيَبُ مِنَ الْخَمْرِ.
كَالتُّفَّاحِ بَيْنَ شَجَرِ الْوَعْرِ كَذلِكَ حَبِيبِي بَيْنَ الْبَنِينَ. تَحْتَ ظِلِّهِ اشْتَهَيْتُ أَنْ أَجْلِسَ، وَثَمَرَتُهُ حُلْوَةٌ لِحَلْقِي.
هذَا حَبِيبِي، وَهذَا خَلِيلِي، يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ.
سفر نشيد الإنشاد (1: 2؛ 2: 3؛ 5: 16)

دعوة عامة

غداً؛ عند مغيب الشمس تماماً، جميعكم مدعوون إلى العشاء. منزلي لا يضيع أحداً، وسأرسل الأولاد إلى منازلكم لعزومتكم. سأصعد فوق سطح المنزل وأنادي: «يا سامعين الصوت تفضلوا للعشا..»

سأولم لكم الندم؛

سأقدمه مطبوخاً بمرقٍ تفوح منه رائحة البهار وتعب أربعين عام بنهاراتها وأوهامها وضوئها الذابل الذي لم يوضح الطريق، وصريرها الذي لم يسمعه أحد وهي تستغيث كلما حركت بابي الريح. سأقدم لكم إلى جانبه سلطة الخضار بزيت الزيتون، وأتمنى عليكم أن تأكلوا بتلذذٍ وأريحية كأنكم في منازلكم، فـ«الأكل على قدر المحبة».

فقيرٌ مثلي، لن يتهافت الناس على تلبية دعوته، وربما سيأكل ندمه وحيداً.

4/9/2014

التي تشرب البيرة في البار وحيدة

انظر إليها!

تأمل آثار الحروب التي خاضها الزمنُ على وجهها؛ دقق في نظرتها المسكينة!

عندما تلتقي عيناك بعينيها سترى أن نظرتها كانت تتسول طعامها في شوارع مدينة منكوبة.

يمكن لي أن أسرد لك قصة تلك الفتاة التي تشرب البيرة وحيدةً وتدخن سكائر اللف [لأسبابٍ اقتصادية]، وأخمّن كم مرة خانت حبيبها، وكيف عادت له في المرة الأخيرة لأن الرجل الذي اختارته كان أعمى الحواس وعنّيناً.

أراهنك [أيضاً] أنها لا تنتظر أحداً، ولن يأتي أحدٌ ليجالسها! ألا ترى صاحبة البار تبتسم لها وتلاطفها دون مبررٍ!
أنا وصاحبة البار خضنا هذه الحروب، ولا زلنا نحمل الندوب التي تركتها في نظراتنا، ونعرف الأشخاص المتورطين في حروبهم الداخلية من نظراتهم، التي كأنها تختبئ خلف حائطٍ لتتجنب رصاص قناص؛
نعرفهم ونتعاطفُ معهم لأن ذلك كان الجسر الذي عبرنا عليه نحو الآن!

8/5/2015

الكلمات التي وصلت سن اليأس دون أن تنجب

تعالوا ندلل الحزن!
نخصص له غرفةً واسعة في المنزل، نضع فيها خزانة لثيابه، وأغراضه الشخصية؛ نشتري له سريراً مزدوجاً لينام مرتاحاً، وحين يستيقظ باكراً، يأتي ليندس معنا في الفراش، أو يتحرش بنا لنستيقظ، ويشرب قهوته الصباحية معنا، فالأحزان لا تشرب القهوة وحيدة!
نصحبه في رحلاتنا إلى الشواطئ، أو المدن البعيدة، نجلس معه في الحدائق العامة وعلى الأرصفة؛ نحدثه عن شوقنا للحبيبة التي تقلّم المسرات وتتركها دون سقاية، والأصدقاء الذين يتلاشون، دون أن يخلّفوا أثراً، كبول بعيرٍ في صحراء تدمر [تحديداً].
نحدثه عن العمر الذي يقودنا في دروبٍ مجهولة، دون أن يستخدم خرائط غوغل! نغني معه، وهو يتدفق بكلماتٍ شاحبة ومبلولة، يرتجف لحنها من الوحشة..

تعالوا ندلل الحزن ونتعامل معه بمودة طرية، كأختٍ لا تنجب وتدلل أطفالنا.

22/5/2015

عن الليل وخيانات الضوء المتكررة

في الصباح؛
بعد أن تغادر النوم وتتركه وحيداً في السرير، يمكنك أن تفعل أشياء كثيرة. نسيان أحلام ليلة البارحة. صنع قهوتك من الفراغ الذي تركه من غادروك حيّاً. شتم الحقيقة. لعن المرأة التي تفرخ في رأسك أفكاراً شريرة تقفز على ساقٍ واحدة...
أشياء كثيرة يمكن أن تفعلها في الصباح، باكراً أيضاً،
حتى لو كان هذا الصباح هرماً يتوكأ على عكاز.

19/9/2014

وصية آشورية معروضة للبيع

كان عليك أن تستيقظ صباحاً، أو حسب الرغبة. كان عليك أن تتذكر طعم ليلة الأمس، أو طعم الخديعة الواضحة. الجميع كان يعرف ماذا حلمتَ ليلة البارحة؛ كانت جثتها واضحة في عينيك! كان عليك أن تصغي لنصيحة العجوز
التي أرضعتك الفراسة والندم الذي بلا فائدة:

لا تقتل الآخرين بداخلك

لا تلوث يديك بدمهم

دعهم ينتحرون!

23/11/2016

فروقات لا ينتبه لها أحد

المساحةُ تباعُ،

لكن المسافةَ لا تبُاع ولا تُشرى! لم يذكر التاريخ أن أحداً باع قنطاراً أو شوالاً من البُعد! [رغم وجود زبائن له في كل بقاع الأرض]. لو كان البعدُ تيناً مجففاً، أو برتقالاً يافوياً، لاشتراه الناسُ دون ترددٍ، وبحسن نيةٍ، وأكلوه بتلذذٍ مطمئن..

ولو كانت المسافة حبلاً [على سبيل المثال] لطويتها الآن وأدركتكِ نائمة ربما..

15/12/2014

سرداب طويل لم يخرج منه أحد

لم أفهم أبداً رغبة الناس بالخلود! ما الفائدة من فكرةٍ غير واقعية كهذه. حين تأملتُ رغبة گلگامش بالخلود كتبتُ نصاً لممثل وحيدٍ ويائس، يسخر من فكرةٍ حمقاء كهذه، وجعلت الموتُ أمنيتهُ الوحيدة! وأعتقد [دون يقينٍ يذكر] أن هذا النص سيخلدُ للأبد! وربما يترجم بعد حينٍ لعدة لغات، وقد يقرأه سكان الصين والهند، وقد يمثلُ على مسارح العالم كما تمثل النصوص الخالدة للسيد شكسبير.

لا أفهم ماذا تغير في التراب الذي صـاره السـيد شـكسـبير بعد أن قدمت نصـوصـه الخالدة في كل جهات الأرض، وربما في كواكب أخرى من المجموعة الشمسية!

[يا عزيزي] عندما تدخل سـرداب الموت الذي ابتلع الرفيق المهدي والأنبياء والرسـل والقادة العظماء والشـحاذين والعاهرات.. وتتحللُ جثتك أو تحرق وتصـير رماداً، لن تحسّ شـيئاً، إذا ردّد كل سـكان الكرة الأرضـية اسـمك مسبوقاً بـ «الخالد»!

ما يدريك بما يحصـل بعد أن تموت [إذا تجنبنا بعض الخرافات والأسـاطير التي ابتكرها البشـر لمواجهة رعب الموت برغبةِ الخلود]! سـيكون خلودك بالنسبة لك لا معنى له، كنقطة مياه عذبة في المحيط الأطلسي.

26/6/2014

قبرُ الشاعر

في زاراغوسـا، أفتش عن قبر لوركا، لأقرأ له قصـيدتين من «يوميات الحرب القائمة»! أخبره عن الحروب التي حدثت في غيابه، والناس الذين قتلوا والنوافذ مغلقة. أريد أن أقول له بشـكل اعتيادي، ونحن نتحدث عن الحياة خارج القبور، أن كلمات الأغاني فقدت معانيها أكثر من قبل، لكنها ما تزال تجد أنصـاراً ومسـتمعين. سـأقول له بحسـنٍ نيةٍ ودون فخرٍ أو امتعاضٍ أن عمر سليمان غنى على مسرح جائزة نوبل للسلام.

فكرتُ بكتابة رسـالة طويلة أتركها على قبره حينما أجده. افتتحها بـــ «عزيزي لوركا» دلالة على الشـجاعة والحميمية، وفي أول سـطرٍ منها، عليَّ أن أذكر له أن الضـفادع في بلادنا تؤمن بالأبدية والخلود، رغم أن ضـفدعاً لم يتذوقه.

هذا شــيء مهم من وجهة نظري، لا يمكن تجاهله من أي شــخص قرأ لوركا. ربما سيهمهُ أن يعرف أن جميع من رأى النجوم قد تم نفيهم؛ كما كانت رغبته على لسان النمل.

سأكتب بمنتهى الوضوح أن نصف السكان في بلادي [على سبيل المثال يا عزيزي لوركا] قد تم نفيهم؛ رغم أن بعضهم لم ير النجوم. قد تعتبر الأمر مجرد مبالغة مني لكن هذا ما حدث. مُنع الغناء أيضاً، ليس لرداءة الكلمات أو الألحان، بل لأن الأغاني أصبحت جميعها تتحدث عن بهاء النجوم في ليالي الصحو المعتمة.

مثل الجميع كنت واهماً أنك قتلت في أرضٍ أخرى؛ لكني تعقبت خطى «الحلزون المغامر» فقادتني خطاي إلى زاراغوسا التي يسميها أجدادنا سرقسطة. بحجج واهية أنكر الناس هنا أن قبرك في هذه المدينة، وزعموا أنك قتلت في غرناطة، رغم أن بعضهم كان يحفظ أشعارك! موظفة الاستقبال في الفندق [مثلاً] دهشت حينما قرأت لها جملتين بالإسبانية من قصيدتك «Los encuentros de un caracol aventurero»! وكنت قد تدربت على ذلك كثيراً، لتوقعي أن ذلك يسهل مهمتي في العثور على قبرك، لكنها أنكرت بالنهاية مثل الجميع أنك قد زرت هذي المدينة.

كل المدينة تعرف لوركا

وتعرف أشعاره

لكن أحداً لم يدلني على قبره.

21/5/2015

فراق ينام دون وسادة

كلاعبين متقاعدين، نسـتذكرُ الأهداف التي سـجلناها في مرمى الخصـم، ونتجاهل عمداً تلك الأهداف التي سـجلناها في مرمى فريقنا وكانت سـبب خسارتنا! لحل كل المشاكل الناجمة عن الفراق، يمكن لنا أن نذهب إلى مكانٍ منعزلٍ ومحايد، نتحاور كخصمين عنيدين أنهكتهم الحرب؛ على خارطة ملونة نضـع خطاً متعرجاً يفصـلُ بين مشـاعرنا. يمكن أن نتفق على هدنة طويلة تسـتمر لأجيال قادمة، تنص على تواجد قوات فصـلٍ دولية، دون أن ننسـى دور «الكتيبة الهولندية» في مذبحة سربرنيتسا.

نضـع الهزيمة في صحنٍ دائري، ونلحس منها بأصـابعنا المرتجفة! نعم نلحس الهزيمـة؛ لنـدرك الفـارق بين المعنى وظلـه، بين الألم والمرارة، بين الهجر والهروب كلصٍ يضـع قناعاً على وجهه. نجلس صـامتين، ينظر كلٌّ منا في عينيّ الآخر، يتأمل خسارته.. قبل أن نفترق.

11/7/ 2014

نصيحة تمشي بتمهل على ممر المشاة

لا تكن فرصة

لا تكن لقمة سائغة

ولا تكن خاتم ذهبٍ أو فضة بإصبع أحد

لاتكن شيئا، أفضل من أن ينتهي بك المصير أن تكون شيئاً كهذا

إن كان ولا بُد

كن بئراً عميقاً أو طريقاً أو سمّاً يتجرعه المهزومون!

22/7/2017

عن الحب أو ملتقى الحواس

لأَنَّ الْمَحَبَّةَ قَوِيَّةٌ كَالْمَوْتِ.

مِيَاهٌ كَثِيرَةٌ لاَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُطْفِئَ الْمَحَبَّةَ، وَالسُّيُولُ لاَ تَغْمُرُهَا.

أُحَلِّفُكُنَّ يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ إِنْ وَجَدْتُنَّ حَبِيبِي أَنْ تُخْبِرْنَهُ بِأَنِّي مَرِيضَةٌ حُبًّا.

نشيد الأنشاد (8: 6. 7؛ 5: 8)

محاولة لتعريف الحب بشكلٍ مبسط

إذا انتبهت إلى أن الأشجار خضراء وقلت «يا ألله ما أجمل الطبيعة»! دون أن تلفظها بشكلٍ علني، وأصبحت ترى أن ما من مبرر للشجار بين اثنين، واعتبرت الزحام المروري أمراً لا يستحق فقدان الأعصاب، وصرت تسمع لأصدقائك وهم يعرضون أفكارهم النيّرة، والتي يعتقدون أنها يجب أن تعبأ، وتصدر إلى كل دول العالم، دون أن تقاطعهم.

إذا أصبحت السجائر ممتعة وتدخنها بشهية مفتوحة، وتشرب البيرة الباردة بلذة قديمة فقدتها منذ وقت طويل، وإثر كل كأس تقول: «Oh my God» مقلداً الأفلام الأمريكية، ولم تلفت انتباهك الفتاة الجميلة، التي تجلس وحيدة في زاوية البار وترتدي شورتاً قصيراً يظهر سيقانها التي تبدو مستعارة من أحد التماثيل الإغريقية.

إن لم تعد تشهق عندما تنظر لفاتورة المطعم المرتفعة، وتقول «معقول! طلبنا كل هذا! مستحيل»، ولم يبق لديك أي حماس للدخول في حسابات معقدة وجدل عقيم لمحاولة تخفيضها.

إذا أصابك الزكام لأنك مشيت وتبللت بالمطر دون أن تحس بذلك، ولم تلق اللوم على أحد، ولم تبحث عن شماعة -كما جرت العادة- لتعلق عليها خطأك الذي ارتكبته وحيداً، لأن المسألة لا تستحق تكدير الخاطر.

إذا أصبحت تصغي للأخبار دون أن تسمعها ولا تفرق بين نجاح الرئيس النيكارغوي في الانتخابات والملف النووي الإيراني. إذا فاتك موعد الطائرة

واكتفيت بالقول «أشـــياء كهذه تحدث دائماً» ولم تصـــر على تدريس هذه الحادثة في المناهج الدراسية لبلادك كأكبر كارثة تتعرض لها منذ الاستقلال.

إذا حدثت أشياء كهذه، وأشياء أخرى لا تهتم لسردها؛

فاعلم أن هذا ما يسمى باللغة الفصحى «حالة حب».

18/5/2012

في تقليب المواجع

وبينما كنتُ أُقَلِّبُ المواجعَ، عثرتُ على جزءٍ من ذاكرتي. كنت نســـيتهُ. تذكرتُ بصعوبةٍ أنه بخصني، أني كنت أعرفه، تذكرتُ أني كنتُ أحبه. تلمستهُ بيدين مرتعشـتين [بعد أن عرفته] لم يخرج مارداً ليقول لي تلك الجملة الجوفاء التي تتكرر في كتب التراث والنكات التي تسخر من العجز والأمنيات. فكرتُ طويلاً، أشعلتُ سيكارة، وشربتُ من كأس الفودكا التي تجعل الأشياء «ملونة»، وقلت ماذا يمكنني أن أفعل؟

لو كان عبد الله الريامي بجانبي كان يمكن أن أحكي له عن هذا الجزء الذي تذكرتُ أني أحبه، وأقول له أنا لا أســـتطيع النوم، وجدت جزءاً منســـياً مني وأحبه بينما كنتُ أقلب المواجع وسأحكي لك عنه.

هل من العدل أن أتصل بحامد بن عقيل عبر «سكايب» أو «فايبر» لأخبره أني قلبتُ المواجع ووجدتُ جزءاً مني أحبه. الأمرُ سـيبدو أقل وهجاً وتعاطفاً، مما لو كان أمامي وينظر إلى عيني ويقول لي «كلنا هكذا.. عندما نقلب المواجعَ، نجد أشـياء مهملة، أشـياء نسـيناها، نجد ما يذكرنا بإيامنا التي تمضـي.» أنا

مضطر أن أقوله لكم، فلم يعد لدي وسيلة سوى الكتابة لأفصح عن المواجع التي كنتُ أقلبها. فبينما كنتُ أقلبُ مواجعَ القلب [كما يقول الشعراء]، عثرتُ على طفلةٍ حلمتُ بها يوماً وأنا أشرب البيرة في «العندليب».

سـأعترف أمامكم إن الطفلةَ التي حلمتُ بها يوماً وجدتها الآن في زاوية مهملة من النسيان. الطفلةُ المشاكسة، الطفلة التي كانت تمشي مع الريح، الطفلة الحمقاء، والتي تضحكني كثيراً حماقاتها، الطفلةُ التي تعتبر نفسها مرشدة للعالم.. كانت تلعب بين المواجع التي كنت أقلبها.

وكي أكونُ صادقاً، ودون أوهام، سـأقول لكم: بينما «وجدتها!»، لم تنتبه لي. استغربتْ اهتمام هذا الرجلُ الذي يفتش في ذاكرته، بطفلة كبرت بين المواجع. لم تعرفني، لم ترد التحية، لم تقل لي: هيييه أين كنتَ، انتظرتُك طويلاً بين المواجع ولم تأتِ.

كنتُ أشرب الفودكا بالبرتقال وأنا أعيدُ تقليبَ المواجعَ. وكما تعلمون فالسُكر يمنح الحزانى والعاجزين طاقةً ليعترفوا بأحزانهم. قلتُ لها أنا أعرفك. لم تلتفت إليَّ. كانتْ تلعبُ بين المواجعِ ولا تنتظر الريح. كانتْ تمارس لعبةً أدمنتها بين المواجع، تختبئ في الضوء فيبحث عنها الظلُ.

أردتُ أن أقول لها تحبباً: يا غزال أنا أعرفكِ. خفتُ أن يزعل مني فراس حسن الذي أصبح يعتبر الغزال شتيمةً.

وبينما كنتُ أقلبُ المواجعَ، ظلت تلعبُ في الضوء وتعبئ الفراغ بأكياس وتبيعه. جمعتُ ما لدي من حروف وذهبتُ إليها بكل جدية طالباً منها أن تبيعني كيساً من «الأوهام»، والذي تسميه بعض العواطف القديمة «الحب». قالت لي: امض في طريقك يا بني. هذا سمٌ. كل من تذوقه أصابه مسٌ لم يشفَ

منه. خذْ هذا الحجاب ضعه تحتَ وسادتكَ وستنام بينما أنت تقلبُ المواجع، وستصحو صباحاً لا تذكر من هذا الذي تقوله شيئاً.

20/5/2012

المنادى بأداة نداء محذوفة تحسباً

تعالي لندهن هذا الصباح بعرقكِ

ونسكب لهاثك في فنجانٍ أبيض، صحنه أبيض، وداخله أبيض أيضاً [للتأكيد]. فلهاثك الذي لا لون له يكون في زهوِ مذاقه حينما يتمددُ في البياض.. لندع المتعجرفين يخزنون ريقهم ليبيعوه لحبيباتهم بالتقسيط المريح، في مواسم الجفاف.

علينا ألا نلمس الضغينة النائمة، أن نغطي رأسها بشرشفٍ نقشت عليه عانس رجاءها، فربما استفاقت فجأة على نداء الرغبة، ألا نتنفس بجانبها كي لا يوقظها صوت أنفاسنا أو رائحتها المتحدة التي تخترق الأنفس والصلابة.

أرجوكِ دعِي الصباح يقلدك وسام الاستحقاق الأول؛ يقبلك على خدك اليمين ويقف بجانبك وأنت تحيين الطلاسم المتشكلة رؤوساً وأكفاً تمارس الاندهاش والابتسام والأكاذيب. علقي الوشاح دون فخرٍ أو استخفاف أو ريبة أو ضغينة [إلا ما يلزم]؛

فقد تظلم الدنيا فجأة ونحتاج ثمنه لنسكن فندقاً نمارس فيه شهوتنا [بأضلاعها] ونفتح دفاتر النميمة حتى الصباح..

11/4/2012

لوحة معلقة في حانة قديمة

أنا اليد التي تحفن لك الماء لتشـــربي. اليد التي تســـندك عندما تعبرين فوق جســـر خشـــبي قديم على نهرٍ حزين. وأنا ظلك حين تمشـــين وحيدة. أنا من يحرســـك وأنت نائمة، يتركك على الكنبة ويأتي لك بالغطاء. أنا ضـحكتك حينما تعبس الدنيا. وأنا الزاوية التي تلجئين إليها حينما يحاصرك العالم.
وأنا الذي يحسدك أن بقربك شخص كهذا.

8/3/2013

صندوق بريد لرسائل الرغبة

ســأكتب لك عن الحمّى الخافتة التي تصـيب الهواء عندما يرى الماء يحتضـن جسـدك وأنت تسـبحين عارية في النهر. سـأعلق الغد على بابك ليلهث بارتباك وحســدٍ حينما تبحثين بلطفٍ عن مفاتيح رغباتك في جيوب بنطالك الخلفية. ســـأنقش على وجه وســـادتك كلمة خائفة وباردة، تتلمسُ مكان أقراطكِ، وتهمس لك بصوت أفعى: لا تنامي.
ســأرســم لك فراشــة عند ملتقى الردفين، تضـيء ألوانها عندما تتجردين من الأمس، وبجسدٍ شبقٍ تنغمسين في الضوء المتنكر بهيئة رجل.

9/05/2012

درس تعبير عن الرغبة

خذ هذه على سبيل المثال. قل هذا ولا تعط أحداً شيئاً! مارس المجاز كطفل شقي «يلاعبُ» أقرانه.

في التعبير عن الأحاسيس من السخف أن تقع في مطب المفردات.. الأزهار، الأشجار، النهر، الغيوم، السماء، القمر، الألفاظ عموماً. فعلى سبيل الإيضاح؛ عندما تريد التعبير عن الحب عليك أن تختار اللانجري الذي ستلبسه المفردات بعناية، جهز لها الإضاءة واتركها تعبر عن نفسها بإيجازٍ لكن بغموضٍ شفاف! علمها أن ترقص بحركات جديدة وغير متوقعة، تثير دهشة الحاضرين. عندما تعبر عن الحب عليك أن تصمت أحياناً. أو تقطع الشارع والسيارات تمر، برشاقة عارضة أزياء مهووسة بالتعبير عن مشاعرها من خلال مؤخرتها!

في التعبير عن الحب تحتاجُ مفردات تتعرى ولا ترضى بأقل من إثارة الشبق.

23/06/2014

في ترتيب الرغبات

الرغباتُ

لا تصطف كتلاميذَ في طابورهم الصباحي، ولا تمشي باحترافٍ كجنودٍ مدربين في استعراضٍ عسكري؛ الرغبات تتزاحم في الحواس وتتدافعُ كأنها أمام منفذ بيع موادَّ استهلاكية مقننة في «دولة اشتراكية» من العالم الثالث.

ما يدريك ألا تكون رغبة الانتقام هي من تقود رغبات الحبيب! لا تستهن برغبة الانتقام؛ إن كانت حياتك لا تشكل هاجساً لبعوضة لتنتقم منك، هناك

آخرون فعلوا أشــياء كثيرة وجســيمة تســتحق انتقاماً قاســياً، وقد تشــبه أحـدهم. حتى هـذا غير مهمٍ، على مر الأزمـان قتـل أنـاسٌ أبريـاء للانتقـام من آخرين لا يشبهونهم.

25/6/2014

رجاء مبكر قبل رحيل طويل

وأنت تغادر المرأة التي أحبتك بحواسـها الخمس، لا تفقأ عينيها. اترك لها عيناً واحدة على الأقل؛ لتبكيك! لا تخرب كل شيء، كجيش احتلال يغادر [مكرهاً] بلداً دون تســويات دولية. اترك خلفك ذكرياتٍ ناصــعة، ونظيفة، لتضــعها المرأة التي أحبتك في متحفٍ خاص، تسـتعرضـها برويةٍ دون حرس شـرفٍ كلما شــعرت بالشــوق. وربما تســتخدمها كضــمادات لجروحٍ قادمة، أو كماداتٍ تخفف عنها الحمى وهي تهذي بك

اترك الباب مفتوحاً

فربما تُصــاب المرأة التي أحبتك بأزمة قلبية وتموت على عجلٍ دون تدخل الأقدار.

اترك الباب مفتوحاً خلفك وأنت تغادر

ليدخل أحدٌ ما، ويكتشف جثتها قبل أن تتفسخ.

22/11/2014

السطر الأخير من حكاية فقدت ألوانها

يوماً ما [ربما لن يأت]، وحين لن يكون للكلام معنى، ولا يبدّل شيئاً؛ سأذكّركَ بأني تصرفتُ كامرأةٍ حكيمة وهرمة، وفعلتُ كلّ ما بوسعي لأبقي يدك في يدي ونحن نعبر هذه الغابة التي تسمى مجازاً حياة.
تصرفتُ كطفلةٍ تبكي بصوتٍ حادٍ ومتواصل لترافق أمها وهي تغادر المنزل! لحقتُ بكَ كعاشقةٍ من زمن قديم. وفشلتُ بإقناعك أن حياةً مشتركة مع عاشقةٍ مثلي خير من وحدتك.

20/11/2014

الماضي التام

المرأة التي مرت أمامنا قبل قليل، وترتدي قميصاً من الأوهام الرمادية؛ التي تمشي كأنها تعرف الطريق لكنها نسيت الجهة التي تقصدها؛ التي تمشي بعلامة فارقة مزورة ويمشي خلفها قطيع من الأفكار الضالة فقد قدرة النباح؛ المرأة التي تأكل أصابعها بتلذذ وهي تمشي؛ المرأة التي برائحة محايدة وصوتٍ يابس تتحدث فيه عن الماضي
هذه المرأة ليست متسولة كما ظننتِ
إنها شقيقة الليل وابنة الخسارة
وكنتُ أحبها!

5/1/2016

عاشق

لم يطلب الشوق من أحد

ولم يتذكره أحد

مضى مثل ظل

3/7/2016

تدريباتٌ مملة لتعتاد الحواس على الصبر

فِي اللَّيْلِ عَلَى فِرَاشِي طَلَبْتُ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي. طَلَبْتُهُ فَمَا وَجَدْتُهُ.

سفر نشيد الأنشاد (1 :3)

تمرين للكتابة في ظل دكتاتورية الزمن

تعالوا لنكتب عن الأمس، فنحن لا نعرف ما في جعبة الغد لنكتب عنه!
نكتب عن أنفه الطويل الذي يستره بالابتسامات، عن البثور التي تملأ وجهه، عن طريقة مشـيه المختلة، عن الحذاء الضـيق الذي يرتديه، عن سـمعه الضـعيف الذي يتحجج به كي لا يسـمع نداءاتنا، عن العمى الذي أصـابه باكراً، فلم يعد يعرف الطريق؛ تراه منتظراً عند شارات المرور ليتصدق عليه المارة ويقودونه للطرف الآخر من الشـارع. عن الأنفلونزا التي كان يصـاب بها باستمرار، ويرفض تناول الأدوية بحجة الحفاظ على فحولته!
أشـياء كثيرة يمكن أن يكتبها كلٌّ منّا عن الأمس؛ حيث لكل واحدٍ أمسٌ رافقه طوال حياته كالقرين؛
لكن لا أحد ذهب إلى الغد وعاد إلى أمسه ليروي لنا.

9/9/2014

تدريبات شاقة ومؤقتة

لفترة طويلة كنت أستيقظ صباحاً وبهمة عالية وبصوتٍ مسموع أردد قبل أن أنهض «هيّا إلى التدريب على غيابها». أقضي طوال اليوم في التدرب على غيابها بجهدٍ عالٍ حتى أني قمتُ بتمارين صعبة سببت رضوضاً لصورتها في فخذها الأيسـر. كنت أجلس أمام الكنبة مصـمماً على حذف صـورتها من ذهني وهي تجلس في هذا المكان ببيجامتها الشتوية! عليّ ألا أتخيلها وهي تقرأ الكتاب هنا، يجب حذفها هي والكتاب الذي تقرأه.

في الطريق إلى مدرسة اللغة، أحذف مسيرك جانبي، وأنسى أننا مشينا عليه سوية. على البحيرة أيضاً، دائما اتخيل البحيرة دونك، وأمشي لوحدي. عندما أنام في فراشي احذفك من جانبي، وأنام في منتصف السرير كي لا يكون وجودك منطقياً..

طويلاً تدربتُ

حتى أصبح حضورك لا يثير انتباهي.

3 /6 /2015

تمرين لكتابة قصيدة جيدة

البارحة شربتُ نبيذاً سيئاً. أسوء من ذكرياتكم التي تحاولون إبقاءها في قبورها باستخدام العنف غير المبرر. أسوء من العجلة، ومن الدهشة في لحظة غير مناسبة. أسوء من «ندامة الكسعي» والعودة «بخفّي حنين». أسوء من مرافقة صديق في رحلةٍ طويلة؛ لتكتشف [في النهاية] أنه كان يسرقك طوال الرحلة!

لتدركوا ما أعنيه بـ «سيئ»؛

كان أسوء من المشاعر المختلطة التي تنتاب أحدكم

لأنه أحبَّ شخصاً لا يستحق حتى بصقة!

3/12/2016

تمرين للكتابة عن الريح

حاولتُ عدّة مرّاتٍ أن أكتبَ نصّــاً ولو قصــيراً عن الرّيح، لم أســتطع تقديمَ مشاعري حيالَ الرّيح بشكلٍ واضحٍ أو على الأقلّ شرح علاقتي بها.

في هذه البلاد، في شــمال البلاد، تســمع صــوت الرّيح من خلف نوافذ محكمة وبيوت محصّـنة، معزولة بالكامل ومدفّأة مركزياً؛ وكما يعلم معظمكم [إذ إنّ البعض لم تخطرْ له هذه المســألة ولم يفكّر فيها من قبل]، ليس لهبوب الرّيح مواعيدُ! فهي تهبُّ في أي وقتٍ وتختار الجهة التي تهبُّ منها وفقاً لحسـابات غير ثـابتـة، وفـاجـأتنـا جميعـاً في بعض الأحيـان، لـذلـك ســيكون من الطبيعي أن أسمع صوت الرّيح وأنا في منزلي المحصّن الدافئ، أرتدي شورتاً وقميصاً خفيفاً بنصـف كمٍّ! لا أتحدّث عن ريح الصـيف، إذ إنّ لكل فصـل أو وقتٍ ريحاً، بل عن ريح الشـتاء، حيث درجة الحرارة في الخارج ثماني تحت الصفر مثل ما هو الآن.

كيف أصـف مشـاعري المختلطة وأنا أسـمع ريح الشـتاء القاسـية والعنيفة والعنيدة بلباس صيفيٍّ!

أُصــغي فعلاً لصــوت الرّيح، لاســيما عندما أكون في فراشــي؛ في هذه الحالة يصبح صوت الرّيح شبيهاً بصوت ريح طفولتي التي لا أنساها أبداً.

رافقني صــوت الرّيح الذي عرفتُه في طفولتي طوال حياتي كأنّه أغنية، أعرفه عندما أســمعه. فأصــوات الرّيح مختلفة تبعاً للبلدان، الفصــول، درجات الحرارة، درجة التصحّر ودرجة الحنين.

أمقتُ بلاغة الحداثة والكلاسيكية كذلك! لا يمكنني أن أستخدم عبارة كهذه: «أحاور الريح» أو «تناديني الريح»، فهي تبدو معلّبة إضافة إلى فراغها من المعنى [هذه محاولة لرمي تبعات فشلي في كتابة قصيدة عن الريح على الآخرين.. مثلما تفعلون جميعاً.]
كل محاولاتي لشرح مشاعري حينما يردّني صوت الريح إلى طفولتي لم تثمر سوى بعض المعاني الشائعة أو الجمل المركّبة بطريقة تجعلها لا تمسّني إلا قليلاً.

قد يبدو لأحدكم أنّي أحاول تعقيد أمر بسيط كهذا؛ أعني أن يكتب المرءُ عن الريح! حسنٌ، أسمع الآن صوت الريح وأنا تحت غطاءٍ خفيف على سريرٍ اشتريتُه من إيكيا، وكما أخبرتكم فإن هذا الصوت يعيدني لخرائب طفولتي التي لم أتنكّر لها وتعرفني، ورغم أنّي لاجئ وفقاً لتعريف الأمم المتحدة للهاربين من الموت، لكني تحت الغطاء الخفيف لا أفكّر باحتمال خلع الريح للباب أو النافذة أو إطفاء السراج. لذلك دائماً تكون مشاعري معقّدة ولا أنجح في الإمساك بها لكتابتها.

بدلاً عن ذلك أفكّر كيف دجّنوا الريح! الريح البرّية الجامحة التي كنت أعيش معها في طفولتي! هل نأسف على ذلك أم نفكّر بواقعية ونقول: حسنٌ، هذا أمر جيد. حقيقة لا أعرف.

أفكّر بشكل جدّي هل يستطيع الأوروبي التفكير في الريح! ما هي علاقته بريحهم المُدجّنة! هل لديهم من طفولتهم ذكريات عميقة لا تمحى رافقوا فيها الريح! لا أعرف ذلك أيضاً، غير أنّي أودّ لو أسأل أحد أبنائي فيما لو كان لديه علاقة مع الريح! هل تستطيع الأجيال الجديدة بناء علاقة حميمية مع الريح!

كما ترون، الأمر أعقد من البلاغة، من الكتابة كلّها! لذلك تفشل محاولاتي لتفسير الشجن الذي أخوض فيه عندما أسمع صوت الريح وحيداً في الليل على وجه التحديد، فريح الليل في صوتها بحّة شجن! ذلك لمن يعرف كيف يميّز الأصوات المختلفة للريح.

2016/ 12/ 6

تمرين ليلي لتجاوز الأرق

لنتمرن على النسيان

نحفر حفرة للحبيب ونقع فيها بحواسنا الخمس. نترك الحاسة السادسة تمارس اليوغا على حافة الطريق، وندعو الأولياء الصالحين أن تدهسها شاحنة محملة بالبطيخ الأحمر. نستغل تجمع المارة ونخرج خلسةً من الحفرة تاركين الحواس تفكر بعمقٍ بحياتها المهدورة! ونشارك الآخرين في ردمها.
الفكرة تستحق الجهد؛ على الأقل التفكير فيها كتدريب على النسيان. أن نجرب الحياة بمعزلٍ عن حواسنا. كصورة فوتوغرافية من الخلف لرجلٍ يحمل حقيبة على ظهره ولا يسافر.

14/6/2016

تمرين صباحي على إدارة الحياة

لننتقل من الشيء الأكثر أهمية إلى الأشياء العادية. الأشياء العادية مألوفة لكل الناس، الناس العاديون يمارسون الحياة بطريقة مألوفة، وأليفة في كثيرٍ من الأحيان.. لا أعرف حقاً ما هو الشيء الأكثر أهمية!

ما هو الشـيء الأكثر أهمية من شـراء الخبز بشـكلٍ مسـتمر ومتكرر طوال الحياة، من العودة إلى المنزل في الوقت الذي تريده، من اللحاق بوسائل النقل قبل أن تغادر في موعدها، من تفقد حليب الأطفال قبل أن يغلق السوبرماركت، من تقليب دفتر الذكريات قبل النوم لدفن الذكريات الميتة وإطعام الجائعة، من تبديل ضمادات الجروح العميقة التي في حياتك ولم تشف بعد!

ما هو الشيء الأكثر أهمية من أن تزل قدمك اليسرى وتقع في الحب [مثلاً]! الأشـياء العادية والمألوفة تصـادف الناس في كل لحظات حياتهم، في كل الأماكن [أيضـاً]، تطمئن على حياتهم، وتواسـي آلامهم، وتخيط لهم جروح الخذلان، بينما الأشـياء الأكثر أهمية تنظر لحياتنا من شـرفة قصـرها كطاغية!

12/5/2015

تدريب مستمر على ارتكاب الأخطاء

أخطأتُ. أخطأتُ كثيراً. أخطئ ولا أتوب. أرتكب الخطأ عدة مرات دون قصد. أخطئ ببلاهة. أقع في الحفرة نفسـها عدة مرات. أمشـي في الطريق التي قادتني إلى الخطأ، دون يقين أنها ستفضي إلى نفس الخطأ.

عمري سـلسـلة من الأخطاء الفريدة والمتكررة. أحياناً تداهمني أخطائي قبل النوم، خصـوصـاً عندما أرتكبُ خطأً جديداً وفادحاً، لكنها لا تمنعني من النوم. أخطائي ليسـت سـيلاً جارفاً يدمر المدن ويقتلع الأشـجار، فغالباً لا يتضرر منها أحد سواي.

لا أحصي أخطائي، وغالبا أسجلها في صفحات متناثرة في الذاكرة فأنساها. أحياناً أصنع منها سلسلة تصلح عنواناً لقصيدة، أو فصلاً من مذكراتي التي لم أكتبها بعد، أو عنوان كتابٍ دون تحديد مضمونه، فجملة كهذه «سلسلة أخطاء تتدلى من العنق» تصلح عنواناً لأي جزءٍ من حياتي.

هناك أخطاء الصفحات الأولى، الأخطاء الأساسية، الأخطاء التي غيرت سيرتي، هذه لا تنسى، أرددها دائماً وأقول لو لم أخطئ هذا الخطأ لكنتُ في مكانٍ آخر ومصيرٍ آخر، لكني سأكون شخصا آخر بالنهاية!

الأخطاء جزء من حياتي. أنا شخص طبيعي. شخص ضعيف؛ لستُ نبياً ولا تمثالاً، من الطبيعي أن أخطئ.

سأظل أخطئ، الطبيعة مليئة بالأخطاء، الأنهار تخطئ، الغيوم تخطئ، المطر يخطئ، الريح تخطئ، الله يخطئ.

24/3/2014

تدريب على المسير ليلاً دون خرائط غوغل

سأمضي بأقدامٍ حافية، فليس لديَّ خيارات تكترثُ لها السجلات، أو صوت طيورٍ يمكن أن تكون الدليل.

الحرب تلتهمُ ما خبأته من الطريق، والرجفة التي تعتري جسدي تخيط الجسورَ أمامي. أعبر بلاد القيامة حيّاً بروحٍ يحركها الوهمُ، وجسدٍ مثلّم، تتساقط أشلاؤه في الطريق. علّمتُ الأماكن التي سقط عندها، والتقطت بجانبها صوراً تذكارية قبل أن تطمرها الحربُ.

في الهواء الـذي مرّ بي أطلقـتُ ســـرب مفرداتٍ مبهمـة عن الحـب، وأعطيـتُ للضـوء ما تبقى من بصـري. وها أنا أعزلُ لا يحارب أعداءه، يقوده النملُ فيما تبقى من رحلةٍ تجّعد وجهها قبل أن تلوح منازل في البعيد.

لن أصل البلاد!

والبلاد تمضي بمقدار المسافة التي أقطعها نحوها. زادي من الذكريات انتهى، وما بقي من العمر يكفي لحســـراتٍ قليلة قبل أن يســـقط جســـدي كلهُ تاركاً روحي تمضي وحيدة بأقدامٍ حافية في العتمة متجنبةً ميادين القتال.

14/5/2014

في العتمة تضحك الحواس وحيدةً

لاَ تَنْظُرْنَ إِلَيَّ لِكَوْنِي سَــوْدَاءَ، لأَنَّ الشَّــمْسَ قَدْ لَوَّحَتْنِي. بَنُو أُمِّي غَضِــبُوا عَلَيَّ.
جَعَلُونِي نَاطُورَةَ الْكُرُومِ. أَمَّا كَرْمِي فَلَمْ أَنْطُرْهُ.

سفر نشيد الأنشاد (6 :1)

فضائح للبيع بسعر الجملة

أفكر بكتابة قصيدة أفضح فيها أصدقائي، بالأسماء الثلاثية كما هي مسجلة في بطاقاتهم الشخصية! عليّ أن أدعي الجنون أولاً؛ لأتحدث عن نزواتهم، خياناتهم، كذبهم، نميمتهم، دماء الناس التي في رقاب بعضهم، وكل الأشياء السيئة التي فعلوها في حياتهم وعرفتها!

لن أحتاج أن أبهّر الحقائق التي أعرفها [مهما كانت قليلة] وأنسج منها فضائح، كما يفعل الإعلام العربي حين ينسب الأكاذيب لمصادر مطلعة؛ أعرف الكثير عن أصدقائي، رغم أنهم لا يخبروني بأسرارهم العميقة تحسباً، لكنهم أصدقائي لذلك يخبرني الآخرون بأسرارهم.

الناس ستصدقني حتى لو لفقت لهم الأكاذيب. لا أحتاج الأكاذيب؛ يكفي أن أكتب ما أعرفه عن أصدقائي، لأجعل حياتهم جحيماً يتذكره الناس. الناس يحبون تداول الأسرار، التي بلا معنى في النهاية. يصدقون الحكايا السيئة عن الآخرين حتى لو كانت أكاذيب ملفقة! ولا يصدقون بيانات توضيح الحقائق! ولا تهمهم الحقائق أصلاً. إنهم يتشوقون لرؤية الآخرين عراةً ولو برسمٍ كاريكاتوري، أو ملطخين بالوحل.

أنا لا يهمني أن أفضح الجميع، يكفي أن أفضح أصدقائي [وصديقاتي أولاً]، وأعدهم أنني لن أتداول المعلومات التي أخبروني بها بأنفسهم وإن لم تكن أسراراً.

أريد أن أكتب قصيدة طويلة دون رموزٍ أو مجازات عن الذين أحبهم فقط، لأخلصهم من عبء الأسرار التي يحملونها ويعتقدون أن أحداً لا يعرفها وتؤرق نومهم.

26/10/2016

إعلان مدفوع

مطلوب صديقة، تحب البيرة والسفر والفسحات الطويلة، تدخن الأركيلة أو السگائر ولا تمتنع عن تجربة الماريوانا. يمكن أن تنام على مقعدٍ في حديقة. أو في فندق خمس نجوم، ترتدي البكيني باعتيادية شديدة ولا تنشر صورها على فيسبوك. أو لا تبدلها أكثر من مرة في الشهر على الأقل.

لا تكتب الشعر ولا تحب الإعجابات وحبذا لو كانت مغردة، لا تكتب أي نوع من أنواع الأدب وتعرف كل فنون الجنس، ولديها علاقات سابقة. شبقة، تقدس الموبقات والملذات الشخصية. تتقبل تحرشاتي بها بتلذذ في الطريق، في البار، في المقهى، في المواصلات العامة، وحبذا لو تحرشت بي أيضا بشكلٍ مفاجئ وغير متوقع.

تسهر حتى آخر الليل، تشرب البيرة بشغف ولا تعتبرها ضرتها اللدود. وتجيد تقديم البيرة المكسيكية بحب. حين نعود من السهرة ثملين؛ تكون قادرة على إغلاق الباب لنفجر نهر الموبقات ونتذوقه موبقة موبقة.

تتقن الصمت والكلام، وتعرف اللحظة المناسبة لمدِّ يدها لشعري، أو لتقرأ وجهي بأصابعها، واللحظة المناسبة لتمد يدها لمكانٍ آخر.

تضع رأسي في حضنها عندما أكون متعباً، ودون ثرثرات لا طائل منها، تقول لي فقط: «حبيبي».

9/6/2014

مزاد علني لقانون فضل القيمة

لو كنتُ عاشقاً؛ لذهبتُ إلى محل الزهور وقلتُ للبائع أعطني أرخص وردة حمراء لأهديها لحبيبتي بمناسبة عيد العمال. لو كنتُ عاشقاً وحبيبتي

«مناضلة»؛ لذهبت معها [مجاملةً] لمهرجان خطابي لأحزاب اليسار الرخيص، وحين تصفق للخطيب الذي يشتم الإمبريالية بحماسٍ أبعصها.. ولا أصفق!
لو كنتُ عاشقاً وحبيبتي من الطبقة العاملة؛ لصنّعتُ لها عطراً خاصاً من عرق العمال والفلاحين المتراكم عبر التاريخ، تتعطر به عندما تذهبُ وحيدةً إلى المناسبات العامة! [الشاعر هنا يوظف ولدنة الحرام]. لو كنتُ عاشقاً لفتاة من الطبقة العاملة؛ لدعوتها إلى وليمة غداء دسمة بمناسبة عيد العمال، في مطعمٍ يرتاده البرجوازيون، وقلت لها هامساً:
كلي.. كلي يا حبيبتي من فائض فضل القيمة، واغسلي يديك بعد الطعام من دسم الإمبريالية!

1/5/2015

قصيدة «سأبحث عنك في كل مكان» المشهورة

إلى محمود درويش مبدئياً

سأبحث عنك!
سأظل أبحث عنك في فجوات التاريخ، وقصائد الشعراء الآخرين. سأبحث عنك في صالات الانتظار في المطارات، في عربات المترو؛ وفي محطات القطار. سأبحث عنك في الحافلات؛ وفي سيارات الأجرة غير النظامية التي يترزّق أصحابها بنقل أصحاب الدخل المحدود، وينفقون مدخراتهم القليلة في شرب العرق. سأصغي لضحكات الصبايا على أن أميّزَ ضحكتكِ. سأخرج حينما تهب الريح؛ فأنا أعرف حركة شعرك مع الريح.
سأبحث عنك في السجون؛

في المشافي؛

في المقاهي؛

في قوارب المهاجرين؛

في الأمسيات الثقافية أيضاً.

سأشتري الجرائد كل يوم؛ فربما أجد صورتك كجثة كانت ضحية اغتصاب من أحد عشاقها السابقين، أو صورة معصوبة العينين مرفقة بفضيحة.

سأحمل صورتك معي أينما ذهبت مطبوعة وعلى الهاتف المحمول، وأعرضها لشرطة المرور؛ فربما شاهدك أحدٌ منهم تمرّين حافية دون أقراط في أذنيك، أو بسيارة أحد الذين يقودون تحت تأثير الكحول، أو السرعة الزائدة.

سأفتش عنك الكتب المدرسية التي يحملها تلاميذ الثانوية، فقد أجد صورتك مخبأة مع أحد مدمني العادة السرية.

سأبحث عنك في الشاي البارد، والمراحيض العامة، وفي مراحيض النوادي الليلية أيضاً؛ فربما صادفتك تمارسين الجنس على عجلٍ مع أحد الهواة.

سأبحث عنكِ بالتحديد؛ لأنكِ كنت تكرهين الموت كي لا تتركيني وحيداً..

سأبحث عنك حتى أجدكِ

أريد أن أبصق في وجهكِ لمرة أخيرة

وإذا وجدتكِ قد متّ! سأبحث عن قبرك لأبول عليه فقط.

11/8/2015

حداد صامت لخراب الحواس

كَانَ لِسُـــلَيْمَانَ كَرْمٌ فِي بَعْلَ هَامُونَ. دَفَعَ الْكَرْمَ إِلَى نَوَاطِيرَ، كُلُّ وَاحِدٍ يُؤَدِّي عَنْ ثَمَرِهِ أَلْفًا مِنَ الْفِضَّةِ.

كَرْمِي الَّذِي لِي هُوَ أَمَامِي. الأَلْفُ لَكَ يَا سُلَيْمَانُ، وَمِئَتَانِ لِنَوَاطِيرِ الثَّمَرِ.

سفر نشيد الأنشاد (8: 11-12)

رسول الخراب

ليتني بومٌ!

أبشر بالخراب وأنظر ببلاهة إلى غد ممزق تخيطه يد مشلولة.

أطيرُ ليلاً دون أن ألفت انتباه أحد، ودون أن أعكر أحلام النائمين التي يصعب توقعها. أنظر بحيادٍ لجثث القتلى وصفوف المصلين، والخطباء الذين ينكرون وجود الله ويعترفون بكروية الأرض، والمؤمنين بقدرة أمريكا؛ التي إن أرادت شيئاً تقول له كن، فيخر لها ساجداً يطلب الغفران على ذنوبٍ لم يرتكبها.

ليتني بوم

أنام في النهار حيث يصحو الناسُ ويبدأون عملهم بزراعة الخراب وسقايته بدمٍ باردٍ [أو ساخنٍ]، وأصحو ليلاً حين يستريح المحاربون من القتل، وتنام ضمائرهم براحةٍ تامة على بسطٍ نسجتها نساؤهم من كلام تساقط من أفواه الخطباء، دون أن يزعجها ضجيج الندم.

بومٌ؛

يحبه الفلاحون المتعبون، حيث يساعدهم في تنظيف الأرض من الحشرات التي تأكل تعبهم، ويكرهه باعة الأوهام، مضاربو البورصات، العاطلون، الناطرون بريد الحظ بعرباتٍ تجرها خيول عمياء؛ قادماً من السماء.

يدرب أولاده على تنمية الانتباه ورؤية الطريق في الليل، والطيران بصمتٍ، وسماع صوت الموسيقى الخافتة داخل الفريسة. يعلمهم الحكمةَ الضالة، التي تتسكع في الشوارع ليلاً [وحيدةً] دون أن تجد صديق، وقوانينَ الصيد، التي تنص صراحة على اصطياد قوت يومهم دون زيادةٍ، وبمقدار طعام سيدة

مصــابة بداء الريجيم، ويحذرهم من قتل النفس طلباً لمتعة أو ثوابٍ أو أجرٍ، ومن المتاجرة بذوات الأرواح..

ليتني بوم!

لا أبني منزلاً، ولا أفكر بمُلكٍ؛

لا أخوض الحروب دفاعاً عن العرش، ولا أفجر نفسي بشاحنة محملة بشهواتٍ غائبة عن الوعي تقتل الناس والأمكنة، حالماً بجنة تسبح فيها حور العين عرايا..

ليتني هذا البوم،

ولا يضيرني حينها أن يعيّرني القتلة والمجرمون بأني رسول الخراب.

17/8/2014

البلاد التي ماتت إثر مرضٍ عضال

لنصلي صلاة الغائب على هذي البلاد التي تسمى سوريا، ندفنها دون كفنٍ كبلدٍ شهيد. نقيم لها عزاءً عاجلاً بمن حضر، دون أن نلصق أيّ نعوةٍ على جدران العالم. لنبك بحرقةٍ وطناً على ورق؛ كان دائماً على فراش الموت كافتراضٍ عجوز، وزع تركة اليتم بيننا بالتساوي ومات أخيراً!

سوريا العمياء

سوريا الكسيحة

سوريا المتسولة

التي تدعو الله بكلماتٍ رتيبة وخالية من الأحاسيس، أن يحفظ من يعطيها ثمن الدواء لأبنائها. التي ضاجعها الغرباء وباعة الشعارات المتجولون. التي

ظلت لزمنٍ طويل تأكل على مزابل الطغاة. التي نامت في العراء طويلاً. التي اشتغلت «بخبز بطنها» في بناء السجون لأبنائها. البلاد التي كانت تسمى سوريا ماتت أخيراً غير مأسوف على شبابها؛ فتبعثرنا في جهات الأرضِ كأرواحٍ محنطة فاقدة الذاكرة.

لنعزي أنفسنا بصمتٍ، دون حداد

ونبكي دون أن يرانا أحد

إذ لا يمكننا التبرؤ منها رغم كل شيء

فهذي البلاد التي ماتت وتسمى سوريا نحن أبناؤها.

27/12/2015

محاولة فاشلة لكتابة قصيدة للأطفال

لو كان لدي القدرة، لو كنت شاعراً كما أدّعي؛ لكتبت لأطفال سوريا قصائد عن الحرب؛ قصـــائد تجعل الحرب كرة قدم من الجوارب العتيقة، أو آلة موســيقية يعبثون بها ويخربونها. قصـــائد تتحول إلى حائطٍ يختبئ خلفه الأطفال وهم يلعبون «الغميضـــة» مع الحرب. قصـــائد ترافقهم في رحلاتهم المدرسية، تنظف الطرق أمامهم من آثار الحرب. قصائد تكبرُ معهم وتعلمهم كل يوم كراهية الحرب.

15/4/2015

زيارة عابرة

وصلنا إلى جنيف

الشوارع مليئة بالمناديل الورقية المبقعة باللون الأحمر

حيث يجفف القتلة أياديهم من دماء الضحايا

قبل أن يدخلوا إلى قاعات التفاوض لصنع السلام.

13/8/2016

الإسكندرية.. حاسة الشوق التي لا تنام

لَقَدْ شَبَّهْتُكِ يَا حَبِيبَتِي بِفَرَسٍ فِي مَرْكَبَاتِ فِرْعَوْنَ.

سفر نشيد الأنشاد (1:9)

وداعاً إسكندريتي

انت لا تفارق امرأة؛ قد ترتبط بغيرها بعد قليل من الزمن والنسيان، ولا تفارق عاشقة؛ قد تصادف أخرى تعيدك إلى سيرة العاشقات في الشعر القديم، أنت تفارق الإسكندرية؛ التي تشبه كل المدن التي تحبها ولا تشبه حتى نفسها.

أفهم كافافي جيدًا الآن، وداعه العميق والمضني لك. أيتها الإسكندرية؛ التي تشرب ماء الخلود كما يدخن الناس السكائر، وكما يحتسي الغرباء البيرة في حاناتك.

ها أنا أغادر الإسكندرية؛ حيث الزمن هرماً وبوجه مليءٍ بالبثور. أتركها محاصرة بالبحر، والعشوائيات والفوضى و23 يوليو و25 يناير، المتسولين، العشاق القدامى الذين يبحثون عن الذكريات، العشاق الجدد وهم ينحتون ذكرياتهم، باعة الأشياء المقلدة، مرتدي الماركات العالمية، وجامعي العلب الفارغة.

أودع بحرك، وأناسك الذين لفرط خفتهم لا تشعر بوجودهم. الأيام التي سقطت من العمر أمامي في شوارعك، مقاهيك وحاناتك. الضحكات الصاخبة في «سبيت فاير» والسهرات المتأخرة في «الشيخ علي». أودع «التجارية» ذات القهوة الرديئة والشاي البارد، وأترك التاريخ معلقاً على جدران «أثينيوس» يلهو مع نفسه، منشغلاً عنه بمراقبة البحر والمارة. أودع «البوابين» وناسها الذين سندوا روحي الهائمة وأجلسوها على الرصيف.

هذا فراق أبدي. سأتصرف كعاشق يودع حباً طويلاً ببطءٍ في محطة أو مطار. سأذرف الدموع مثل أي شخصٍ ابتلي بالحب وأصيب بالفراق.

سـأمشـي في شـوارعك ببطء وسـأبكي بحرقة شـديدة ولن أخف دموعي عن المارة. وكما عادتهم، كما هم دائماً، كما يفعلون منذ أول الأبد سـيتعاطفون معي، وسـيذرف بعضـهم دمعاً عليّ. دون أن يعرفوا أن هذا الغريب يبكي فراقهم.

سـأركب في سيارات الأجرة وأتشاجر مع السائقين للمرة الأخيرة معتمداً على صبرهم الذي لا ينفذ حيال السفهاء والغرباء.

سـأقول لهم «أنا سـوري للأسـف» كما كنت أقول قبل أفول الطاغية. وسـيدهشـون كما في كل مرة، ويتحدثون عن سـوريا الجميلة وطبخ الشـوام اللذيذ ونسـائهم الصارخات الجمال. وسـأسـمعهم بحبور شـديد؛ كعاشـق للموسيقى يسمع سمفونية يحبها، وهم يعيدون جملتهم المتكررة للمرة الألف «إحنا بلد وحدة... انتم الإقليم الشـمالي». يقول ذلك حتى من يشـتم عبد الناصر ويعتبره نقطة الخراب الأولى.

سـأذهب إلى أحد مطاعمك، وأطلب كل أنواع الطعام التي لم أحبها يوماً، وأجبر نفسي على الأكل، وبحب شديد أتلو اكتشافي العلمي «المصريون عموماً لا يجيدون الطبخ».

سـأذهب لمرة أخيرة إلى النوادي اليونانية الثلاثة، آكل من سـلطتهم الشـهيرة، وأشـرب الأوزو الذي لا أحبه. أودع «مانولي» كمن يودع صـديق عمره وأودع «أليكو» كواحد من أهلي.

وللمرة الأولى سـأطلب من أي صـديقة سَـكَندرية تفهم حجم هذا الفراق، أن تحضـنني وأنا أبكي بشـدة. سـتقول لي محاولة الخروج من الموقف «خلاص يا ابني حترجع.. حتروح تورا بورا!».

بحرقة شديدة سأودع الأشخاص الذين لم أحبهم يوماً، ولن أحبهم خارج هذه اللحظة. لن أعتذر منهم، ولن أندم على عدم محبتي لهم، لكنهم جزء من الإسكندرية وذاكرتي.

سأذهب إلى عبد الله الريامي، أحد ملامح الإسكندرية التي لا يعرفها أحد. سأنام عنده في «بلو ريفيرا» الذي يسكنه منذ سنين، وكأنه ما بُني إلا لصون عزلته. سنشرب على الشرفة، وأطل على بحر الإسكندرية الطويل وأبكي، كمن سيسافر في سفينة من هذا المكان.

في اليوم الأخير سأعطي كل متسولٍ أصادفه جنيها واحداً، كما لم أفعل يوماً، وسأشتري من الباعة الجائلين أشياء لا تلزمني. لن أشتري أي تذكارٍ، ولن أحمل معي من المدينة سوى ملابسي. سأتبرع بكتبي «للكبينة» ولن أكتب حتى اسمي عليها.

ولمرة واحدة سأقرأ شعري في أمسية عامة، سأقرأ نصي هذا وأنا أبكي وسيبكي أصدقائي جميعاً، مدهوشين من حجم حبي للإسكندرية وأنا الذي لم أكف يوماً عن شتمها أمامهم.

سأخبرهم أنني كنت أقول لأصدقائي المصريين «أنا إسكندراني» وأضيف بصلفٍ ووقاحة «ولم أحب القاهرة يوماً».

سأرجوهم أن يذكروني بسطر واحد لا أكثر؛ حين يذكرون الشعراء الذين سكنوها. وأطلب منهم برجاء حار أن يضيفوا اسمي إلى لائحة «شعراء الإسكندرية». ولن أمنع نفسي من النحيب بصوتٍ عالٍ؛ ففراق الإسكندرية للأبد يحدث مرة واحدة في العمر. وعلينا أن نعطيه كل ما يستحق من الأهمية.

أنت تفارق الإسكندرية؛ وليس أية مدينة أخرى. كل من فارقها بكى وكأنه يفارق الحياة كلها. أنت تفارق المدينة التي أحبتك دون ثرثرة، دون أن تدّعي

شـيئا، دون أن تقول لك «أنا أجمل المدن». لم تسـتخدم أمامك عراقتها، كما يسـتخدم الجنود بطاقاتهم العسـكرية؛ للحصـول على تخفيض في وسـائل النقل العامة.

تفارق الإسـكندرية دون أن تحبك إحدى نسـائها! يجدر بك أن تبكي كمن أضاع مفتاح الجنة.

امش في ساعة متأخرة من الليل وانظر إلى الندم معلقاً على الجدران كأشجار اللبلاب. دقق في خفوت المدينة في صـوتها الذي يأتي من بئر عميق. قف على البحر أمام تمثال سـعد زغلول استنشـق الهواء مخلوطاً بالحكمة، والتفت للإسـكندرية، افتح ذراعيك واحضنها. لا تأبه لمن ينظر إليك بغرابة شـديدة، فقد مر على هذه المدينة مجانين كثر.

املأ صـدرك من روائح الإسـكندرية، وعينيك من ألوانها الصـاخبة والداكنة، وقلبك بالبشر الذين يملؤون الشوارع بالحياة المتمهلة.

قف على أية ناصية في الإسـكندرية؛ تأمل السحنات، والهموم التي توحد وقع الأقدام ليصـبح نشـيداً خافتاً خارجاً من رُقم قديم، العذوبة الرطبة التي تمشـي كأنها عائدة من موعد غرامي، الرواية التي تُكتب في كل زاوية وحارة كملحمة لا يعرف لغتها أحد، الذكريات التي ترقص في الشـوارع، الدموع التي تأتي على شـكل كلمات اعتذار، البسـاطة التي تمجد الثراء، الوحي الذي يلهم الناس السخرية...

تأمل الدفء الخفيف في الابتسـامات المختلقة، الشـسـاعة على أصـولها، والرحابة اللينة بصوتها الخافت.

لا تكن سـمجاً ورديئاً وتتغزل بها كصـبية جميلة، الاسـكندرية مدينة. قل إنك أحببت شـوارعها، حجارتها، عماراتها، قلعتها التي كأنها بنيت لاستقبال حبيبة وليس لصـد الأعداء، هواءها الذي سـبب لك الربو، هدوءها في الشـتاء الذي

يشبه كسل الأميرات في عصور غابرة، «نوّاتها» التي تحب أن تراقبها من شباك غرفتك، صخبها وزحامها في الصيف، العفونة التي تصيب الخضروات إذا تأخرت بأكلها، باعة الذرة والترمس على الكورنيش..

وأنت تمشي على كورنيشها الطويل افتح لها خزائن أسرارك، حدثها عن خيباتك وعمرك الذي يمضي مسفوحاً في «الطريق إلى أين».

11/7/2013

ما يقوله رجل فارق الاسكندرية

كان يجب أن تختبئ بين شقوق مصدّات الأمواج على شاطئها كعملة معدنية صغيرة لا يأبه لفقدانها أحد. أن تأخذ دور موجة تكسرت على الشاطئ. أو تدعي أنك بلاطة على رصيف الكورنيش. كان يمكنك أن تدعي الموت كي تدفن هناك..

كان يجب أن تفعل أي شيء كي لا تغادر الإسكندرية

26/5/2014

في إيضاح معنى الإسكندرية

قف على شاطئ الاسكندرية حاول التعرف على الجهات. ستجد أن هناك جهة واحدة، جهة المغادرين إلى حيث لا يوجد إسكندرية.

أيّ عتم ينتظر هؤلاء المساكين.

26/5/2014

ما يحدث عندما تتذكر الإسكندرية

يمكن أن تردد بسذاجة مع سيدة الغناء «على بلد المحبوب ودّيني..» أو تعصر الشوق كخرقة بالية وتغني منفرداً «يا مسافر على بحر النيل أنا ليّا في مصر خليل». يمكنك أن تقيس المسافة بينك وبينها بالشبر، تغمض عينيك وتتخيل عمرك غباراً والريح تتجه نحو الإسكندرية.

يمكنك أيضاً أن تكتب أشياء هامشية، وتعلمها السباحة في النيل! لتدرك ما أعني، تقمص دور ممثل هاوٍ لكنه جاد؛ تخيل نفسك على مسرح محمد علي بالإسكندرية تردد «قصر عابدين»! رددها عدة مرات بترنيم ممثل محترف.. ستدرك دون شرح مفردات أن التاريخ يجيد السباحة في نهر الزمن الذي لا يتوقف عن البكاء. ستدرك العذوبة التي تركتها الإسكندرية تحت لسانك كلما ذُكر اسمها.

اكتب عن المطر هناك، تذكر صوته، حينما كنت تقف على شباك وحدتكَ تسمعه بشغفٍ، غير مبالٍ بأيامك التي تركض عاريةً تحته! عن بائع الفول الذي يقف أمام بيتك، وكنت تنزل له 'السَبَتْ' من الطابق الثاني باعتيادية شخص عثر على نفسه طفلاً في هذي البلاد. يمكنك أن تكتب بشكل حميمي عن «محطة مصر»، دون أن تضع في اعتبارك إقناع المسافرين، عن الأثر الذي كتبته بحبرٍ جاف على الجدران التي لم تتهدم من عمرك، عن القطار الذي ينقلك بمودةٍ إلى

مصر

حيث لكل عابرٍ حصةً من العيد.

16-5-2016

عن الذي ضيع المفاتيح

لا أريد أن أدوس النمل، ولا تذكر أحداً من أسلافي. أمشي على شاطئ الإسكندرية، فوق الحائط الذي جعلوه مصدّاً للأمواج، تلك التي تأتي من أماكن بعيدة لتنتحر هنا. أنظرُ بحرصٍ للأيام التي سقطت من عابرين؛ لألفة تركها صديقان جاءا من أماكن بعيدة [لا يهم ذكرها]. أتفحص حبّاً جففته الشمس. أتعثر به في أكثر من مكانٍ جلس فيه رجل وامرأة.

أشعر دائما أن شيئاً ما سقط مني. أنفصلُ عني. [وهي لعبة غير إرادية أمارسها قسراً] أرقب حياتي. أقرأها كمن يقرأ سيرة روائية لشخص ما.

في أحيانٍ أخرى؛ أجلس [وأنا أمشي] في السينما
كمشاهد وحيد
لفيلم عن حياته

رغم أن الممثل يشبهني تماماً؛ لكن شعوراً مبهماً بأني رأيت هذا الشخص من قبل لم ينتبني، ولم أتوهم أبداً أني التقيته صدفة ذات يوم..

أتابع حياةً غائمة كرسم انطباعي
ذكرياتٍ ممحية
أياماً لم تترك أثراً
شخوصاً أعرفهم ولا يعرفونني
ينظرون ببرود شديد إليّ كمتطفل يصغي إلى حوار حميمي بين اثنين [أو حتى أكثر]!
عندما أصل البيت
أترك ذاك الذي انفصل عني خارجاً
لا أشعر بذنبٍ أو تأنيب ضمير

أفتش عن الحياة التي حلمنا بها، وأعلم أنها ضـــاعت منذ زمن لا أعرف متى، ليس لدي أمل بالعثور عليها، ولم يعد اليأس يعني لي أي شـيء أيضـاً.. وهكذا يستمر الفيلم لأن كاتباً كالموت

لم يستدل إليّ

وليس لدي رغبة بالذهاب إليه بنفسي.

20/1/2010

يُقالُ أعمى: الديوان الأندلسي وقصائد إيلينا

Called Blind: The Andalusian Diwan and Elena's Poems

2024

كُتبتْ نصوص هذه الديوان بين عامي 2019 - 2023 في جزر الكناري ومدن الأندلس؛ مالقا، قرطبة، غرناطة، ألمريّه؛ إضافة إلى الإسكندرية والرياض ومسقط.

شمسٌ أندلسية تغنّي للغجر

أغنيةٌ غجرية في ساعة متأخرة من الليل

في مالقا؛ أسكن في حيٍ للغجر؛ نتبادل التحايا ونسأل عن «الحال» باعتيادية شديدة. في الشتاء يجلسون في الشمس أمام البيوت يجففون أحلام الأمس وفي الصيف يجلسون في ظلال بيوتهم يتذكرون البلاد التي نسيتهم.
يتحدثون بأصوات عالية لتسمعهم الأشجار وينشرون غسيلهم على الحبال. يدخنون التبغ بشراهة كأن لهم ثأراً قديماً مع الدنيا ويلعب أطفالهم في الشوارع والساحات لساعات متأخرة دون خشية من الليل..
يمكن لي أن أصف حياة الغجر؛ على الأقل كما تبدو من الخارج؛ وأقول: إنهم يشبهوننا؛ كأنهم قادمون من الشرق قبل قليل! حتى إني أشعر أنهم فلاحون من ميزوبوتاميا قذف بهم البحر أو البرُ هنا قبل نهاية الرحلة! لكن هناك شيءٌ ما مختلف؛ ألاحظه دائماً؛ لا أعرفه تماماً ولا أراه بوضوح؛ إذ إننا نبدو [أنا على الأقل] كأخطاء تائهة تمشي على مهلٍ بينما يبدون كأغنيات أو طيور.

2 \ 10 \ 2020

• يطلق على الغجر في الأندلس الخيتانوس Los gitanos أو رومانيس Romaníes أو كالي Calé كما يطلق عليهم جبسي Gypsy ذلك أنه في القرن الخامس عشر اعُتقد أو زعموا أنهم جاؤوا من مصر. يتكونون من خمس جماعات رئيسية تعتبرهم الثقافة الإسبانية شعب أو مجموعة عرقية تعود أصولها إلى شبه القارة الهندية، ولديهم تراث لغوي ثقافي مشترك من أصل هندي آري ويقدر عددهم بمليون نسمة في إسبانيا. هناك يوم عالمي للغجر يحتفل به في 8 أبريل | نيسان كل عام.

شمعةٌ تبكي وتوقد الليل

أغاني الغجر حزينة. عندما يغني الغجري تشعر أن صوته يقطر دماً من طعنة غادرة. يغني كأنه يهيل التراب على نفسه؛
الكلمات عشب يابس من الشمس
واللحن جرح عميق في أسفل العنق لم يندمل
الغجر يطوون الأرض ويضعونها في حقائب أصواتهم. يمزقون السماء كما تمزق قطعة قماش بالية لتمسح بها غبار الحياة.
هؤلاء الغجر الذين في الأندلس، ويغنون أغنيات حزينة لا أفهم كلماتها، يبدو أنهم يعرفون ماذا تعني الروح، المفردة التي رفض الله تفسيرها؛
فعندما يغني الغجري؛ كأنه بخنجره المصقول واللامع بالألم، يزيل الدم اليابس عن جرح خلفته الأيام في الروح.

8 \ 10 \ 2020

عالمٌ يغني تهويداتٍ خضراء

في آخر الليل، حين يعزف جيراني الغجر موسيقاهم؛ أو حين يغني؛ على نافذة مفتوحة جار ثمل غناءً حزيناً؛ يشبه المواويل الفراتية، يغيب من حولي المكان
أعود طفلاً
يركض في برارٍ خضراء شاسعة ملونة بالورد
يعود العالم إلى طبيعته
واسعاً لا يُدرك
دون حدودٍ بين البشر.

01 \ 11 \ 2020

أغنيةٌ ضائعة

في حانةٍ صـــغيرةٍ في قَصَـــبة مالقا، أجلسُ وحيداً أتأمل الزمن في نظرات رواد الحانة، بينما يشربون كؤوس البيرة بشغفِ من وجدَ بئر ماءٍ في التيه.

عادة تختلط الأماكن والوجوه والدنيا فأضيع في زمن قديم أو في دروب فقدتْ ملامحها.

فجأة أصحو على أغنية غجرية تنبعث من قادمٍ ثمل إلى الحانة فأفتش في جيبي لأني أشعر أن هذه الأغنية سقطت مني والتقطها هذا الرجل الثمل.

10 \ 11 \ 2020

- **القصـبة:** الحي القديم في مدينة مالقا، وهي أحد المدن الرئيسـية للأندلس على البحر الأبيض المتوسط. بالإسبانية Málaga اسم المدينة و Alcazaba اسم الحي.

أولئك الذين يرقصون الفلامينكو

في الأندلس أحببت المولى ســين. أول إله يرقص في الســماء على تراتيل عباده الحزانى في المعابد. وجدته هنا يرقص مبتهجاً مع الناس لا يهم بأي لغة يرقص أو يغني أو حدود معجزاته.
في أندلس القرن الحادي والعشــرين أدركتُ أن ســلالة الحزن يمكن أن تكون من الســكان الأصــليين للبلاد وأن ســلالة راقصــي الفلامينكو يمكن أن تكون نهراً من الدموع!
هنا يمكن لك، دون أن تكون إلهاً، أن تنثر أغنية يتيمة تلبس ثياباً حزينة وممزقة ليرقص عليها الأندلسيون بفرحٍ دون أن يعرفوا كلماتها!

01 \ 01 \ 2021

- قدم الأندلسي بلاس إنفانتي (1885- 1936) الذي يعتبر الأب المؤسس للقومية والهوية الأندلسية، التي يربطها بالفترة العربية الإسلامية في الأندلس، تفسيرا لأصل كلمة وغناء الفلامنكو [بالإسبانية: **Flamenco**] بإعادتها للجذر العربي (فلاح منكوب)، ورأى أن أصل هذا الغناء يعود إلى الأنـدلســيين الـذين بقوا في الأنـدلس بعـد قرار الترحيـل، يترحلون هـاربين ويغنون أحزانهم وهم يرقصون

.

أشبيلية بعيون صوفيْ

حينما قررتْ صوفي أن تزور أشبيلية التي يسميها الإسبان سيفيّا، كنتُ مكتئباً، كنت أعدُّ النجوم من نافذة غرفتي لأغفو، أراجع تاريخ أجدادي السومريين وأتلو على مقام النسيان أغنية بصوت إنهيدوانا لأتعلم نسيان الإعراب والحزن، كنت ميتاً لا يريد الاعتراف بذلك. ذهبت صوفي لوحدها إلى إشبيلية.

كنت أمشي قريباً من دوار Los Hermanos حينما شعرتُ أن كائناً خفيّاً، كقصيدة هاربة من كتاب التساؤلات لنيرودا، تعلق برقبتي وصار محمولاً على ظهري. خطر في بالي أن ذلك من أعمال الجن والهلوسات، فأينما استدرت يبقى التساؤل معلقاً برقبتي ومحمولا على ظهري. لمست يديّ التساؤل، فعرفت أنها صوفي.

بعد أن نزل السؤال عن ظهري، قلت لها بشغف لا تعكسه الإنكليزية: كيف رأيت أشبيلية؟

قالت إنها مدينة عظيمة، لكنها لم تشعر أنها Home كـ مالقا. أضافت بعد نظرة مخاتلة: ربما لأنك في مالقا ولستَ في أشبيلية.

في ذلك الحي الغجري حيث يعيش السكان وفق قوانين قلَّمتها الحضارة الغربية، حضنّا بعضنا كعاشِقَين من زمن اندثر.

04 \ 04 \ 2021

- **إنهيدوانا** (2285-2250 ق م): وتلفظ إنخيدوانا أيضا، تعتبر أقدم شاعرة ومؤلفة معروفة في تاريخ العالم، حيث تظهرها عددٌ من الأعمال في الأدب السومري، مثل تمجيد إنانا، باعتبارها الراوية بضمير المتكلم، وأعمال أخرى، مثل ترانيم المعبد السومري نسبت لها كمؤلف. وهي إلى ذلك ابنة سرجون الأكدي مؤسس الدولة الأكدية. معنى اسمها الكاهنة الأعلى للإله سين، الإله القمر.
- **Los Hermanos**: بالعربية الأخوين.
- **Home**: تعني بالإنكليزية الوطن أو البيت بصفته مؤلاً للشخص وتختلف عن مفردة منزل House الدالة على المسكن.

شمسٌ تائهةٌ تَدُلُّكَ الطريقَ

صباحاتٌ من أصلٍ واحد

الصباح في الأندلس يشبه الصباح في بلادنا. أقصد بالتحديد؛ الشمس الواضحة، التي تخلق لك ظلاً من العدم
ليرافقك كصديق.

01 \ 05 \ 2021

بلادٌ جارحة

الأندلس بلاد جميلة. أغنية مبهجة يعلقها الزمن على جيده بينما يرقص مع الغجر التائهين. بلادٌ تجد فيها الأغاني المهاجرة وطناً بديلاً، تشرق فيه الشمس بشكل معتاد دون قناع أو ملابس تنكرية. هنا لا تصادف العنصرية، التي تتكاثر في الطقس البارد والبلاد التي نَسيتْ فيها الشمس عيد ميلادها وملامحها..
الأندلس بلاد جارحة
لأنها توقظ الذكريات التي ضيّعت الجهات.

18 \ 11 \ 2021

توسلاتٌ لشوقٍ لم يتعلم الرحمة

أجلسُ على شاطئٍ أندلسي؛
على صخور تشبه تلك التي جلستُ عليها طويلاً في الإسكندرية، على الضفة الأخرى من المتوسط، تنتابني المشاعر ذاتها؛ رغم اختلاف لغة المارة وأقنعتهم.
المشاعر تتحدث معي باللغة نفسها؛ لغة لا تجيد غيرها؛ أفهمها ولا أستطيع نطقها.

هنا على شاطئٍ أندلسي أجلس؛
متوسلاً لشوق غامض لا يؤدي إلى جهة أو بلاد أو شخوص أن يتركني بحالي ويغادر.

21 \ 11 \ 2021

رجلٌ يمشي مع ظله على شاطئ أندلسي

فقدتُ ذكرياتي عن البلاد التي كانت تسمى سوريا! غرقت على الأرجح حينما عبرنا البحر بالقارب المطاطي من أزمير التركية إلى ميتيليني عاصمة جزيرة ليسبوس اليونانية، وكدنا أن نغرق.
عندما أمشي على الشاطئ، وتنتابني الذكريات كنوبات الحمّى، أفتش في ذاكرتي عن تلك البلاد؛
عن الأماكن، الوجوه، الحوادث، القصص، الأفعال، الأصدقاء.. فلا أجد لها أثراً!
أجد الإسكندرية وحياتي التي تركتها هناك أمانة مع الأصدقاء على مقهى البوابين حتى أعود، ويدْعونها ليلاً لتشرب معهم البيرة في سبيت فاير أو الشيخ علي.

فقدنا في رحلة العبور إلى بلاد الظلام التي تسميها كتب الجغرافيا السويد،
أشياء كثيرة؛
هناك من فقد حياته في البحر
بينما أنا نجوت
لكن ذكرياتي غرقت.

شخص ما أدركته الطفولة في ألمريّه

في براري واسعة وخالية من الناس كأنها رسمت بناء على ذكريات الطفولة، أرعى أغنام مخيلتي. أتركها تقودني حيث تشاء، لا أنصِّب نفسي قائداً لها، كما يفعل الرعاة المحترفون.
أمشي على تلال ألمريّه، أفتح عينيّ كمن ينظر في وجه حبيبهِ؛ المساء ذاته! كأنه أحد المساءات التي نسيتها في البلاد؛
النباتات البرية، الهواء الليّن، الغيم العابر الذي بلا أمنيات، الشمس التي تتوارى ببطءٍ خلف التلال كطفل يتيم؛ العتمة التي تتسلل بكسل أميرة، حتى أجراس المراييع التي تنشر [دون حاجة للكلمات] خبر عودة الرعاة وأغنامهم إلى البيوت، أكاد أسمعها. كل شيء يجري ببساطة كأنه تسجيل وثائقي اكتشفته صدفة عن المساء الذي كان صديقي أيام الطفولة..
هنا في ألمريّه؛ يأتي المساء الذي أعرفه بحذافيره، لكن شيئاً ما يأتي مختلفاً. ربما قصدتُ شيئاً بسيطاً لكن التعبير خانني، أو ربما أعني شيئاً هامشياً لرجلٍ استهلك خمسين عاماً من عمره، فقد أعتمتْ العين وتأخرتُ عن البيت ولم تتفقدني أمي أو ترسل أحداً للبحث عني.

- **ألمريّة:** إحدى مدن الأندلس الرئيسية. بالإسبانية Almería

الشجرة التي نسيتْ اسمها

أمر بأشجار النخيل يومياً على شاطئ مالقا في Parque de Ejercicios del Paseo Marítimo. بينها أشجار معمرة، ويبدو أنها هرمت وهي تنظر للضفة الأخرى من المتوسط حيث عاش أجدادها.

أتوقف عندها دوما في طريق عودتي من مدرسة اللغة الإسبانية، فليس من اللائق أن تمر بشخص تعرفه وتتجاهله في الغربة.

وبينما الأندلسيون [وربما السياح] يمارسون الرياضة، نتحدث في شؤون الدنيا؛ كالغربة، والجذور والاستقامة والحنين.

قالت لي شجرةٌ شابة مرة «لا أشعر بالحنين، ولدت هنا، ولا أدري شيئاً عن أي أرض أُخرى». قالت لي أمها «كما ترى أيها الغريب، عليك أن تحتفظ بذكريات التراب الذي جئتَ منه، تحولها لحكايات تروى وإلا ستفقد حنينك للبلاد والناس، وسيفقد من يأتي بعدك صورة البلاد مثل ابنتي».

- **Parque de Ejercicios del Paseo Marítimo**: بالعربية حديقة باسيو ماريتيمو للتمرين. وتقع بين كورنيش مالقا والبحر.

وصيةٌ بقلم رصاص

يا ألله
إن كنتَ موجوداً وحيّاً وتســمعني: أريد قبراً في مقبرة أهلي، بجوار أبي وإخوتي وأمي. إن لم تستطع ذلك يا ألله؛ وأنا أقدر الحجج المنطقية؛
أريد قبراً في الأندلس
في أي بقعة خالية
يسمح فيها دفن الغرباء.

برقية شكرٍ لزمنٍ قديم

على الســاحل الأندلســي الذي نزل إليه الفاتحون والغجر وتجار البهارات، أفكر بعمق شديد باللاشيء. أسمع أغنية مرسيدس سوسا «شكراً للحياة»، وأردد خلفها لتعلم الإسبانية هذه المرة!
على هذا الســاحل، تجد ذكرياتٍ كثيرة تركها العرب، تحكي رحلتهم في الحياة وتغني شكرها لهذي البلاد؛ لأنها منحتهم زمناً طويلاً
ليعيشوا فيها.

• **مرسيدس سوسا** (1935- 2009): بالإسبانية [Haydée Mercedes Sosa] مغنية أرجنتينية تحظى بشعبية كبيرة في جميع أنحاء أمريكا اللاتينية والعديد من البلدان خارجها. حصلت على العديد من الجوائز المرموقة. أعادت صياغة الأغنية الشعبية اللاتينية وأسست حركة كتاب الأغنية الجديدة وصارت من أهم دعاة الأغنية اللاتينية الجديدة. اسم الأغنية بالإسبانية [Gracias a la vida].

أغنيةٌ سومرية لتنام صوفي دون أحلام

... بينما أسمع المولِيّا، على سفح قلعة جبر الفارو، وأنظر للشمس وهي تغرق ببطء؛ تأتي صوفي دهشةً ارتسمت سهواً على وجه طفل رأى البحر لأول مرة. تمشي بخفة كي لا تجرح صلاة الغريب.

«هل الزمن جرس؟» تسألُ، وهي تضع كفها الصغيرة في يدي المفتوحة.

«الزمن! سلسلة متصلة من العثرات، أو ربما سلسلة مبعثرة من الفقد».

الأغنية جرح متوارث لم يُشفَ. الأغنية محاولةُ انتقام من جرائم الزمن التي يرتكبها وهو يخوض حروبه مع الناس. الأغنية...

إذا نظرتِ في عينيّ

سترين في إحداهما بشراً بألوان متعددة، من أزمنة مختلفة، يحصدون القمح دون مناجل، يغنون أغنية قديمة وُجدتْ مكتوبة على لوح سومري دفنته الريح لينجو من جيوش الزمان.

وفي العين الأخرى ستجدين قصيدة كتبتها لك إنهيدوانا كتعويذة لتنامي على الحد الفاصل بين الدنيا والسراب فلا تكدرك الأوهام.

18 \ 3 \ 2021

أن تمضي في طرقٍ وعرة دون حياتك

كنا نمشي أنا وحياتي في الدروب، كانت تتبعني كظلي، نتسوق الخضار ونقرأ الكتب، نتبادل رواية الحوادث الساخرة التي مرت بنا ونضحك. لم نكن نفترق، حتى إننا كنا ننام في نفس الفراش ونحلم ذات الأحلام. نسافر إلى مدن جديدة لنخلق الذكريات؛ نزور الأماكن الأثرية ونكتب أسماءنا معاً على جدران هزمتِ الزمن، نلتقي الأصدقاء معاً ونتجاهل الأعداء معاً.

... لكن حين عبرنا بحر إيجة في القارب المطاطي نحو جزيرة ليسبوس لنصبح لاجئين، وقفت حياتي على الشاطئ، رفضت المغادرة، خائفة من الغرق ورافضة اللجوء. تركتني وحدي أعبر البحر، ومنذ ذلك الحين لم أعد أعرف عنها شيئاً.

ها أنا في الذكرى الثامنة للعبور، أقف وحيداً أعلى قلعة جبر الفارو في مالقا، أنظر للمدينة من علوٍ شاهق، أرى الميناء، الذي وصل إليه الفينيقيون، وبنوا المدينة، تركوها تعيش دونهم بعد أن غادروا الحياة. جاء اليونان والرومان والعرب عبر هذا الميناء أيضاً، دفنوا حيواتهم في المدينة ورحلوا إلى أماكن أخرى دونها. أرى حلبة مصارعة الثيرانPlaza de Toros de La Malagueta حيث ينهي الـ Matador de Toros حياة الثور ويحوله طعاماً لبشرٍ يعيشون حياتهم بشكل طبيعي دون إحساس بذنب لفقد الثور حياته.

أنحدرُ نحو القصبة التي بناها العرب ليأتيها السياح من كل مكان ويخلقون ذكريات حياتهم بصور ملونة.

وحدي أمشي في الأندلس دون حياتي
التي بقيت على شاطئ بحر إيجة
وتركتني أعيش وحيداً
ألقي اللوم عليها بينما أدندن أغنية إسبانية
لو عبرتْ معي!
لأحبتْ هذي البلاد
ودونّا معاً ذكرياتنا مثل هؤلاء السياح.

20\ 01\ 2021

- **Plaza de Toros de La Malagueta**: بالعربية حلبة مصارعة الثيران المالقية.
- **Matador de Toros**: بالعربية مُصارع الثيران.

أندلسيون عائدون من رحلة طويلة

زمنُ قرطبة الذي مازال يجري

إلى ابن رشد

في مقهى أندلسي، على طاولة تجاور تمثال ابن رشد في قرطبة؛ أنظر إلى التمثال بهيئته العربية، بعمامته، بجلسته المهيبة كملك يحكم العالم بكتابه الذي يسنده على ركبته بيده اليسرى معانداً الفقه، فأرى نهر الزمن يتدفق من الكتاب ببطءٍ! أغمض عينيَّ فأرى نهراً يشبه الفرات ربما هو الوادي الكبير.

أرى ظلال أرسطو على المياه، أرى أنواراً خافتة في قاع النهر تسبح كأنها أسماك صغيرة فقدت رشدها، أرى أحرفاً عربية بالكاد يمكن التعرف عليها تجري في النهر..

غريب أنا يا ابن رشد بلا عَلم يستر وحدتي ويرسم لي وطناً على الورق يحميني من أقدام المجهول.

تتعبُ نفسي من الذهاب إلى الماضي البطيء والعودة إلى الآن؛ الزمن الذي تناهبتْهُ السرعة، فأفتح عينيَّ؛

أرى الشمس المشرقة تلمع على أفخاذ النسوة القادمات من الشمال الأوروبي حيث العتمة والاختراعات التي جعلت الزمن يركض لاهثاً ويجرف التأمل ومتعة الهدوء.

أرى سياحاً بسحنات مختلفة جاؤوا من جهات العالم يلتقطون صوراً تذكارية بجانب ابن رشد؛ كنت أريد أن أقف وأقول لهم إن الكتابة التي أسفل التمثال ولم تستطيعوا فك رموزها مكتوبة بالعربية؛ إنها لغتي.

- كُتب اسم ابن رشد بالعربية بالخط الكوفي على قاعدة التمثال «أبو الوليد ابن محمد المراكشي العالم الفيلسوف الطبيب».
- نحت الإسباني بابلولو ستيكو نيخو هذا التمثال سنة 1967.

شمس غرناطة

إلى لوركا

أصعد نحو البيّازين مرافقاً ظلي. نسير بهدوء صامتين كشخصين أدركتهما الحكمة على الطريق. يتقدمني ظلي كأنه مرشدي. ينتظرني دائماً عندما أتوقف لالتقاط صور للأبواب والنوافذ التي أشعر أنها رسمت بإصبع الزمن على الجدران.

في حواري البيّازين أحدّث ظلي بالعربية، فتتسع الطرقاتُ لي، أشعر بترحاب يمد يده ويصافحني بصمت، أغلق خرائط غوغل وأضيّع نفسي هناك.

أسمع موسيقى خافتة، ضحكات ودودة لمراهقات، همهمات رجال بالغين، ترتيل قرآن بصوت خافت، أنيناً مكتوماً، بكاءً شاحباً وصناجاتٍ تقترب من أذني.

أضع أذني على جدار تدلت منه عريشة ياسمين تضحك مع الشمس حول حادثة قديمة؛ لأتبين مصدر هذه الأصوات!

صمت. صمت متوجس يحلُّ فجأة، كأن الجدار شعر أني أتجسس على أهل المنزل.

أشعر بجوقة أطفال يتهامسون تتبعني. يتضاحكون كأنهم وجدوا بائعاً متجولاً للحلوى دون أن يكون معهم نقود. أسأل ظلي الذي صار ورائي ويمشي معهم: «من هؤلاء الأولاد الذين تتحدث معهم كأنك تعرفهم قبل ولادتك؟» ينظر إليّ باندهاش من رأى شمساً تحترق: «هؤلاء أولاد الموريسكيين الذين نجوا من الرحيل».

أرواح الموريسكيين تعيش في البيّازين بشكل طبيعي، كأنهم لم يغادروها أبدا. مازالوا يصنعون القدور التي يطبخون بها التاريخ والحكايات والخوف من التهجير، ويكتبون الأغاني بالألخميادو ويعلمون أولادهم الرقص والتوجس من الغرباء والصلاة الصامتة جهة الشمس.

أقف في باحة تطل على قصر الحمراء ألتقط للشمس وهي تعلق نفسها على جدرانه، ولست متيقناً إن كنت رأيتها من بعيد ترقص في «جنة العريف».

لا أحد في حواري البيّازين سواي وظلي، فقد اختبأ العالم خوفا من «كورونا».

فكرت أن أدخل قصر الحمراء وأعلن نفسي أميراً للحكايات التي ما زالت تطير في سماء غرناطة.

من البيّازين أنظر لقصر الحمراء المغلق وأفهم ماذا يعني أن تكون أعمىً في غرناطة.

19 \ 5 \ 2021

- **البيازين**: حي في غرناطة يشرف على قصر الحمراء سكنه الموريسكيون ويتميز عمرانه بطابعه العربي. بالإسبانية Albaicín.
- **الألخميادو**: بالإسبانية Aljamiado لغة ابتكرها الأندلسيون كتبوا بها الإسبانية والبرتغالية أيضا بالحروف العربية وتعرف أيضا بالأعجمية Aljamía.

في عام 1566م صدر قانون يُحرّم التخاطب باللغة العربية أو التعامل بها، فقام الموريسكيون بابتكار لغة جديدة تعرف بـ «الألخميادو» بحيث أصبحوا يكتبون القشتالية سراً بأحرف عربية. تمخض عن هذه اللغة أدب هجين مختلط في شِبه الجزيرة الإيبيرية؛ فهو أدب إسباني كتَبَه الموريسكيون بالحروف العربيَّة يكشف عن اهتماماتهم اليومية ويعبرون فيه عن أفكارهم ومشاعرهم. وبالتالي، أصبح أدب الألخميادو وسيلة لحفظ وجودهم من الانقراض الثقافي والشخصي الذي كان يتهددهم.

- **جَنَّة الْعَرِيف**: بالإسبانية Generalife قصر يقع بالقرب من قصر الحمراء ويبعد عنه مسافة كيلو متر واحد شيد في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، ويقع شمال شرقي قصر الحمراء، وكان يتخذه ملوك غرناطة منتزهاً للراحة والاستجمام.

تمثال العشَّاق

حينما زرتُ قرطبة بحثت عن تمثال العشّاق، الذين عبروا بحار الزمان وعاشوا في الأبد. لم يكن بعيداً عن الـ Mezquita، كما يسمي السكان جامع قرطبة الكبير الذي أصبح كاتدرائية Catedral de Nuestra Señora de la Asunción. تمثالٌ بسيطٌ لكفين على وشك التلامس، تلامس عشاق وليس مصافحة غرباء أو شخصين بينهما مصالح دنيوية.
على قاعدة التمثال، اقرأ العشق الذي مازال يسيل لهفة من الكلمات باللغة العربية والإسبانية، العشق الجارف لولّادة الذي يفيض عبر الزمن بماء اللوعة:

أغار عليك من عينيْ ومني
ومنك ومن زمانك والمكانِ
ولو أني خبأتك في عيوني
إلى يوم القيامة ما كفاني
تليها وحشة ابن زيدون مؤرخاً لوعة الفقد في بلادٍ غاب عنها الحبيب:
يا من غدوت به في الناس مشتهرا
قلبي يقاسي عليك الهم والفِكر
إن غبت لم ألقَ إنسانًا يؤنّسني
وإن حضرت فكلُّ الناس قدْ حَضَرا

عشقتُ مراراً، ولم يكن بين من عشقت أميرة أندلسية، ربما كان ذلك خطأ الزمان والمكان. أمام التمثال تمنيتُ أمنية باطلة؛ لو أن الله، كمجاز للشعر، خلقني في الأندلس قبل ألف عام، لكنتُ حيّاً الآن في إحدى ساحات مدنها. لو كنتُ عاشقاً في بلادٍ تنصب تماثيل للعشق لبقيت ذكراي حكاية بكل اللغات.

- في حدائق كامبو سانتو دي لوس مارتيريس، في قرطبة، عند أبواب الحي اليهودي، يوجد نصب تذكاري للأيديMonumento a Los Enamorados يسميه أهل قرطبة «نصب الأيدي». شارك في هذا العمل المهندس المعماري فيكتور إسكريبانو والنحات بابلو يوستي، ودشن عام 1971، لتكريم قصة الحب التي جمعت الشاعر ابن زيدون والأميرة الشاعرة ولادة في العصر الأموي الأندلسي.
- **Mezquita**: بالعربية المسجد
- **Catedral de Nuestra Señora de la Asunción**: بالعربية كاتدرائية السيدة العذراء

الهاوية التي على جانب الطريق

إلى الأمير الشاعر أبي البقاء الرُندي

في خطانا نقيس المسافة. المسافة لعنة الغريب. المسافة مقبرة الأحياء.
المسافة أخت الزمن؛ توأمه الذي يرافقه رحلة الحياة.
أمشي فوق «جسر العرب» في رُندة، أنظر إلى مكان خطوتي القادمة وأحصي المسافة بين قبور من بنوا الجسر وأغنياتهم التي تركوها خلفهم، وأسمع صوتَها خافتا يتسرب من الحجارة.

انظر برهبةٍ للهاوية التي يقطعها الجسر كي ينقل الناس لمصائر أخرى مختلفة، ربما لا تختلف كثيراً! فقد عبر هذا الجسر أناس أرادوا تجنب الهاوية التي صنعتها المسافة ومضوا مسرعين خفافاً إلى هاوية الأيام التي لم يروها.

في ساحة أبي البقاء الرُندي، أسند ظهري إلى مئذنة سان سابستيان التي يعلوها الصليب، أتأمل البيوت وأحاول تخمين أعمار النوافذ التي عبرت كل تلك العصور وأبكي.

لا أبكي حسرة على ضياع البلاد، ولا أنظم دمعي قصيدة في رثاء الأندلس، رغم أني أدرك مثل الأمير معنى الضياع، بل تبكيني عبرتُه التي ما تزال ساخنة، بينما أتأمل اسمه الذي عاند الدهر وعاد ليستريح في موطنه.

أيها الأمير! ها سرّتك أزمان، ملكت البلاد وأنت ترابا، و «هذه الدار التي لم تبق على أحد» أعادك أهلها من ضفة المتوسط الأخرى أميراً لها، متخطين البحر ومعاندين الشمس ودورتها، فالدنيا [لا يدوم على حالٍ لها شان].

ها أكرمك قومك الذين لم تغوهم المسافة ولم يعبروا البحر مثلك، بل عبروا الوقت كله ورفعوا اسمك بأحرف لاتينيةPLAZA ABUL BEKA كأميرٍ أبدي لهذي البلاد.

دلّني أيّها الشاعر كيف نجوتَ! مزّقني الدهرُ، ولستُ من قوم يطوبون الراحلين ملوكاً. دلّني أيها الأمير على طريق يتجنب الهاوية، فقد ذهبتُ من جنوب العالم إلى أقصى شماله طالباً النجاة وما نجوت. تركت خلفي [مثلك] كتاباً يرثي البلاد التي غادرتها لن يذكره أحد. وها أنا أبكي المتاهة التي تسكنني، في مُلكك. تعبرني امرأة مسنة ذاهبة للصلاة فأخفي دمعي وأمضي بخطى بطيئة محاولاً تجنب الهاوية إلى حين.

30 \ 5 \ 2021

- . **PLAZA ABUL BEKA:** ساحة أبو البقاء.

زفرتي الأخيرة

إلى أبي عبدالله الصغير

قلت لصـــوفي، التي كانت نجمةً اختارتْ سـماء مالقا، لتحرس خطواتي من الضـلال، لنـذهـب إلىEl Puerto del Suspiro del Moro. وكانـت تحـب الحكايات التي ترعى ففي الجبال واكتشـاف الحياة وآلام الأقوام المندثرين، وتعرف أني من بقايا أقوام أكلهم الزمن والمدونون، وأتعلق بأثار الراحلين.

لم يكن هناك شيءٌ لافتٌ في المكان، لكن الأساطير تخلق المكان وتزيّنه بالزمن وتكتب له الحكاية.

وجدتُ على الأرض أثار دموع لرجل مهزوم، وجدتُ أثار ذكريات لم يبقَ منها إلا حكاياتٍ متضاربة لا يمكن التحقق منها.

وجدتُ الهزيمة ناصعة في العراء، قلت لصوفي لِنَبِتْ هنا في هذا العراء حيث أجد أثاري كرجلٍ مهزوم.

• **Puerto del Suspiro del Moro**: ممر جبلي في سييرا نيفادا الإسبانية ومعناه بالعربية «زفرة العربي الأخيرة». يقال إن أبا عبدالله الصـغير آخر ملوك غرناطة وحاشـيته عبروا هذا الممر بعد أن طردهم من غرناطة عام 1492م الملوك الكاثوليك الزوجين فرناندو الثاني ملك أراغون وإيزابيلا الأولى ملكة قشتالة. ويأتي اسمه من اللحظة التي تنهد فيها أبو عبدالله الصغير بصوت عالٍ بينما كان ينظر إلى الوراء ويشتاق إلى وطنه وملكه الضائع، وهو الفعل الذي يقال إنه دفع والدته إلى توبيخه، وإطلاق العبارة الساخرة الشهيرة «ابكِ كالنساء مُلكاً لم تحافظ عليه كالرجال».

تائهٌ في برارٍ خجولة

ساعةُ يد مرسومة بقلم

عندما تتحدث عن العام 2011، صار عليك أن تقول: «كان ذلك قبل عشر سنوات»!

أنظر! كيف تمر الأيام ثقيلة بطيئة وكيف تمر السنون راكضة؛ خفيفة!

شاهد عمرك الذي تنادمه الأيام البطيئة، كضيف خجول، تمرّه السنوات مسرعة، لتأخذ بيده وترافقه إلى المقبرة.

15 \ 03 \ 2021

أيُّها النائم

صباح الخير أيها النائم

أحييك بلطفٍ؛ لكن بمودة واضحة، لأنك شخص مسالم. بغض النظر عن جنسك وعرقك ودينك ولغتك؛ فالبشر يتساوون أثناء النوم.

والحقيقة التي يعرفها الجميع، إننا لا نحتاج لغة لإلقاء التحية على شخص نائم، ولا حتى لغة الإشارة.

أيها النائم

تحية لك أينما كنت، لأنك لا تؤذي كائناً أو جماداً، فالشر في الأرض والكواكب الأخرى يصنعه أولئك الذين غادروا النوم

أو لم يناموا بعد.

في وداع الراحل العزيز

أيها الزمن؛
لِمَ هذه السرعة كأنك تلاحق السراب! هل ولدت من رحم أرنب أم من قرن غزال!
وما هذه الثآليل في وجهك!
هل كانت دوماً موجودة في مكانها أم أن نظرنا كان ضعيفاً!
أيها الزمن؛ يا ابن راقصة الفلامنكو التي باعت جسدها للعابرين مجاناً في بعض الأحيان أتمنى أن تموت. تنتهي على الأقل مثل نهاية دون كيخوته
سأقيم لك حفل وداع
وأحفر قبرك بنفسي
وأدعو جميع الصديقات
ليتبولن على قبرك.

إدراك متأخر

احتجت زمناً طويلاً؛ حملته في حقائبي، وسافرتُ إلى بلاد كثيرة، لأدرك أن روحي منثورة في البراري؛
البراري الشاسعة بنباتاتها البسيطة وأشجارها التي تعيش وحيدة أو في أسر صغيرة
البراري التي لم يخربها البشر.

في الكناري تمشي الدهشة عارية

العيد الأبيض

في الكناري؛ تمشي الموسيقى حافية في الشوارع، قد تصادفها عارية بين القرى أيضاً. عشتُ في أرافو، عاصمة الموسيقى في جزيرة تِنِرِيفي. عثرت عليها صدفة في دفاتر صديق.

في أيام الصيف تقام احتفالات يومية بعيد ميلاد الموسيقى! كأن الوتر الأول، دون قيثارته، هاجرَ من سومر واستوطن هذه الجزر التي تشكلت من دموع عاشقة، يبست في المحيط.

كرنفال للزراعة؛ حيث تجر الثيران الضخمة عربات ملونة بأغانٍ ريفية. كرنفال للنبيذ كي يفقد الحكماء الانتباه وينسون النصائح المدونة في الكتب القديمة، كرنفال للشباب يرقصون فيه بشكل جماعي كأن أجسادهم منسوجة من الهواء، احتفال بموسيقا الكاريبي؛ حيث ولدت «المرارة» التي صار اسمها الباتشاتا واستعمرت هذه الجزر، احتفال بموسيقا أمريكا اللاتينية التي ولدت في الحانات والحقول وأورثت الدنيا سلالات هجينة ومتنوعة من الموسيقى الجامحة كالخيول البريّة...

وبينما الناس يرقصون كخيول عطشى تركض نحو الماء، يُوزع الطعام والنبيذ والابتسامات مجاناً.

أحب ارتداء الأبيض في نهارات الصيف كانتماء لسرب لقالق مهاجرة. كنت عائداً من جبال تقيم بشكل دائم كرنفالاً للعزلة، حينما وجدت القرية بيضاء! كأن الغيوم وهي تمشي على السفوح تعثرت بالناس واحتضنتهم جميعاً، صاروا نغمات بيضاء تقفز على سلمٍ موسيقي في شوارع القرية.

دون قصد أو انتباه، وبلباسي المعتاد صرت جزءاً من اللحن، في المساءِ الذي جاء بخطى متعثرة وظل وجهه مضيئاً مائلاً للبياض. بدأت الصبايا، الخارجات للتو كحفنة من الجنة، يرقصن كحمامات بيضاء عالقة في شرك، مع رجال خرجوا على عجلٍ من إحدى روايات ماركيز..

الكلمات ترقص مرتديةً مجازاتٍ بيضاء

المجازات غيوم هبطت إلى ساحة القرية لترقص

والنبيذ الأبيض ببراميلٍ خشبية متاح مجاناً!

«لماذا احتل البياض القرية؟» سألت كنارية تعرفت عليها في بار القرية. «إنه العيد الأبيض». قالت وهي ترقص كحمامة بيضاء في شرك.

- **جزر الكناري:** اشتُق اسم الجزر «الكناري» من الاسم اللاتيني Canariae Insulae والذي يعني جزر الكلاب. وتقع الجزر في المحيط الأطلسي قبالة الساحل المغربي. والجزر منطقة حكم ذاتي موسع تتبع إسبانيا. تنقسم إلى مقاطعتين: سانتا كروز دي تِنِرِيفي ولاس بالماس. وتتشكّل الكناري من الجُزُر التالية [حسب الحجم]: تِنِرِيفي، فويرتيفنتورا، غران كناريا، لانزاروت، لا بالما، لا غوميرا، وإل هييرّو. الجزيرة الوحيدة الأخرى المأهولة بالسكان هي لا غراسيوزا وتتبع لانزاروت.
- **العيد الأبيض:** يحتفل بالعيد الأبيض في أرافو في السبت الثاني من أغسطس، ضمن الاحتفالات التي تجري طوال شهر أغسطس على شرف شفيع أرافو القديس خوان ديغولادو، وكذلك القديسين أوغستين و رناردو. يقام الاحتفال بهذا العيد وبقية الاحتفالات في ساحة سان خوان ديجولادو في القرية وخلال العيد يرتدي جميع الحاضرين اللباس الأبيض.

تتوج احتفالات شهر أغسطس بموكب الحج في الأحد الأخير منه، حيث تمتلئ الشوارع بالعربات المزينة التي تجرها الثيران، والفرق الموسيقية والمواكب الدينية تشارك في الموكب العديد من الفرق الموسيقية الشعبية التي ترتدي الأزياء التقليدية المحلية. يحي هذا الحدث ذكرى المعجزة التي قيل إنها حدثت في عام 1751، عندما تدخل القديس أوغستين لإرسال عاصفة أزالت الأنقاض من نبع أنافينجو الذي دفنه انهيار أرضي.

قرية أمي

المشـيُ صـلاةُ الخائب، علاج الروح من ورم خبيث. المشـيُ اسـتمطار النسـيان لأرض الذكريات.

بين أرافو وغومار، أمشـي ليلاً بين القرى؛ أمشـي في تلك الديار حاملاً حقيبةً على ظهري خالية من الآلام، وتسكن الطمأنينة قلبي في ليلٍ يخلو من النحيب. أغني مواويل فراتية دون إتقان اللحن ودون حفظ الكلمات، فتعترضني لوحة كبيرة عليها اسـم قرية؛ وهذا أمر طبيعي في بلاد لا تخاف الأسـماء. قرأته بسهولة بأحرفه اللاتينية الكبيرة: فاطمة!

كان الوقت ليلاً، ليلٌ فارقته الذنوب، والاسم مكتوبٌ بالأبيض ومضيءٌ، فقد بدت أحرفه نجوماً قطفت من السـماء وبجانبه قلب حبٍ أحمر خالٍ من الدماء كأنه قلب عاشقة ذاقت الحب للمرة الأولى.

وحينما بحثت على غوغل الذي صار نبيَّ المعرفة، وجدت أن فاطمة قديسة في هذه البلاد.

ها أنا، في رحلتي التي تركتْ الأمس نائماً في البراري، وصلتُ البلاد التي كرّست أمي قديسة.

17 \ 7 \ 2019

كندالاريا

على الشـاطئ ينتصب ملوك الغوانش، يحرسـون المدينة، كأنهم خرجوا للتو من أسـطورة غرقت في المحيط. يديرون ظهورهم للماء ويتوجهون نحو حشـد غير مرئي من السكان يخبرونهم عن نصر حققوه في بلادٍ بعيدة.

- **كندالاريا:** بالإسـبانية Candelaria مدينة سـاحلية صـغيرة في جزيرة تِنرِيفي.. أما الغوانش فهم السكان الأصليين لجزر الكناري.

غريبان على قمة جبل شاهق

في الأعالي، حيث الأبد قريب من العين والأشـجار تتحدث لغات عدة، حيث تحجب الغيوم رؤيا الأرض التي دارت عليها الحروب والمجازر وقصـص الحب، نجلس أنا ونسـرين بين السـماء والغيم نتبادل أحاديثاً اعتيادية حول البلاد التي فقدناها؛ فقد فقدت بلادها بحادث سـير وماتت بلادي تحت التعذيب ونتمنى لو كنّا ولدنا في هذه الجبال.

عندما تلعب الشـمس لعبة الضـوء، نرى سـانتا كروز دي تِنِرِيفي عاصـمة الجزيرة كأنها أحجار بيضاء متراصة في بقعة منسية بين الجبال وساحل ضيق على الأطلسي، نتحدث عن المصادفات التي تعجز عنها مخيلة ماركيز.

فأنا «سويدي» هارب من العدم وهي «إسرائيلية» نجت من مجزرة، نلتقي على أعلى قمة في جبال الكناري الشـاهقة، نروي آلامنا وضـحكاتنا بلغة عربية فصـيحة وندخن الحشـائش الخضـراء ببطء وسـكينة ثم نأوي إلى خيامنا متوسدين الغرابة والفَقد.

ليلٌ دون هواجس معتمة

أمشـي على حافة الطريق الإسـفلتي وحيداً بعد منتصـف الليل. عائداً من البحر نحو قريتي في الجبـال، على ظهري حقيبتي وأحمـال زمنٍ قـديمٍ من الخيبة.

جئت هذه البلاد باحثاً عن حفنة من تراب لأزرع بذوراً حملتها من البلاد التي قُتلتْ علناً وذهب دمها هدراً. أسـير في الليالي بين القرى دون خشـية الناس والكلاب الكثيرة التي تنبح العابرين بشكل مستمر كأنها في مهمة رسمية.

بعد منتصـف الليل، بعد أن تغلق الحانات والمقاهي في البلدات المجاورة، أعود إلى قريتي مشـياً. في آخر ليلٍ مبهج كعادة الليالي هنا، توقفت بجانبي

سـيارة وفُتح الباب لي، اقتربتُ منها دون خشـية اختطاف من مخابرات الدولة أو لصـوص، تحدث معي السـائق بالإسـبانية التي لا أجيد منها حينها سـوى «Holla» و «Gracias» فجاوبته بالإنكليزية، لكني صعدتُ معه دون خوف.

أعادني الرجل الذي تحدث دون ابتسـامة مغشـوشـة، إلى الزمن الذي جئت منه، إلى قرانا، حيث كنا نفعل ذلك باعتيادية شديدة كواجب مستدير، أعني أن نحمل العابرين والغرباء والمستطرقين.

02 \ 10 \ 2019

- **Holla** و **Gracias**: مرحبا و شكراً بالإسبانية

فاصلة بين زمنين

العودة سائحاً إلى الإسكندرية

بينما أعبر شارع سعد زغلول نحو البحر في الإسكندرية، أحسست بالشتاء! وضعت يديَّ في جيوبي كما يفعل الناس في بلاد العالم بداية الشتاء؛ عدا البلاد المقفرة من البشر والأحاسيس، وفكرت بمصير خطواتي.
خليط من الندم والدفء والحب والبلاهة والعدم، كأني في دكانِ بائع عصير.
ربما كان هناك شخص آخر يمشي معي في نفس الشارع، بين ساحة سعد زغلول وفندق سيسل نحو البحر، ولديه نفس الأحاسيس، لكنه لم يتعلم صياغتها بطريقة معقدة مثلي.
أنا ابن هذه المدينة التي أكلها الزمن، ابن هؤلاء الناس الذين يمضون بخطى مبهمة نحو الحياة، يتنفسون هواء البحر مجاناً، ويسخرون من الدنيا بوجوه شاحبة وخطى متعبة.

03 \ 12 \ 2022

أريد أن أقرأ كتاباً

أريد أن أقرأ كتاباً؛ كتاباً يجعلني أشعر بالشغف لإكمال القراءة. أقرأه بتمعن من يبحث عن مفتاح وقع منه في ليلة مظلمة، لا بنصف عين مُقلِباً الصفحات، قافزاً الكلام المعروف أو المكرر أو أفكار الكاتب الأيديولوجية الساذجة في العموم.

أريد أن أقرأ كتاباً يجعلني أدقق في صـــياغة الفكرة، وأقول: يا لبراعة الكاتب! والبراعة هي صـقل الأشـياء، أو تقديم الأشـياء بأقل الكلام وأَكَمل معنى. أو يا للشيطنة؛ إنها فكرة بارعة لم تخطر على بالي من قبل.
أريـد أن أقرأ كتـابـاً عن النـاس في محيطهم وفي دواخلهم، في أرضـــهم أو في نزوحهم، في غربتهم واجتماعهم.
كتاب يروي الطريق
في رحلة الحياة.

يا عين هِلّي دمع

... ويُقـال عين الزمـان ويُقـال عين الحقيقـة ويُقـال عين الأعور ويُقـال عين الشـــمس ويُقـال عين الماء ويُقـال عين المكان ويُقـال عين الليـل ويُقـال عين العاهرة ويُقال عين الطير ويُقال عين الصــقر ويُقال عين زرقاء اليمامة ويُقال أعمى ويُقال عيني.
عيني التي ترى وعيني التي تســهر وعيني المغمضـــة وعيني التي تنـام وعيني المطفـأة وعيني التي تبكي وعيني التي تنظر وتنتظر وعيني التي تحـب وعين المحب كليلة.
فيا عيني الكليلة؛ كلما صـــاح المغني يا عينُ نظرتُ إليه وكلما نادى الحبيب يا عيني نظرت إليـه وكلمـا بكتْ عينٌ نظرت إلى وجـه حـاملهـا وكلمـا جرت عيون الماء ســبحتُ بها وكلما فـاضــت عيون الســماء بالبكاء تذكرتُ نيرودا وكلما التهبتْ عين الشـــمس تذكرتُ نجاة وكلما رأيت جثة الشـــوق دون قبر تذكرتُ مصيري.
فيا عيني التي تنطفئ حين يأخذني مصيري كيف ستبكيني!

قصائد إيلينا

على حائط الحياة

إيلينا؛
الندم لم يكن رقصة يوماً
إنه مسمار الزمن
الذي نعلق عليه ذكرياتِ الهزائم.

2 \ 05 \ 2023

أمنيةٌ لن تتحقق

ليتني رقصةٌ! رقصة وِلدتْ في الكاريبي، كالباتشاتا. أعني سأكون روحاً، تهاجر للدنيا كلها، وتحل في أجساد البشر الفرحين دون خشية الموت.

6 \ 05 \ 2023

انتظارٌ يتكرّرُ ببطءٍ

صباح الخير إيلينا؛
أراقب بحسدٍ خطواتكِ التي لا تتعثر وأنت تبذرين البهجة في براري الرب.
أتأمل يديك وأنتِ تُعلمين الناس الطيران.

10 \ 05 \2023

هزيمةٌ مجانية

من المؤسف يا إيلينا
ألا يكون للهزيمةِ معنى!

12 \ 05 \ 2023

خطى متلعثمة

ها قد مرّ بنا الزمنُ
مرّ بنا زمن طويلٌ، إيلينا
كانت خطواتنا ثقيلةً ومرتبكة على مسرح الدنيا
وبينما الزمن كان رشيقاً متدفقاً كلغة عامية
كنا متلعثمين كالفصحى
أعرف أنه لم ينته كل شيء
لكن التعب أنهك خطواتنا.

14 \ 05 \ 2023

بطاقةٌ شخصية عابرة للحدود

إيلينا
أنا لستُ كتاباً ولستُ فكرة
أفكاري مجرد قطيع أغنام ترعى في البرية
ربما تأكلها الذئاب
ربما يسرقها أحد ما
ربما تمرض ويصعب علاجها
ربما تموت لأسباب مجهولة
ربما تصاب بوباء عام كالطاعون مثلاً
ربما تتوالد وتتكاثر
يربيها أحد ما ويبيعها في الأسواق
كل هذا لا يعنيني
فأنا لا أملك أفكاري

أخلقها وأتركها تسرح في أرض الرب الرحبة
كأغنام غير مدجّنة
كما أنك لستِ رقصتك ولا تمتلكينها
إنّها شيء آخر غيرك أنت
كذلك كتبي وأفكاري أنفصل عنها ما أن تخرج للحياة
أراقبها بحياد
وهي تدبّر شؤونها بنفسها

هناك من يعتقد إن قتل هذه الأفكار
يعني قتلي!
هذا وهم، إيلينا
أنا لستُ فكرة ولستُ كتاباً. أنا شيء آخر يصعب شرحه لك وأنت مشغولة بالرقص.

15 \ 05 \ 2023

شجرة يتساقط منها الزمن

قلت لك إيلينا؛ إنه أمر محزن أن تفقد الهزيمة أي معنى. قد لا يكون ذلك مفهوماً بالقدر الكافي؛ ويبدو مجرد مجازات.
في الروايات تبدو المصائر أوضح وأبسط، لأن من يرسمها بشريٌ، كائنٌ محدود المعرفة. هناك تبدو رحلة الحياة، أي رحلة الواحد إلى مصيره، أو رحلة الواحد في مصيره حتى نهايته، طويلة، مملة وركيكة في بعض الأحيان.
في الحياة نفسها تحدث الأمور بشكل مختلف، بشكل معقد ربما، بشكل غير متوقع ولا مرسوم، هناك دائماً مفاجآت لا يمكن لكاتب تخيلها، سواء كان مبتدئاً قليل الخبرة، أو محترفاً. في الحياة يحدث كل شيء بشكل خاطف. الحياة، حياتنا كلها في عمر الزمن جزء من لحظة برق لا أكثر.

هناك تأويلات كثيرة لعبارة «وا أســفـاه لم يعد للهزيمة معنى» وقد نقولها بشكل مختلف أيضاً «إيلينا؛ حتى الهزيمة دون معنى».
في رقصة البرق نحو مصيره تفقد أشياء كثيرة معناها.

16 \ 05\ 2023

حقيبة يحملها الزمن على كتفه

صباح الخير إيلينا
بالأمس كنت أريد أن أقول لك
لقد غدر بنا الزمن
إذ فجأة خطف حفنة من أعمارنا
وركض مسرعاً
حفنة لا يمكن استرجاعها
خذلنا المكان
مرغمين مشينا نحو بلاد لا نعرفها
مشينا حفاة نريد أن ندرك الظل
نسينا خطواتنا في أرض بعيدة
لا نعرف الطريق إليها
ونسينا رقصاتنا في زمن خطف منا
كنت أريد أن أقول لك
أشياء تائهة كهذه
لكنك كنت مشغولة بالرقص.

18 \ 05\ 2023

وشمٌ ينزف

قالت المغنية إن الزمن يداوي الجروح.
هذا صحيح، إيلينا؛ لكنها لم تقل شيئاً عن الجروح الجديدة.
كان أجدادي السومريون يقولون بولادة الزمان كل رأس سنة، ولكل زمان جروحه. الحبُ سيف الزمان الذي لا يترك عاشقاً دون أن يرسم وشماً ينزف على ظله؛ والنسيان يد الزمان التي تداوي الجروح.

20 \ 05\ 2023

كيف تحب إيلينا أغنية

قبل أيام كتبتْ نسرين «أتمنّى أن يحبّني أحدٌ بالطّريقة الّتي أحبّ فيها أغنية».
وأريد أن أسألك كيف تحبين أغنية، إيلينا. فكما هو واضح فإن الناس تحب الأغاني بطرق مختلفة، كل شخص يحب أغنية بطريقته، كما يحب الناس بعضهم.
أنا أعرف أنك ترقصين الباتشاتا على ألحان أغان تحبينها ولكن هذا لا يجعلنا نقول «عندما يحب شخص أغنية فإنه يرقص عندما يسمعها».
هناك أغان تبكينا عندما نسمعها. نحبها، ولكن لا أحد يريد البكاء متطوعاً.
بعض الأغاني نحبها لأنها مرتبطة بزمان ومكان وشخوص، إنها مجرد محاولة لإعادة الزمن، الزمن الذي لم تستطع البشرية إيقافه، ناهيك عن إعادته.
عندما سألتني كريستينا، معلمتي الإسبانية، عن أكثر أغنية أحبها. قلت لها دون تردد Gracias a la Vida أغنية حزينة عن الحياة، ربما انتحرت مغنيتها، ولا تصلح لرقصة الباتشاتا، ولكني لم أسمع هذه الأغنية منذ سنتين. ربما هذه طريقتي في الحب.

21 \05 \ 2023

أغنية بأشرعة ممزقة

إيلينا، أريد أن أكتب لك أغنية. أغنية نترجمها إلى الإسبانية؛ يلحنها أحد الملحنين الدومينيكان الهواة، لترقصي عليها الباتشاتا. أغنية بسيطة تقول كلماتها:

أريد أن أبحر في سفينة
سفينة شراعية من سفن القرن السادس عشر
دون بوصلة
ودون أن يكون هدفي اكتشاف قارة جديدة

أريد أن أبحر في سفينة
نسميها «كولومبوس الجديدة»
بأشرعة ممزقة وحزينة
وعلى ظهرها عازف غيتار أفريقي
ومسرح صغير
يكفي لرقصة الباتشاتا

أريد أن أبحر في سفينة
لا تعاند الزمن ولا تعاكس التيار
ولا تعرف مصيرها ولا وجهتها
كأنها روح تائهة في الأمس البعيد

أريد أن أبحر في سفينة كهذه، إيلينا
إذا كنت سترافقيني وترقصين.

25\ 05\ 2023

فيلم غربي عن حياة مهزوم

إيلينا؛ بينما ترقصين، سأروي لك جزءاً من حياتي. لا تخفضي صوت الموسيقى، فانت لن تفهمي شيئاً من شخص يتحدث إليك بالعربية.

في الأفلام الأمريكية وعندما يريدون إخفاء جيل الآباء ويظهرون جيل الأبناء يكتبون هكذا 15 Years later أو على الأقل 10 Years later. هكذا يتجدد مسرح الفيلم، الحياة التي في الفيلم وشخوصها وأحداثها.

في الأفلام الغربية، يذهب أولئك الذين هُزموا في الحروب، او الذين هزمتهم الحياة عموماً إلى أماكن بعيدة، حيث الثلوج والأكواخ الخشبية، كألاسكا أو القطب الشمالي أو حتى قرية مهجورة في المكسيك، أو مزرعة ليست على طريق أحد، ليعيشوا حياة العزلة. حيث لا يعرفهم أحد ولا يبنون علاقات إلا بالحد الأدنى الذي يختارونه.

بالتأكيد أنت تعرفين هذا أكثر مني، ولا أريد أن أحدثك عن السينما، سأحدثك عن حياتي، أو حياتنا؛ أقصد الناس المهزومين مثلي. رغم أننا لم نحارب يا إيلينا ولكن هزمنا في الحرب. صحيح أننا لم نشارك في أي معركة، لكن بالنتيجة كانت حربنا خاسرة وهزمنا. هزمتنا الحياة بعد ذلك، وذهبتُ مهزوماً إلى شمال العالم، آخر مكان مأهول في شمال الكرة الأرضية، حيث الثلوج وغزلان الرنّة والناس الذين يمشون على الزلاجات. لا يريد شخص مهزوم مكاناً أفضل من هذا.

لكنهم لم يسمحوا لنا بالعزلة، أجبرونا على الحياة، أعادوا شريط الحياة التي هزمتنا، غير آبهين بالزمن والهزيمة. أجبرونا على الاندماج بحياة لا نعرف عنها شيئاً وبلغة لا نفهمها. أجبرونا على الحديث يومياً مع الناس بهذه اللغة. أعادونا إلى الزمن نفسه الذي هزمنا 12 Years before.

كان ذلك أشبه بمعسكرات السُخرة التي عمل بها مهزومو الحروب في العهد الروماني.

ارقصي، إيلينا، بينما تسمعين الموسيقى الإسبانية ولا تلق انتباهاً لحكايتي، فماذا تعني حكايةٌ عن العزلة حدثتْ قبل وقت طويل لسيدة جميلة ترقص التشا تشا.

27\ 05 \ 2023

رقصة الحب المخادعة

إيلينا، ما رأيك أن تطلقي رقصة للحب! سوف يرقصها أولئك الواقعون في مجاز الحب. الذين يحلمون به. الذين يحاولون التقرب من شخص آخر بالرقص.

الذين دمر حياتهم الحب؛ سيرقصونها بحماس لاستعادة الذكريات، ستبتّل أجسادهم بعرق كأنه دم قربان لإله غائب.

سيرقصها المراهقون الذين يحلمون بتسريع الزمن للوصول إلى شجرة الحياة الباهتة. سيرقصها المخادعون الذين يزعمون وقوعهم في الحب بينما يفسدون الهواء في فضاء الحالمين. سيرقصها الغرباء واللاجئون حينما يركضون خلف سراب الحنين.

سكان الأرض جميعا سيرقصون رقصتك هذه. وأنا أيضا سأرقصها. لتكن بسيطة غير منهِكة، فأيّاً يكن التعبير الجسدي في هذه الرقصة، فحاملها هو الحب.

28\ 05\ 2023

رقصة الغريب

ولدتُ على ضفاف البليخ، النهر المقدس الذي شربت منه الآلهة السومرية، وكل سلالاتها من بعدها حتى إبراهيم.

شربتُ منه وسبحتُ فيه. وردتُ ماءه طفلاً لأسقي أهلي. عشت بجواره فلاحاً، منذ طفولتي كنت أروي المزروعات من مياهه. لم أكن بدوياً ولم يكن أهلي رحالة. لم أكن محارباً أيضاً، ولم أحلم بفتح البلدان يوماً، لكني وجدت نفسي يوماً في شمال العالم.

عشت بجانب بِحارٍ عديدة وأبحرتُ في الأبيض المتوسط والأحمر والخليج العربي وبحر إيجة والبوسفور وبحر الشمال والبلطيق والأطلسي وبحاراً أخرى نسيتُ أسماءها، والآن أنا ذاهبٌ إلى بحر العرب والمحيط الهندي، لكني رغم ذلك لم أتقن حياة البِحار وما عرفتُ أن أكون بحاراً. كنت دائماً فلاحاً أحرث الأرض، ببصري على الأقل.

بقيت على اليابسة، أفكر بمصيري كمن يفكر بمصير صديق تعرف عليه في رحلة. أجلس على الشواطئ ساعات طويلة، وحين تنتابني الأحلام أنتظر السفن. أنتظر سفناً تأتي. كنت غريباً وأريد سفناً تأتي وتحمل أناساً أعرفهم. أعرف أنها مجرد تهيؤات غريب، لكني بالفعل كنت دائماً أنتظر سفينة ينزل منها على شاطئي أناس أعرفهم، أصدقاء وصديقات.

لم أنتظر لمرة واحدةٍ حبيبةً تأتي بها السفن.

أظنك تدركين معنى كلمة «الغريب» بالعربية الآن، إيلينا. أريدك أن ترقصي من أجل هؤلاء الذين مثلي رقصة تسمينها رقصة الغريب.

29\ 05 \ 2023

رقصة الشجرة المعمرة

إيلينا؛ لا يبدو أن لك علاقة قوية مع الأشـجار. لا أدري كيف خطر لي هذا قبل أيام عندما مررت بجبال صخرية جرداء. ربما أكون مخطئاً، فالرقص ولد من علاقة أزلية بين الأشـجار والريح، والموسـيقى هي صـوت الأشـجار عندما تغني.

مرة، في نص سـابق، تمنيت أن أكون شـجرة، شـجرة هرمة ومعمرة؛ ليحفر العشاق أسماءهم على جسدي.

أمي كانت شـجرة، أمي كانت شـجرة كبيرة ومعمرة وكنت أحد أغصـانها. لأنك لم تعلميني الرقص مع الريح، كسرتِني وجعلتِني حطبا للحياة.

4 \ 06 \ 2023

رقصة الشمس الصامتة

الشـمس في مسـقط عارية طوال الوقت وصامتة أيضاً، تنظر للبشـر دون أن تتكلم. سـألت هندياً، يعيش في عُمان منذ القرن الثامن عشـر، فيما إذا سـمع الشمس تتحدث يوماً. جاوبني بجدية: لا؛ سيدي، الشمس لا تتحدث مع أحد في هذه المدينة، نحن نتحدث معها بغضب أحياناً، ولا أدري إن كانت تسمعنا. في بلادك؛ يا إيلينا، الشمس لا تظهر للناس عارية، استسهال المجاز سيقودني إلى «ترتـدي الغيوم»؛ لكن الأمر لا يتعلق بـالغيم، بينكم وبينها حـاجز أزلي؛ فأنتم لم تعبدوا الشمس يوماً مثلنا. تأتون إلينا لتتحدثوا إلى الشمس.

تعالي إلى عُمان وأعلمك رقصـة الشـمس، وإذا أمكنك مزجها مع الباتشـاتا ستنشرين الحرائق في هذا العالم.

5 \ 06 \ 2023

رقصة تائهة تعثر على وطن

في عُمان وجدتُ من يغني بالإسبانية! كأني عثرت على حبيب تحول إلى نجمة وانقطع أثره.
في قرية عمانية يعزف شخص من البرتغال على الغيتار وتغني سيدة بالإسبانية، كأن صوتَها نهرٌ فقد والديه للتو. أعتقد أنها غجرية أندلسية.
في عُمان، وسط الناس الذين يغنون بالبرتغالية والإسبانية، ويرقصون كأنهم سيغادرون الدنيا غداً، شعرت كأني وجدت وطناً ضائعاً يا إيلينا.

12 \ 06 \2023

رقصة تخدش الحياء العام

أحب موسيقى الشوارع، إيلينا. قد يبدو لك هذا أمراً طبيعياً، لا يستحق الذكر حتى؛ أن نعيش في مدن يعزف فيها أشخاص من أعمار مختلفة الموسيقى في الشوارع وفي وسائل النقل العامة، ويجمعون قليلاً من المال من الناس الذين تجري ذكرياتهم مع الموسيقى أو مع أحزانهم.
في مدن كثيرة وقفتُ أمام أشخاص يعزفون بمهارة تدهش المارة، وبعضهم سَحرةٌ يرتدون هيئات آدمية. وكما تعلمين الموسيقى تحتاج أذناً صالحة وروحاً عاشت مع العصافير، أردت القول إنها لحسن الحظ لغة يفهمها الجميع.
نحن نستحق الرثاء، إيلينا؛ عشنا معظم حياتنا في مدن تخلو من فنون الشارع، في بلادٍ تطارد موسيقى الشوارع وتعتقلها. لو رقصتِ في الشارع؛ بابتسامتك العذبة التي تشرب منها العصافير، كما تفعلين الآن لتم اعتقالك بتهمة خدش الحياء العام.

14 \ 06 \2023

رقصة فقدت ظلها

أريد أن أكتب أشياء مفرحة، وبسيطة، يمكن أن تسعد طفلة فقدت كلبها في الزلزال لو قرأتها.
لنذهب إلى الحديقة مثلاً، نُجلسُ النهارَ بشمسهِ الساطعة على إحدى المراجيح وندفعه بحرص وقوة كأنه طفلنا المدلل، نلاعبه حتى يتعب.
لنسبح في بركة السباحة، نتخيل أنها نهر البليخ الذي أودعنا عنده طفولتنا ونسينا أن نعود لاسترجاعها. نخرج من الماء عراة نرتجف كأننا نرقص من لدغة الريح. عندما تقتل الريحُ الشمسَ، تقتل معها ظلالنا، نرقص دون ظل، على حفنة صغيرة من موسيقى بعيدة. يخيل لك أحيانا وأنت ترقصين من البرد أنك تسمعين موسيقى أو أصواتَ أجراسٍ على الأقل، ما نسمعه ليس موسيقى، إيلينا، إنها أصوات غجر يرحلون. وهم يرحلون دائماً.. مثلي.

22\ 06 \ 2023

رقصة خائفة

بالأمس، رأيتُ قطرة ماء تسقط، فتذكرتك، إيلينا. في طريقها إلى العدم كانت تلتمع كبرق خائف أو خطوة متهورة. جسدها العاري كان مصقولاً، يتمايل في الهواء كأنها حسرة انطفأت لتوها. كانت كاليقين إذ يفلت من ذهن مؤمن شارف على العقل.
أستطيع أن أكتب لك كتاباً عن قطرة الماء التي رأيتها تسقط منفردة أمس وذكرتني بك، فالزمن؛ مقياس المسافة، الذي رافق رحلتك بين سعف النخلة والتراب، أظنه كان سنة.

19\ 07 \ 2023

الرقصة الأخيرة

كما تعلمين مرّ الزمن سريعاً، كأغنية نسمعها في الراديو ولا نستطيع استعادتها. في وداعك، ها هو الزمن يطلق إحدى وعشرين أغنية لترقصي عليها، إيلينا.

من هنا؛ في قلعة مطرح على خليج عُمان، وأحب أن أسميه بحر العرب؛ حيث تتوزع مدافع كثيرة لمقاومة الغزاة الذين يأتون من البحر؛

أنظر إلى البحر، وأرى الزمن الذي مرّ سريعاً بين البرتغاليين، الذين تركوا رقصاتهم على الساحل حينما غابت شمسهم، وبين رقصتك التي تشرق في المخيلة كأنها شمس ولدت من العدم لتعطي ظلالاً لمن فقدوا رشدهم أو بلادهم.

أنظر إلى البحر الذي يبدو طفلاً يقلد أمه وهي ترقص؛ البحر الذي نسيتُ لغته ولم تتقن يديّ تلويحة الوداع للبحارة المغادرين.

أنظر إلى البحر، بينما ترقصين الباتشاتا فوق الماء وحيدة وأتشاغل عنك بتقليب معنى الخطيئة أو العمر.

أفتح دفترك [مجازاً] الذي تركتِه لي قبل أن ترفعي الأشرعة على سفينة الرحيل وأتعلم كيف أُشعل الفوانيسَ قبل أن تحل العتمة.

كان الشجر ينام قبل أن يتعلق برقصتك. كان الهواء يمر في الأماكن الخالية، قبل أن تصبحي رقصة بين السماء الدُنيا وخُطى الناس.

كان الزمن يركض قبل أن يتوقف مشدوهاً من مصير الروح وهي تلبس جسدَكِ وترقص في بحار غريبة. كانت الأعوام أرقاماً قبل أن تفقد تواليها وأرقامها وتتحول إلى لحظة ذاهلة. كانت المدافع تطلق نيرانها باتجاه الغزاة قبل أن تراك ترقصين وتصبح آلة موسيقية. كان الزمن نهراً جارياً قبل أن يبصر رقصتك ويفقد أنفاسه من الدهشة.

ها قد مر الزمن سريعا كفاصلة بين جملتين اسميتين؛ حضورك في المكان، وغيابك الأبدي.

سامحيني إيلينا، أريد أن استرسل. لا أريد خاتمة لوداعك بجملة شعرية تجلب الشهقات وأصوات الإعجاب من السامعين، أريد أن أبقى كي أودعك لزمن طويل؛

زمن يكفي ليجعل الطفولة تركض حافية في الشوارع وهي تستقبل عيد القيامة. زمن يكفي لأشرب الماء من بحر العرب وأشعر أني ارتويتُ. زمن يكفي لأجمع أغاني الحرّانيين في بيت شعري أترجمه للإسبانية ويصبح لحنا ترقصين عليه. زمن يكفي لأسرد رحلتي بين نهر البليخ وبحر العرب بينما ترقصين الباتشاتا.

يا إيلينا لو أستطيع إعادة الزمن لبنيتُ لك تمثالاً في معبد الإله سين الذي مات في حرّان بينما كانت النساء تغني له على ساحل بحر العرب. لو أستطيع إعادة الزمن لرسمتُك في قلب الشمس ترقصين الباتشاتا ليشهق المؤمنون: الله.. الله. لو أستطيع لوضعتك بدلاً عن نجمة الصبح آلهة للرقص.

لكنه الزمن الذي يجري إلى حيث يدري ولا ندري.

لو كنتُ ملكا لأمرتُ هذه المدافع المعروضة للسياح كأثر من زمن قديم أن تطلق في وداعك إحدى وعشرين أغنية ترقصين عليها الباتشاتا بينما أنظر إليك تصيرين نقطة في بحر العرب وأنت تغادرين.

1 \ 08 \ 2023

لنكتب عن السويد

LET US WRITE ABOUT SWEDEN

2024

إلى

إنانا، آلهة الحب السومرية دليلي ومرشدي في الظلام السويدي

لماذا أكتب عن السويد

قادم من الصحراء حيث الناس بلا أصوات. قادم من بلاد منكوبة بالصمت، لكن صوتي كان عالياً.

عشتُ حياتي مهاجراً في بلدانٍ من العالم الثالث، تلك التي تفتقد الديموقراطية وحرية العبوس بوجه الحاكم، البلاد التي لا تتسامح مع مفردة «لا» باللغة العربية. في تلك البلدان استطعتُ أن أقول «لا» بأعلى صوتي. لا؛ مدونة في كتبٍ ومقالات تجاوزتْ ختم الرقيب. تلك البلاد التي ما زلتُ أحبها ومدينٌ لها بتعلمي الصراخ عند الألم. البلاد التي لم تستطع خنق صوتي؛ فلم يُخنق صوتي سوى في هذي البلاد.

في السويد التي جئتها لاجئاً وليس مهاجراً، قلت: لا. كما اعتدت دائماً. داستني أقدامٌ مجهولة لا يمكن رؤيتها، ومزقت العنصرية روحي بشكل يومي ومتكرر كمواعيد القطارات في محطة مزدحمة.

لن أنسى الآلام، التي اعتقدت أني أمِنتُ على جسدي منها بعد وصولي إلى بلاد تعلق البيان العالمي لحقوق الإنسان على بواباتها.

ليست غايتي كتابة الشعر؛ أكتب أوجاعي، أكتب عن الجروح التي خلفتها العنصرية الناضجة في جسدي وأيامي؛ بلغة مباشرة خالية من المجاز مليئة بالحقائق التي يعبدها السويدي الأبيض المتحضر.

على الأقل لكي أرمم روحي!

أكتب عن السنوات المظلمة التي عشتها في هذه البلاد. لا أحاول شيطنتها، ولا أكتب لاسترجاع الألم، أكتب كي أشفى. الكتابة تعيد لي صوتي الذي خنقته العنصرية.

أكتب عن العنصرية القادمة من شعور التفوق الجيني لدى أحفاد الفايكنغ، الذين قال عنهم الإنكليز أنهم كانوا يأكلون لحوم البشر، قبل أن يصبحوا مصدرين لأجهزة إيريكسون وحقوق الإنسان. أكتب لأسلط الضوء على الظلام الكامن في النفس البيضاء بينما تتحدث عن التنوير.

لا أكتب عن السويد لأطلعكم على حقائق لا تعرفونها، فما الذي يمكن أن يفعله شخص يتلعثم في النطق، ويطبع بإصبع واحدة، أمام عشرة ملايين كيبورد تطبع بعشر أصابع لنشر صورة بالغة السعادة عن السويد.

لا أكتب لمواجهة التضليل، فكيف لنملة حتى لو كانت مسلحة بالكلمات أن تواجه رتلاً من الدبابات!

أكتب لاستفرغ خمس سنين من العنصرية والألم.

أكتب عن السويد، بهدوء ورويّة، عن الرداء الشفاف الذي تستر به عنصريتها العميقة، عن الابتسامات التي يلصقها السويديون فجأة على وجوههم عندما تقابلهم في الطرقات،

عن التحية الخالية من المعنى التي يقدمها العابرون كتدريبٍ مدرسي على الإنسانية.

أكتب عنها كمحارب مثقل بأخلاق الفرسان ويواجه خصمه وجهاً لوجه، لن أطعنها في الظهر كما يفعل السويديون مع الغرباء والخصوم، ولن ألوث وجهي بابتسامة بلاستيكية بينما أكتب ثأري مع العنصرية الباسمة التي واجهتها أينما ذهبت. أكتب عنها كمكانٍ قاتمٍ ومظلمٍ يربي فيه الناس مشاعرهم كما يربون الحيوانات الأليفة ويدربونها بشكلٍ يومي على إخفاء العنصرية.

أكتب عنها هجاءً حاداً وجارحاً كسيف مصقول وساخراً كمن يواجه موتاً لا يعنيه بعبث. لأجعل الناس يشفقون بمحبة على أي شخصٍ يخبرهم أنه

يعيش في السـويد؛ كما يشـفقون على أي شـخصٍ نجا من كارثة، أو خرج للتو من بلدٍ منكوبٍ بحربٍ أهلية.

ربما ســتأتي أجيال قادمة وتكون العنصــرية الباســمة قد رحلت عن هذي البلاد، أريدهم أن يقرأوا كيف واجه بها أجدادهم شاعراً أعزل استجار بهم.

سأكتب عنها بنزاهة، وربما أتجنب العدل والإنصاف؛

أكتب عن السويد كأن هذا كتابي الأخير.

وطن على عكاز

عن البلاد التي هجّرَتنا

اغتيال

البلاد التي جئنا منها
أعني البلاد التي قذفتنا للمنافي
أعني الطغاة الذين يملكون تلك البلاد
يعبدون الصمت..
صوت الضحية وهي تتألم يكدر نوم أطفالهم!
عليك أن تسرد ألمك لبئر
أو تجهر به في صحراء؛ حيث لا تزعج أحداً
إن تركت ألمك ينمو كشجرة
ستحركها الريح
وتصدر أصواتاً
تجرح الصمت
الذي يعبده الطغاة
فيكتمون صوتك للأبد.

دفتر أحوال شخصية للهزيمة

في عيد ميلادي غير المؤكد؛ وبعد أن وصلت البرَّ الأوروبي، غير مصابٍ حتى بالنسيان، أريد أن أفتح دفاتري لأصدقائي. أريد أن أجمعهم على طاولة اجتماعات واسعة، في الهواء الطلق، في حديقة مثلاً! أضع أمام كل منهم: كأس ماء، ورقة للملاحظات، وقلماً فقط. أريد أن نتحدث بشكل منهجي ومنضبط معرفياً حول الهزيمة. أعني نقلِّب وجوهها المختلفة، ومن الأفضل لنا جميعاً؛ وفقاً لرأيي، أن نرتب محاسنها أولاً؛

لا نريد تزويرها بالطبع، وتحويلها لنصرٍ كما فعل أحمد سعيد والصحاف والمُغربِلون الجُدد، لكن علينا التأكيد بشكل واضح وملحوظ أن للهزيمة محاسن كثيرة.

نتأملها بشفافية؛ وإذا اقتضى الأمر نترك لها الخيار بأن تلبس ثوباً شفافاً باللون الذي تختاره، على مائدة اجتماعنا هذا، ليكون اهتمامنا منصباً عليها كليّاً، ندرس تفاصيلها الدقيقة؛ ثنيات جسدها، تسريحة شعرها، طريقة كلامها، مخارج حروفها؛

فقد تناهى إلى سمعي أن الهزيمة تلثغ بالراء بشكل مُنفر؛ لنتجنب إذاً كافة المفردات التي تحتوي الراء بما فيها «النصر».

أتخيلُ الهزيمة امرأة جميلة، مُحبة، غير مخلصة أيضاً! ويمكن أن تتلاعب بنا كعشاق متنافسين على قلبها وتخوننا جميعاً!

شخص آخر قد يتخيلها مجروراً للصرف الصحي، علينا أن نحرص على تغطية كافة فتحاته في الشوارع بشكل محكم كي لا يقع فيه أطفالنا.

لا يوجد أي مانع من تخيلها كجرعة سمٍ قاتلة أو غير قاتلة حتى.

بعضكم قد يشط به الخيال ويعتبرها علاجاً كيماوياً للسرطان القاتل الذي يفتك بأجسادنا منذ وعينا هذه الدنيا المليئة بالدكتاتوريات والمغربِلين الجدد والقدامى.

ليس لدي أي اعتراض على أيٍّ من تصوراتكم حول الهزيمة، ولن أضع فيتو على حضور أي شخص بمن فيهم أولئك الذين سيتاجرون بها ويحاولون من خلالها تحقيق مكاسب شخصية.

ما أريده من هذا الاجتماع أن يدرك الجميع معنى الهزيمة، أو أحد معانيها على الأقل [بعد نقاشات ماراثونية طويلة يتخللها تدخل المندوب القطري والسفير الأمريكي]. وهذا ليس غاية بحد ذاته بالطبع!

أن ندرك معنى الهزيمة

يعني أن تتلمس أقدامنا أرضاً يابسة

لنخطو..

في المنفى

نحن؛ في هذا الخواء الكبير، فوهة العدم السوداء التي ابتلعتنا جميعاً، نستذكر كتب التاريخ التي يُنفى فيها الوطنيون إلى مالطا أو حتى إلى أغمات!

نتلو في هذه الفوهة الواسعة صراخنا الذي بالكاد يسمعه أحدٌ؛ وبالكاد يفهم أحدٌ لغتنا المرتجفة والملوثة بالدم.

نحن؛ نحتاج التعاطف القليل، حتى لو كان بحفر قبر لجثة تُركت في العراء.

نحن؛ الجثث المتروكة في هذا العدم الواسع

نريد أيادٍ تلمسنا فقط.

العالم كما يبدو من نافذة المنفى

في ظل هذا العالم المتراكم والمتزاحم، أعني العالم الذي أصبح كله منفى

في ظل هذا العالم الذي يبدو لوحاً من زجاجٍ تهشم بركلة كرة قدم خاطئة من قدم ميسي أو رونالدينو وليس رونالدو!

في ظل هذ العالم الظاهر، المستتر، والذي ربما يستبطن أحاسيس مشردة آخر الليل، أود أن أسأل الجميع، أعني الجميع هنا؛ ما الذي يحدث للعالم عندما يصاب شخص في المنفى بنوبة هذيان! ويتوهم أشياء غير مترابطة.

كأن يرى نفسه لاجئاً يُطلّق نفسه من الحياة، كما في التعبير المستخدم قانوناً في السويد! وينتحر برمي جثته من برجٍ شاهق، أو بحرق نفسه بعود كبريت!

أو يتوهم أنه يفتح الباب صباحاً للذهاب إلى العمل ويسمع جارته الشابة في المنفى تقول له باعتيادية: صباح الخير.. أصبحتُ يتيمة. بالأمس قُتل أبي برصاصة قناص، في الحرب الدائرة في البلاد. ليس مهماً اللغة التي تتحدث بها الشابة، إنكليزية كانت أم عربية!

أو أنه يشعر بشكل جاد أنه في قطار متجه من المنفى إلى بلاده التي جاء منها، وتخبره جارته في مقعد القطار أن زوجها قد غرق في البحر ليلة أمس وهو يحاول العبور إلى البرّ الأوربي!

قد لا يعنيك الأمر

ولكن ربما حدثت هذه التوهمات بالفعل

وهناك بشر تغيرت حياتهم إلى الأبد.

تخيلات لا تخالف القانون

وأنت تحاول النوم على سريرك آمناً في المنفى، نافضاً ذاكرتك من عذاب الرحلة أو تراب الهزيمة، وبانتظار أن تصبح لاجئاً باعتراف معاهدة جنيف، وبينما يقف على بابك وطن على عكاز، أعني الوطن المتخيل الذي جئتَ منه، هرماً كمتسول يتكَفَّف ثمن الدواء أو زجاجة نبيذ تمنحه بعض الدفء في زمهرير الحياة، يمكن لك أن تلهي نفسك بتخيلات لا تضر أحداً ولا تخالف القانون وتخفف عنك ثقل جسدك؛

تخيل نفسك

جرّة ربابة

أو ضربة عود

أو نقرة دف

أو على الأقل صوت جرس في كنيسة مهجورة لم يعد يؤمها المصلّون.

حاذر أن تتخيل نفسك موسيقى داشرة في البريّة! قد تفقد الاتجاهات وقد تجد نفسك في برٍّ موحش لا ماء فيه وقد تقودك أقدامك إلى البحر ويشعل رأسك الحنين إلى البلاد المنكوبة التي جئتَ منها، فتغرق. لأنك تريد العبور دون سترة نجاة، حتى لو تخيلت نفسك موسيقى فهذا لن ينجيك من الغرق. أناس كثر غرقوا بينما كانوا يتخيلون الوصول إلى الجنة التي أنت فيها الآن وتسميها منفى.

وحيداً أتلقى الطعنات في الظلام

أرواح هاربة من العتمة

[1]

تأخرنا كثيراً، وصــلنا أوروبا منهكين من الفجائع، والندم الذي يلبس نظاراتٍ طبية. وصلنا بأسمال ذكرياتٍ، وصرر من الهزائم. وصلنا بأرواحٍ تائهة تغني في نومها مواويل عن محاربٍ طعين تُرك في ساحة المعركة. وصلنا خالين الوفاض من الحب والدموع.

تأخرنا في النجاة،

تأخرنا كثيراً في الوصول إلى البرّ، حيث لم يعد له معنى.

[2]

وصلنا إلى السويد،

من بلادٍ تختلط بالسراب

حالمين بوطنٍ حقيقيٍ

وطناً صالحاً للعيش

كي

نشتمه

[3]

أخيراً

أصبحتُ لاجئاً سياسياً بأوراقٍ رسمية، أحمل أربعة أرقام تعرف عني في الدوائر الرسمية في البلاد.

البلاد التي سأعرف لاحقاً أنها ستأكل عمري ببطءٍ؛ دون شهية، كما يأكل المحاصرون الجثث!

[4]

الأيام تمشي ببطءٍ في هذي البلاد

الشمس، القدر، الخطوات، الكلمات، الفراسة، النظرات، العمى، المشاعر...

كل شيء يمشي ببطء في هذي البلاد

ماعدا سنين العمر تمضي مسرعة.

كأنها عمر يركض للوصول إلى البيت قبل غياب الشمس.

[5]

تأتي الريح في هذي البلاد كعادتها دون مواعيد؛ ريح باردة وتائهة كأنها تمشي في نومها

تأتي بأشياء كثيرة، كالذكريات والحنين الذي يمشي على عكاز كرجل هرم فقد بصره

لكنها لا تأخذها معها حينما تغادر.

[6]

من نافذة عالية أطل على الخراب هناك،
كل يومٍ
يخرج من رأسي سرب طيورٍ، يحلق عالياً، يهاجرُ نحو البلاد
التي جئتُ منها
ولم أعد أعرف الطريق إليها.

[7]

فجأة؛
يتشكل الماضي أمام عينيك
أعني كأن الأمر حدث فجأة!
صار لدينا ماضٍ طويل ومزدحم.

[8]

من هذه النافذة التي بلا دلالات خاصة في الطابق السادس، وأنت تنظر للمدينة بكل جمالها الجاف والناعم، عليك ملاطفة الهزيمة!
الهزيمة ذات حوافٍ خشنة، كحجر صوان مكسور، إن لم تلاطفها ستشق نهارك إلى نصفين، يصبح عبورك في مجرى أيامك محاطاً بالدم؛
الدم الذي ستمشي عليه حاراً ولزجاً وبلا معنى؛ كفضيحة تروجها حسابات مستعارة في شبكات التواصل.

[9]

إنها تمطر!
إنها تمطر الآن
المطر ينقر على النافذة كالمعتاد
يبلل العشب، والأشجار والشوارع، والهواء؛ والأشخاص إن وجدوا..
لكنها تمطر دون أي معنى!
لتدرك ما أعانيه؛ فكر قليلاً بهذه النقطة:
أعيش في البلاد التي يفقد فيها المطر المعنى
ولا يمكنك تخيل قُبلة دون عاطفة تحت المطر!

[10]

كنت أسير في حديقة الله، أو حديقة الكنيسة، أو مقبرة مالمو، التقطتُ صوراً ملونة للأشجار في بداية فصل الخريف. كانت الألوان مختلطة بين الأمس واليوم والغد. ألوانٌ مبتهجة، ألوان شاحبة، ألوان في طريق الموت.
حين التقطتُ الصور،
لم أفكر بمصير الأشجار
ولم أفكر بكتابة تاريخها وآلامها
لم أفكر بحفظ سجلٍ مصورٍ لحياتها
لكنها تُظهر بالصدفة [ربما] تحولات الكائن الحي
أو ما تفعله الحياة بالناس أيضاً.

فيلم قصير بمشاهد داكنة لحياتي هنا

[1]

حياتي الممزقة والمهترئة، كثوبٍ قديمٍ ومهترئ
حياتي هذه؛ يأتي أصدقاء من بلادٍ بعيدة
وأذهب لأصدقاءَ في بلادٍ بعيدة
ليخيطوها
بأصابعهم الواهنة
والمتعبة.

[2]

كشخصٍ مبرمج إلكترونياً
سأبتسم كل يوم
سأبتسم في كل مكان
سأبتسم في وجوه الجميع
سأبتسم للمرآة إن لم أجد أحداً يصغي لابتسامتي
فأنا أتعلم اللغة السويدية
وأتدرب على حياتي كسويدي محتمل.

[3]

الصـــباح يأتي هنا كل يوم، أعني في المدينة التي أعيش فيها، فهناك أماكن في السويد يغيب عنها الصباح أو يأتيها ليلاً. الصباح ليس شرطاً لبدء يوم جديد

مع العنصـرية، تلك التي تبتســم لك في الطريق بلطف، التي تصــافحك بودٍّ وتسألك بأدبٍ خجول:

How can I help you!

[4]

أنا لاجئ بسـحنة عادية، السـحنة التي تصـدر اللاجئين. لاجئٌ غادرته الأحلام، بعدما ضـاقت الحياة به وعليه، وأصـبحتْ بالكاد تتسـع له، دون ثيابه. لاجئ

وصل البرَّ الأوربي

دون جروحٍ جسدية بليغة

خلّفتها الحروب

نجى من الغرق في البحر

وأصبح لاجئاً في شمال العالم

لاجئاً بسحنة شرق أوسطية دائمة

يطارده السويدي الأبيض

ليغرقه في اليابسة.

[5]

أجلس في الظل، أعني أجلس في ظلي، فلا يوجد ظلال في هذه البلاد تســتريح تحتها قبل أن تواصل المسير. أجلس دون أثرٍ أتركه على الأرض، فالبلاد خالية من التراب. أفتش ذاكرتي اليومية عن آثار الطعنات؛

وكترجمان مُحلَّف؛ أقلّب الوجوه المرادفة لمعنى كلمة خنجر باللغة السويدية وأغفو..

[6]

مشيت اليوم في مقبرة موتالا
شعرتُ بارتياح بطيء ودافئ وإنساني
ليس لأنها تبدو كوصف الجنة في الكتب المقدسة؛
بل لأن المقبرة تبدو المكان الوحيد في السويد الذي لا يعاملني فيه سكانه بعنصرية.

[7]

عندما يحدثني شخص باللغة السويدية، أشعر بارتجاف في مفاصلي، دماغي يدور كمروحة سقفيه ويزداد خفقان قلبي، أشعر أن الهواء قد جفّ من حولي، تبدأ حبيبات العرق بالتشكل على وجهي.. لأني أشعر أنه سيأكلني بعد أن ينهي جملته الأولى أو يعضني على الأقل!
فأطلب منه فوراً أن يتحدث معي الإنكليزية. أعتقد أن على منظمة الصحة العالمية إدراج رهاب اللغة السويدية ضمن أمراض الرهاب المعترف بها.

الحنين الذي لا يفهمه الديموقراطيون

إلى نسيب عريضة

لا يصدق السويدي حنينك
حنينك لتلك البلاد الفقيرة والخَرِبة والمدمرة التي يحكمها الطغاة..

لا يصدق رغبتك بالعودة
تاركاً هذي البلاد الديموقراطية الجميلة التي تزدهر فيها العنصرية الملونة كحقول التوليب دون سماد كيماوي.

سقف بيتي خواء

إلى ميخائيل نعيمة

الجميع يعرف المعلومة التي سأقولها لكم؛
أعني؛ أصدقائي، اللاجئون دون تحديد جنسياتهم، الشرق أوسطيون منهم على وجه التحديد!
الجميع هنا يعرف أن السماء في السويد منخفضة وعليك أن تنحني لتمشي على قدميك.

صورة لكأس نبيذ في بار سويدي

كان الجو ماطراً ودافئاً نسبياً في مالمو عند انتهاء دوامي في الكلية. أردت نسيان العنصرية باستعادة ذاكرة قديمة لأيامي في الاسكندرية، أو بدرجة أقل كثيراً أثينا، أو حتى ذاكرتي القصيرة في إسطنبول؛ حيث كنت أجلس بجانب نافذة مقهى أو بار اشرب النبيذ بينما تمطر.
ذهبت لمقهى البيرة، وهذا اسمه؛ حيث اعتدت المكان. هنا في هذه البلاد ليس مستحباً أن تتحدث إلى جارك في الطاولة المجاورة حتى لو لم يكن عنصرياً. ولتزجية الوقت أصبحت أتسلى بالتقاط صورٍ لكأس النبيذ لا يظهر فيها أي

شخص. الخصوصية هنا مقدسة، رغم أنها لم تدون في مذكرات الفايكنغ عن حياتهم.

»السيرفيتريس» التي تظهر بين فينة وأخرى بين الطاولات والمساحات الفارغة، لأن مهنتها هي خدمة الزبائن وسؤالهم عم يشربون؛ وعلى غير العادة وضعت نفسها بشكل مرح في مرمى الصورة عندما كنت أحاول تصوير كأس النبيذ. أخذت موافقتها الخطيّة، على حرية نشر الصورة، وفقا لقوانين حرية التعبير والنشر في السويد.

فقد فكرت على عجلٍ وباستهتار أعمى لا يستدل على الأماكن بسهولة؛ أنه يمكن نشر هذه الصورة مرفقة بنص سأكتبه عن النبيذ.

كتبت لي بالسويدية ما معناه «ليس هناك مشكلة في نشر صورتي. ووقعت.» وأكدت لي بابتسامة لا يمكن تفريقها عن الابتسامات المصنعة في مخابر إيريكسون؛ أن الصورة جميلة، لكنها لم تطلب مني أن أرسلها لها كما يفعل اللاجئون.

لم تكن بذهني خطة للكتابة؛ كنت أريد أن أستعيد الشتاء مع النبيذ، كنت أفكر بصياغة نص شعري للجملة التي قلت لحبيبتي أني سأكتبها لها غداً؛ أي اليوم، والتي نصها حرفياً: «أحبكِ بشكلٍ مؤكد». وكنت أقصد من هذا التأكيد إثارة غيرة النساء! وهنّ متخيلات على أية حال!

الشتاء الطويل في بلادٍ كالسويد
الشتاء الذي لا تشعر ببرده
الشتاء الذي تشرب فيه النبيذ بتواترٍ يفوق أي بلادٍ أخرى
الشتاء الذي لا يُبصركَ
ويتعامل معك كشخصٍ غير مرئي

أو في أحسن الأحوال كأرضٍ مشاع
أو أملاك غائبين
كيف لك أن تبني ذاكرة معه والنبيذ!

ابتسامة في مكانها الطبيعي تثير الدهشة

ذهبتُ اليوم إلى مدرسة اللغة السويدية مبتسماً، ابتسامة حقيقية، ليست كالابتسامات السويدية المصنعة من إعادة تدوير مواد النفايات العاطفية. ولأنها ابتسامة حقيقية [فالجميع هنا يعرف الابتسامات الحقيقية]، فكل من صادفته في الطريق نظر لي باستغراب مبهم، متسائلاً في سره عن السبب الذي يدعوا لاجئاً في هذي البلاد أن يبتسم، ابتسامة حقيقية.

معلمتي [وهي سويدية من الأقلية الفنلندية] تنثر على وجهي ماء المودة كلما رأتني، وأعتقد أنها مودة حقيقية، رحبت بي لأني كنت غائباً بالأمس. بررتُ غيابي، فقد كنت في امتحان رخصة القيادة، ورسبت.

كنت أضحك وأنا أخبرها ذلك بلغة سويدية مكسرة. باركت لي باللغة السويدية، فرفعت يدي قابضاً أصابعي ورافعاً الإبهام دلالة الابتهاج بمباركتها.

سألتها إحدى اللاجئات، التي تجاوزت الستين وتتعلم اللغة من أجل المستقبل؛ على ماذا تباركين له وهو يقول لك أنه رسب. عادت معلمتي للتأكد مني! فأكدت لها وأنا أضحك أني رسبت؛ لكن هذه المرة باللغة الإنكليزية منعاً للالتباس. سألتني إن كنت رسبت بفحص النظري أم العملي. فقلت لها وقد بدأ ضحكي يعلو بالاثنين معاً.

صارت معلمتي تضحك، انتشرت عدوى الضحك بين اللاجئين الذين يتعلمون اللغة السويدية بشغفٍ وحماس لكي يتحولوا إلى عاطلين عن العمل.

اعتذرت من الجميع عن ضحكي غير المبرر، وعن الضحك الذي سببته في قاعة درس عادة ما تكون متجهمة في السويد.

ولم أخبرهم

أن داخلي يضحك

لأن امرأة من خارج السويد قالت لي: أحبك.

خرف مبكر

نزلت من القطار. وكرجلٍ بدأ يحتل مقاعد كبار السن باكراً في هذي البلاد، توجهت للمصعد كي يأخذ بيديّ [أو قدميّ إذا تجنبنا الشعر] من النفق إلى سطح الأرض، كي أرى الدنيا والأشجار التي يحترمها الجميع هنا. كنت أريد المشي إلى بيتي الذي يطل على حديقة، مثل كل بيوت هذي البلاد التي تحترم حق الإنسان والكلاب والدجاج بهواء نقي

تفاجأتُ أن المصعد لا يعمل ونحن في هذي البلاد الخالية من الفساد والبهجة!

تذكرتُ أن اليوم أحد

ونحن في السويد! البلادُ التي تحترم حق الآلات بالحصول على عطلة أسبوعية.

رصاصة طائشة لمكافحة الإرهاب

زرت بلاداً كثيرة وعشتُ في بلادٍ كثيرة

تشـــاجرتُ مع الشـــرطة في كل تلك الـدول، في الهجرة والجوازات، في المعابر الحدودية، في المطارات، شرطة المرور، شرطة الطرق..

في تلك البلاد التي لم يكن من بينها بلـداً مصـــنفـاً ديموقراطيـاً وفقـاً لمعـايير الكنيســـة الـديموقراطيـة الأمريكيـة، شُـــتمـتُ نـادراً، وكنـت أرد الشـــتيمـة بحذافيرها دون خشية الموت، أو سلاح الشرطي.

المكان الوحيد الذي أصبحتُ أخاف فيه من الشرطة هو السويد!

في السـويد كلما رأيتُ شـرطياً أفكر أنه يسـتطيع قتلي برصـاصـة في رأسـي دون مسؤولية تذكر؛ فملامحي لا توحي بالثقة، وعُممت في العالم كإرهابي محتمل.

السويد بصورٍ غير ملونة

البلاد التي نسيتها الحياة

[1]

السويد بلد جميل حقاً
فيها كل متطلبات الحياة
ما ينقصها هو الحياة فقط.

[2]

السويد بلاد تحتفي بالموتى
أما ترى احتفاءهم بالمقابر!

[3]

السويد وهم الحالم
وحيلة الطريق المسدود لآخرين

[4]

السويد بلد الحرية الفردية

يمكن أن تعيش فيها بسلام ككائن فردي، إذا ترك لك أبوك تركة تكفيك شرّ العمل والاحتكاك بشرور الآخرين؛
حينها حتى فردة حذائك لا تتعرف على أختها.

[5]

في السويد؛ كل شيء يبدو جميلاً،
كأنه رسم بدقة عبر برنامج الفوتوشوب؛
الطبيعة
الأشجار
الشوارع
البيوت
النساء
العواطف
الابتسامات
العنصرية أيضاً

[6]

في السويد يوجد بشر في الشوارع التي لا تدركها الوحشة مساءً. حتى عندما تصل الساعة للثامنة، يمكن أن تسير في شارع عرضه عشرين متراً في وسط المدينة وتصادف امرأة تنزه كلبها!

[7]

في السويد؛

إذا كنت تعبر الشارع كنملة، وُلدتْ للتو، من ممر المشاة
سينتظرك السائق يومين متتاليين حتى تعبر
أما إذا كنت تعبره كأرنب، بعيداً عن ممر المشـــاة مقدار ذراع؛ ســـيدهســـك السائق دون أن يرف له جفن، أو يذرف عليك دمعة أو يحاسبه القانون.

[8]

السويد بلدٌ علماني، نسبة ضئيلة من السكان يعبدون الله بمختلف تجلياته، بينما يعبد آخرون جيوبهم [وهو معنى مجازي للحســـابات البنكية]، لكن السويديين عموماً يعبدون القانون بكامل حروفه وعلامات ترقيمه؛
غير أنه عندما يميل لصـالح لاجئ يصـبح «رجســاً من عمل الشـيطان» يجب التحايل عليه.

[9]

في الســـويد هناك مفردات مقدســـة، كأنها آية في كتاب مقدس، بعدها ينتهي أي جدل. فعندما يقول لك موظف ســـويدي «تيفار»! هذا يعني أنك تهدر وقتك [الذي بلا معنى في هذي البلاد ولا قيمة له]، في محاولة زحزحة رأيه المقدس.

[10]

السويد جنة الأطفال
الأطفال فيها نظيفون ومهذبون
يبتسمون دائماً للغرباء

لكنهم للأسف عندما يكبرون

يصبحون سويديين.

نصيحة مجانية

جزء من مهام زعماء العالم الخطابة، مخاطبة شعوبهم. في البلدان الديكتاتورية. الخطابة هي الوظيفة الرئيسية للديكتاتور، أما في البلدان التي تدور في فلك الكنيسة الديموقراطية الأمريكية، فـ مخاطبة الناخبين ضرورة وواجبٌ متكررٌ.

يتلونَ الأكاذيب ويلونونها بألوان العلم الوطني. وهناك دائماً من يصدقهم. لكنهم، ولكثرة تلوين الأكاذيب بالألوان الزاهية يقعون في بعض الأخطاء، ويتعثرون بتعابير واضحة، تتضمن جملاً عنصرية، فتفضحهم وسائل الإعلام في دول فيها حرية تعبير. حدث ذلك مع الرئيس الأمريكي أو أسقف الكنيسة الديموقراطية، زلّ لسانُهُ في لحظة غفلة عن المعايير، وتفوه بتعابير عنصرية، وهو ما لا يرضي حتى بعض ناخبيه.

لو أن الزعماء العالم يلتحقون بدورة تدريبية على إخفاء العنصرية وممارستها بشكل غير معلن لدى الحكومة السويدية لنجوا من الإعلام مهما كان حراً وديموقراطياً.

الأكاذيب مطبوخة بمرق العنصرية

في الســـويد [ودولٍ ديموقراطية كثيرة] لا يوجد قانون يجرّم الكذب، لذلك يكذب الموظف السويدي بشكل مستمر، بحرية يكفلها القانون، دون خشية أو مبالاة. كطريق دائري يكذب، كالأطفال عندما تحاصـــرهم الأمهات يكذب كذباً سريع العطب. يكذب بعنصرية أيضاً، فهو لا يعتبر الكذب أمراً شائناً في العلاقة مع لاجئٍ في بلاده. لا يحاول صـــياغة كذبة مقنعة؛ فأنت كشـــرق أوسطي لا تستحق أن يبذل سويدي أبيض جهداً ليقدم كذبة مقنعة. يكذب بفجور بارد يدمر أعصابك!

في البداية كنت أستخدم تعبير «هذا غير صحيح». ثم بدأت أستخدم تعبير «أنت تكذب»، تحت وطأة الأفكار الواضـحة وغير المهذبة التي أحملها من الشرق. في المرة الأخيرة استخدمت تعبير «أنت تكذب دون خجل».

بالطبع، ليس هناك قانون يحاسبني عندما أقول ذلك، وقد أصبحت أستمتع وأنا أنتظر أن ينتهي المتحدث الســـويدي الأبيض من الكذب، لأقول له: أنت تكذب.

سويديون في مجاز العبرات

شعب يستيقظ باكراً ليتدرب على اللطف

[1]

السـويديون مدربون على اللطف باحترافية شـديدة، يؤدونه بدقة عالية كلاعبي السيرك المحترفين؛
ربما يدرسونهم اللطف في المدارس السويدية!

[2]

السويديون لا يستخدمون التعابير السلبية. فقد تسمعها الغابات وتكف عن الغناء. وقد توقف نمو الموسيقى في مخيلة الأطفال. إنهم شعب إيجابي يكافح من أجل سـعادة سـكان الأرض وتخليصـها من ثقل الجاذبية. يسـتخدمون تعابير إيجابية مدربة على ممارسة اليوغا، تحفزُّ نمو الناتج الوطني للابتسام.
على سبيل المثال؛ هناك قطار سويدي بطيء بطيء بطيء..
اظنه أبطأ قطار في العالم
يسمونه القطار اللطيف!

[3]

السويدي يكره بعض المفردات، فهو لا يحب مفردة كـ النقد
يصاب بطرشٍ فيزيائي حقيقي عندما تنتقده أو تنتقد بلاده.
ينظر إليك ببلاهة وتختفي الابتسامة التي كان يلصقها على وجهه قبل قليل، حتى لو انتقدت البط الذي يسبح في البحيرة بشكل موارب. أما إذا انتقدت العنصرية فأنت تلقي نفسك في محرقة لن تخرج منها إلا بعاهة مستديمة.

[4]

السويديون شعب يحب المديح
القادم من بلدٍ منكوب بالطغاة والحروب إلى هذه البلاد الديموقراطية، التي آوته ومنحته حق اللجوء على أراضيها،
إذا أراد أن يصبح لاجئاً نموذجياً ومحبوباً، ويعيش بسلام، عليه أن يردد:

Tack Sverige

Tack Sverige

Tack Sverige

كساعة حائطية.

[5]

السويدي واشٍ، مخبر بلغة عصرية حديثة. الأمر لا ينحصر بالوشاية لأجهزة المخابرات كما في الدول التي تحكمها الديكتاتوريات.
السويدي يمكن أن يشي بك لشركة السكن، للبلدية، لشرطة الطرق، لشرطة القطارات، لزوجتك، لأبيك. يمكن أن يشي بك إذا رأى جرحاً في

وجهك، أو شاهدك تعرج في مشيتك، إذا دخنت على البلكون أو عدت متأخراً بينما زوجتك نائمة لا تدري عن موعد عودتك.

يضحك عندما تعايره بهذا، فالوشاية تمشي عارية في السويد ولا تستر عورتها، ثقافة البلاد تفخر بالوشاية، كالبعثيين الذي يكتبون التقارير عن معيقي مسيرة الحزب والثورة.

[6]

السويديون لا يحبون الوضوح، من النادر أن تسمع منهم كلمة «لا» أو «نعم»، جواباً. رغم أن السويدية ليست لغة مجازات، إلا أن حياتهم يلفّها الضباب والغموض البنّاء، فالطائر الذي يمر أمامك ربما كان يطير، والأسبوع من المرجح أن يبدأ يوم الاثنين ويتكون من سبعة أيام! فهذا احتمال شبه مؤكد، والنار قد تحرق الفراشات إذا وقعت فيها. وقد تحصل على عمل وربما مزايا أخرى إذا كنت سويدياً أبيضَ وعضواً في الحزب الحاكم! بشكل قانوني وأقل وضوحاً وانكشافاً مما يحصل عليه زملاؤهم في الأحزاب الحاكمة في البلدان الديكتاتورية.

[7]

السويديون باطنيون، ولا أعلم صراحةً، إن كان ذلك بالفطرة أم بالتعليم العلماني؛

يخفون مشاعرهم تماماً وأراءهم غالباً، كالتجار الذين يخفون حساباتهم الحقيقية عن مفتش الضرائب في البلدان التقدمية الفاسدة،

حينما يضطر السويديون لإظهار مشاعر ما؛ فإنهم كالتجار المتهربين من الضرائب يظهرون مشاعر مزيفة.

[8]

في القطار اللطيف؛

صعد سويدي أبيض ناصع من محطة على الطريق وجلس أمامي بتحفظٍ، فأنا أرتدي بشكلٍ اعتيادي ودائم سحنة شرق أوسطية. كنت أشرب النبيذ طوال الطريق، لمداواة آلام البطء والعنصرية. لا يمكن إخفاء سحنتك التي لم يورث لك أجدادك غيرها، والتي تشير بوضوح ناصع إلى أنك لاجئ.

مجاملة لي، شتم بوتين مطولاً، والسويديون يعانون من الروسوفوبيا كمرض اعتيادي.

حينما انتقدت العنصرية في بلاده، لتنويع الحديث وكسر حاجز الرياء، اعتذر بلطف عن متابعة الحديث، لأنه محام موظف في الحكومة.

لم أكن أعرف حينها أن القانون في هذي البلاد الديموقراطية يمنع السويديين في الوظائف العامة من التعبير عن أرائهم!

[9]

السويدي شخص لطيف جداً
يبتسم في وجهك دائماً
حتى وهو يطعنك في ظهرك
لا يتخلى عن ابتسامته!

[10]

السويدي لا يواجهك كمحارب
يتربص بك كعميل استخباراتٍ من الـكي جي بي.

يخطط لاغتيالك دون أن يترك خلفه أثراً
دون أن يترك نقطة دمٍ تشير إليه.

عواطف معلبة قاربت على انتهاء الصلاحية

السويديون لديهم مشاعر إنسانية، عواطف مواساة ودموع وإشفاق، تنتجها المناهج المدرسية وشعارات الحزب الديموقراطي الحاكم.
حين يعم السلام في الأرض، لن يجدوا مكاناً لصرف هذه المشاعر النبيلة.
لديهم دائماً مشاعر تقارب صلاحيتها على الانتهاء، لذلك هم بحاجة ماسة للمآسي؛ حروب، كوارث طبيعية، صور مؤثرة من تلك الحروب والكوارث، مشردون، لاجئون، ضحايا؛ خصوصاً من الأطفال، ليصرفوا هذه المشاعر قبل انتهاء صلاحيتها وتُرمى دون استخدامها؛
إنهم بحاجة تلك البلاد المنكوبة وضحاياها
فهي تشكل مصلحة أو مصحة نفسية حقيقية لهم
فأكثر ما يمكن أن يعطيه السويدي للمنكوبين بسخاء
هو العواطف المعلبة
التي قاربت صلاحيتها على النهاية
بدل أن يرميها في النفايات.

ابتسامة منهكة تستحق الشفقة

عمري يقترب مسرعاً من الخمسين؛ عشت حياتي كلها مهاجراً؛ في سوريا، السعودية، اليونان، مصر، وتركيا، وأخيراً وصلت السويد لاجئاً.

سافرتُ من أكثر من ثمانين مطار، سافرتُ في البرّ والبحر كذلك، زرت آسيا وأفريقيا وأوروبا، وقابلت كثيرين من أمريكا اللاتينية.

زرت دولاً كثيرة، من شمال العالم المتجمد، حتى جنوبه اللاهب. صادفتُ [خلال حياتي القصيرة] الكراهية مرات عدة، وهي تلبس أثواباً وأقنعة مختلفة، رغم ذلك [ينبغي الاعتراف] لم أعرفها عن قرب، وبشكل حميمي إلا في السويد. حيث رأيتُ السويديين البسطاء والمساكين يجاهدون طوال اليوم؛ بل طوال حياتهم؛ لإخفاء الكراهية من وجوههم عبر سترها بابتسامات مهترئة وممزقة.

الحق أقول لكم

إذا جمعنا الكراهية من الجهات الأربع؛ من كل البشر، من الطيور الجارحة، وكلاب الرعي والحراسة

لن تعادل حجم تلك الكراهية التي يحملها سويدي واحد في قلبه الصغير ويجاهد طوال حياته لإخفائها بابتساماتٍ منهكة ومصابة بالاكتئاب المزمن!

لنتعاطف معهم

لنتعاطف معهم

السويديون الذين يحملون الكراهية

في قلوبهم الصغيرة

يستحقون تعاطفنا.

قدرات خارقة

يا لقدرة الناس في هذي البلاد!
قادرون على الحركة في العدم
كأنه أمر طبيعي
كأنهم يتحركون في الحياة
كيف امتلكوا هذه القدرة الخارقة!

سيرة لاتجاهات الريح في السويد

موكب البطة أنّا- كارين

إذا عشـت في القرن العشـرين؛ أو ما زلت تعيش في القرن الحادي والعشـرين فقد شاهدت مرة على الأقل مشهد البط الذي يعبر الشارع بحراسة الشرطة السويدية.

إنه مشهد سينمائي، يفطر القلب لرهافته الإنسانية. تعيد الشرطة تصويره في كل مدينة وقرية؛ تجعله خبراً رئيســياً في الجريدة المحلية؛ تبثه من خلال قنوات التلفزيون الوطنية والإقليمية، على شـاشــات الإعلانات في محطات المترو والقطارات، عربات المترو، الحافلات، القطارات، الســاحات العامة وشبكات التواصل. يتداوله الناس حول العالم عبر الإيميلات والرسائل.

السـويديون لديهم دراسـات معمّقة في علم نفس إخضـاع الجماهير، يعرفون جيداً صــياغة الأخبار الإيجابية. فلمزيد من التأثير على الناس يعطون البط أسماء بشرية عند بث الخبر!

«عبرت البطة أنّا- كارين برفقة أطفالها، إيلينا، لينيّا؛ إيمّا، فيرا، ماتيلدا وبريغيتا الشارع ظهر اليوم وتسببت ببعض الزحام المروري. حضرت الشرطة السويدية إلى المكان لتنظيم السير خلال عبور الموكب الجميل للبط».

يعاد تصوير وبث هذا المشهد عند تأزم الأوضاع البلدية أو السياسات الوطنية، لوضع السويديين تحت تأثير البط فيسهل تمرير القرارات الصعبة بصمت.

عند زيارة رئيس الحكومة لبلد ما، يبث هذا المشهد بلغته المحلية، عبر استئجار مساحات إعلانية، بالطريقة نفسها التي روج بها كيم إيل سونغ أفكاره التي ما تزال حيّة في بلدٍ جائع.

يعاد بثه عند تكسير تمثال زلاتان في مالمو من العنصريين، وعند حصول اعتداءات على اللاجئين أو المهاجرين وعند سحب الدوائر الحكومية لأطفال اللاجئين لمنعهم من التفكير بأكل البط مستقبلاً.

إنه مشهد مهيب. تمشي البطة بثقة كأنها في حفل تتويجها ملكة للبلاد. أما الشرطية فتبكي دائماً وهي تحمل بريغيتا الصغيرة التي توقفت في منتصف الشارع.

الشعوب المتنوعة الثقافات والألوان، ليس لديها رد فعل موحد مثل السويديين والذي تسبقه الشهقة دائما. هناك أشخاص عاطفيون من شعوب الجنوب، أو حتى الشرق، بعضهم مرهفو المشاعر يذرفون الدمع تأثراً، بينما يلعنون بلدانهم، وحظهم، ويضربون أطفالهم إذا قاطعوهم وهم يشاهدون اللحظات المؤثرة لعبور البط. هناك شيوعيون سابقون ممن حلموا بعالم يتساوى فيه البشر والبط والجرذان يلمس هذا المشهد أحلامهم المتبخرة فيقومون بتوزيعه بدلاً عن السلطات السويدية كدليل على صحة أفكار لينين.

هناك أيضاً شعوب كثيرة ممن لم تُغسل قلوبهم من الشر بالثلج السويدي؛ ما زالوا يأكلون البط! هؤلاء يتمنون أن ينتهي تصوير المشهد لينفردوا بآنّا-كارين وينهوا رحلتها في قدر كبير مع البصل والطماطم والبهارات.

لاجئ يعبر الطرق من جديد

مرحباً بك أيها اللاجئ

مرحباً بك في السويد

أعددنا كل شيء لتستريح من بلادك وطغاتها. سنعطيك رقماً بدلاً عن اسمك، وسنختم على جبهتك «Invandrare» ختماً أبدياً، كي يميزك سكان هذي البلاد البيض دون مشقة، فربما يكون لونك بشرتك أبيض أيضاً، فيحسبك بعضُ البيض منهم، إذ ربما لا يدل اسـمك بوضـوح على البلاد التي جئت منها كأن يكون «آدم» أو «ماري».

عليك أن تعرف أن هذي البلاد تحكمها القوانين، وهناك قوانين لا ترى بالعين المجردة. هناك قوانين أخرى لا يراها إلا سكان هذي البلاد القدامى ولا يراها اللاجئون أمثالك.

لكي تصبح لاجئاً جيداً عليك أن تمتنع عن أكل البط وتردد كل صباح الوصايا العشر لقانون يانته، حتى لو لم يكن هناك شمس تشرق:

أنا لستُ مميزاً؛ فأنا مجرد لاجئ. أنا لستُ أطيب منكم. أنا لستُ أذكى منكم. أنا لن أقنع نفسي بأني أفضل منكم. أنا لا أعرف أكثر منكم. أنا لستُ أهم منكم. أنا لا أصلح لعمل أي شيء جيد. أنا أقسم أني لن أضحك عليكم. أنا أعرف أن لا أحد يكترث بي هنا. أنا أعلم علم اليقين أن هذي البلاد لن تتعلم مني شيئاً.

حاذر أن تحاول التلاعب بنا، فنحن نعرف عنك كل شيء، ونسجل كل خطواتك، وحتى تردد أنفاسك. حاذر أيها اللاجئ! فلن تنجو إذا انتابك شك بهذي الوصايا. لدينا عقوبات لن تراها وغير مدونة في سجل العقوبات المكتوب! كأن نرميك في بركة وحلٍ غير مرئية ستمضي حياتك محاولاً الخروج منها.

• قانون يانته بالإنكليزية: Law of Jante وبالدانمركية Janteloven هو قانون اجتماعي غير مدون كقانون، ويعتبر مدونة سلوك للأفراد وعلاقتهم بالمجتمع ليس في السويد فقط بل في عموم دول اسكندنافيا.

يتكون القانون من عشر وصايا وبند خاص بالعقاب ويعبر عن رفض المجتمع للتمايزات الفردية والنجاح الشخصي، ويمثل الطبيعة المساواتية في تلك الدول. ينظر المجتمع، أو الأفراد الذين يتكون منهم المجتمع على وجه الدقة، بعين الريبة وبعض العداء، لكل من يخترق هذه القواعد غير المكتوبة لأن ذلك يتعارض مع الرغبة المجتمعية في الحفاظ على الانسجام والاستقرار الاجتماعي والتماثل. جاء «القانون» من رواية ساخرة للمؤلف الدنماركي-النرويجي أكسل سانديموس «هارب يعبر طرقه»، بالإنكليزية

«A Fugitive Crosses His Tracks»

وبالدنماركية:

. «En flygtning krydser sit spor»

خطابات سويدية في شؤون اللاجئين

في السويد لا يحبون الخطابة ولا الفصاحة. السويديون يحبون البط. إنقاذ حياة البط أولوية قصوى يتدرب عليها الأطفال منذ الولادة. يتدرب عليها السائقون والشرطة. يرسلون البط في رحلات تشبه الرحلات المدرسية على نفقة دافعي الضرائب، حتى إنك يمكن أن تجد بطاً سويدياً يعتمر قبعة السياح كي تقيه من حرارة الشمس في جزر الكناري أو جزيرة بالي، مع وفد حكومي لحمايته من أخطار محتملة يسببها بشر آخرون يعتبرون البط مجرد نوع من أنواع الطيور.

فجأة؛ انتشر فن الخطابة في السويد كأنهم اكتشفوا أرسطوثيلّس للتو. ترافق ذلك مع زيادة أعداد اللاجئين، رغم أنه لم يكن بينهم يونانياً، لنخمّن أنه حمل كتاب الخطابة إلى هذه البلاد، فتُرجم إلى اللغة السويدية، فاليونان لم تعد بلاد تصدر اللاجئين، إنها تصدر الزيتون والنبيذ الذي يصنعه الفلاحون.

فجأة؛ ترك السويديون الاهتمام بالبط؛ والأيائل كذلك، ودون إعطاء إشارة؛ دلالة على الانعطاف، انتقلوا للخطابة في قضية اللاجئين.

راعت الخطب شروحات كتاب فن الخطابة حتى لكأن الجميع درسه وقدم فيه رسالة بحثية.

صعد خطيبٌ إلى المنصة، بلباس أنيق وابتسامة متزنة، وشعرٍ مسرح بعناية، وبشرة بيضاء ناصعة، كأنه ممثل في أحد مسرحيات سوفوكليس أو يوريبيديس:

أيها الشعب المحب للخير والسلام، لنرحب باللاجئين، هؤلاء الذين قدموا من بلاد منكوبة بالحروب والمجاعات. إنهم بشر. إنهم أبطال. قطعوا البحار

والغابات والجبال حتى وصــلوا إلى واحة الســلام. مات عدد منهم في الطريق، وبعضهم فقدوا عائلاتهم هناك في ظل الحروب..

بكى الخطيب، لمزيد من الإقناع والتأثير في الجمهور الســويدي المســتهدف. بكت النســاء الســويديات أولاً ثم بكى باقي الجمهور. تهتف امرأة عاصــرت الحرب العالمية الثانية: لنرحب باللاجئين.. لنرحب باللاجئين الأبطال.

التلفزيونات، الراديو، الصحف، شــبكات التواصــل، الإذاعات المدرســية، إذاعات القطارات والحافلات.. نقلت الخطاب المؤثر المشــحون بعاطفة مصنعة في مصانع إيريكســون. عمّت البلاد حمّى الترحيب باللاجئين، لم ينجُ منها حتى الأطفال، الذين اشتروا بمدخراتهم دببة صغيرة مصنعة في الصين للترحيب باللاجئين.

ثم؛ ملّ الناس من مسرحية اللاجئين، التي قدمت في كل المسارح والشاشات والأثير وعلى متن السفن السويدية التي تنقل السلاح ومعدات التجسس إلى الدول والشعوب المتحاربة.

في هذه البلاد الديموقراطية، التي يحكمها حزبٌ ديموقراطيٌ واحد منذ أكثر من قرن ونيّفين، ويفوز في الانتخابات بشــكل مســتمر كما يفعل الحكام في البلاد التي قدم منها اللاجئون، سرت همهمات بين الناس سراً، في الشارع، في الأسواق، في مكاتب العمل، في الدوائر الحكومية، في مطاعم شركة إيكيا، في المدارس والجامعات الحكومية والخاصــة، في اتحاد الكتاب؛ إن هؤلاء الضحايا يتكاثرون بســرعة. ربما تلدُ نســاؤهم توائم، ربما تلد نســاؤهم في السنة أكثر من مرة.

رأتني فتاتان سويديتان، ألبس كالمعتاد سحنتي الشرق أوسطية، وأتحدث مع أصدقاء لاجئين؛ إذ من الصعب أن تصبح صديقاً لأحد من سكان هذي البلاد

الذين قدموا إليها قبلك بعدة قرون، وكنت أضحك بصوت عالٍ كما اعتدنا في بلادنا، حينما مررتُ بجانبهما سمعت إحداهن تقول للأخرى:

Oh Too many Refugees

عم البلاد السخط، سخط مكتوم لكنه واضح، انتشرت إشاعات بين السكان «الأصليين» إن هؤلاء القادمين الجدد يحملون أوبئة سريّة في أجسادهم، ويتعمدون ارتداء سحناتهم الأصلية الرثة والمخالفة لمعايير الحياة في السويد. إنهم يخبئون الصحراء تحت جلودهم!

كتبت صحفية شابة في جريدة وطنية: هؤلاء القادمون الجدد في عيونهم نظرات قاحلة قد تسبب التصحر لهذه البلاد الخضراء.

صعد الخطيبُ الذي رحب باللاجئين من قبل، دون أناقة تذكر، بابتسامة شاحبة، وشعر غير مسرح، إلى المنصة ذاتها، كأنه خرج للتو من فيلم روي أندرسون «حمامة تجلس على الغصن وتتأمل الوجود»، قال وهو يغالب الدموع:

يا شعبنا العظيم

أيها الشعب المحب للآخرين والسلام

اكتشفنا أن هؤلاء اللاجئين

يأكلون البط..

شهقت النساء أولاً، الشهقة التي يتدرب عليها السويديون كحرف من حروف اللغة، شهق الرجال، شهق بعض اللاجئين الذين يشعرون بالاندماج في أدمغتهم. التلفزيونات، الراديو، الصحف، شبكات التواصل، الإذاعات المدرسية، إذاعات القطارات والحافلات.. نقلت الخطاب الحزين المشحون بعاطفة مصنعة في مصانع إيريكسون. عمّت البلاد حمّى السخط على اللاجئين لم ينجُ منها حتى الأطفال، الذين اشتروا بمدخراتهم دببة صغيرة

للاجئين مصنعة في الصين، قبل فترة قصيرة، فاشتروا دمى ملونة من البط، من الصين أيضاً، وخرجوا بمسيرات مدرسية تطالب بحماية البط من الأشرار.

رُحّل عددٌ من اللاجئين إلى بلادهم المنكوبة بتهمة أكل البط. فصل العديد من وظائفهم بتهمة أكل البط. طرد أطفال من المدارس بتهمة أكل البط.

بدا أن لا علاج لتلك الحمّى رغم تقدم الطب في البلاد. ازدادت نسبة البطالة، فقال رئيس الحكومة في جلسة خاصة أمام البرلمان «إن القادمين الجدد يأكلون البط». ارتفعت نسبة الكولسترول في أجساد النساء الرشيقات اللواتي يمارسن التمارين السويدية حتى أثناء النوم، وبررت وزارة الصحة ذلك بـ «إن القادمين الجدد يأكلون البط». ارتفعت أجور المساكن فقالت شركات السكن في بيان موحد «إن القادمين الجدد يأكلون البط». ارتفعت نسبة العنوسة بين السكان فقالت وزارة السعادة «إن القادمين الجدد يأكلون البط».

صعد رئيس الحزب الذي تصنفه الأحزاب الأخرى كحزبٍ معادٍ للقادمين الجدد وقال في خطبة واضحة، لا تلبي معايير أرسطو، ودون انفعال على ملامحه:

كفى

كفى

كفى

لدينا مشاكل كثيرة وجديّة في هذه البلاد تحتاج إلى حلولٍ من الحكومة سواءً أكل اللاجئون البط أو اللحم الحلال. قسَّم أجدادُ اللاجئين اليومَ إلى أربع وعشرين ساعة لنتحدث ساعة واحدة كل يوم عن شرور اللاجئين وتأثيرهم على الثقافة الوطنية والاقتصاد الوطني وهذا يكفي.

ورديات ليلية لعمل فَقدَ الطريق

في السـويد هناك مكتب للعمل، العمل الذي قدسـته الآلهة والنمل وتكرهه الصراصير. في المكتب جيوش من الموظفين النظيفين وذوي البشرة الناصعة البياض يقبضـون رواتبهم من مخصـصـات الحكومة لدمج اللاجئين. فيه مترجمون من كل اللغات، حتى أنك قد تجد مترجماً من اللغة السـومرية أو لغة قبائل الهوتو، مختارون بعناية، من اللاجئين القدامى الذين اندمجوا في المجتمع الجديد، وتعلموا كتابة التقارير باللغة السويدية عن الأفكار الضالة التي حملها اللاجئون في أدمغتهم الممزقة وهم يعبرون البحار وتنتقد الموظفين البيض والبط والحكومة الديموقراطية.

في هذا المكتب، يُغسلُ اللاجئون بالماء الساخن المضاف له مبيض الغسيل، ويعقمون بالكلور مضافاً له بعض المعطرات المستخلصة من الصنوبر البري، يصنفون في ملفات إلكترونية سهلة الوصول. يضعون علامة مبهمة بجانب كل شخص تحدد مدى صلاحيته للمرور إلى جنة السويد.

هنا، أعني في هذا المكتب، عليك أن تنسـى مهنتك السـابقة، فهنا مكان البدايات الجديدة. «الهاندليغري» الذي صرت تحت وصايته كقاصر لا يجيد الكلام ولا المشـي دون مسـاعدته، شخص ناصع البياض ومدرب على فهم مصـلحتك ونفسـيتك أكثر من أبيك وأمك في بلادك، سـيقترح عليك مهنة جديدة، تلبي طموحك وطموح أجدادك وتنفع هذي البلاد.

فإن كنت طبيباً سـيقترح عليك أن تعمل كسـائق قطار! قد لا يبدو لك ذلك منطقياً لأول وهلة، فأنت قادم من بلادٍ لا تعرف التفكير الابتكاري خارج الصـندوق، وتحسـب أنه ليس هناك علاقة بين مهنتك السـابقة ومهنتك الجديدة، لأنك ملوث بأفكار منطقية بالية تتبول في سـراويلها، حملتها معك

من البلاد، فالمهنة هذه تتيح لك تأمل الطريق كل يوم ومشـاهدة الأشـجار الخضـراء على الطريق وقد ترى الغزلان تتقافز من بعيد مما يجعلك تفكر باختراع دواء لمرض ما في أحلامك التي لن تنقطع.

أما إذا كنت مهندساً معمارياً فإن أفضل مهنة لك هي العناية بكبار السن؛ حيث تختبر الصبر وتشاهد فعل الزمن بالبشر وتكتشف مصير الإنسان وعمارته الداخلية.

أما المهن الأخرى كالصحفي والمعلم والمحامي فإن أنسب مهنة لهم هي «السرفاتور» إذا كان مذكراً و«السيرفتيرس» إذا كان مؤنثاً، لأنها تتيح لهم الكلام مع الناس وتكوين خبرات عن المشاعر المترملة التي ستحتاجها بينما تقطع تذاكر ركوب القطار لعبور الليل.

عليك أن تعلم أن هذه مجرد اقتراحات، لكي تتبع بعدها دورات تعليمية طويلة لتصبح صالحاً للمهنة فليس من مهام مكتب العمل أن يبحث لك عن وظيفة.

هتاف جماعي في شوارع مقفرة

في أوروبا، وفي السويد التي في شمالها البارد، هناك مفردة انتشرت كإشاعة ترعاها منصّة X رغم الثلوج في تلك البلاد، التي تعرقل حركة القطارات في بعض الأحيان. انتشرت كالنار في هشيم اللاجئين. لا يمكن تجنبها مهما أثارت لديك من غثيان. أينما ذهبت تجدها، مثل الوحدة والحرية والاشتراكية أهداف حزب البعث في أيام مجده.

أينما تلفتَّ تسمعها كشعار وطني، عليك أن تقف لتردده «اندماج تام حتى في المنام». القادمون من الدول المنكوبة بالأحزاب الأبدية معتادون على ترديد شعارات كهذه.

الكل يرددها، الجادون والمغفلون والانتهازيون وأصحاب الدكاكين والفاسدون والطامحون والفرق الموسيقية والمسرحية وألعاب الأطفال الإلكترونية الناطقة... كأنك تشاهد تلفزيون الديكتاتور كيم إيل سونغ وهو يعيد خطبه ومقولاته التي ستنقذ العالم من ضلاله.

تشبه حملات التنسيب للحزب الحاكم في بلد ديكتاتوري يحكمه جنرال قاد انقلاباً سلمياً بكتيبة من الدبابات. في المدارس في الجامعات في مكاتب العمل في دوائر الهجرة في الحافلات في دوائر الخدمة الاجتماعية في أماكن اللهو على شواطئ البحيرات في مسرح العبث والأفلام التجريبية..

لا تتوقف محاولات الإدماج القسرية هذه، فلا مستحيل أمام العلم والبنيوية التفكيكية. هناك تجارب تاريخية ناجحة لتفكيك الجماعات البشرية والأفراد مثل تلك التي قادها بول بوت. المجتمعات الصناعية المتقدمة لديها آلات قادرة على خرط مجموعات بشرية متمايزة ومتخلفة بالمخرطة وإعادة تركيبها كقطع نافعة في مجتمعات متقدمة تحت راية الاندماج التام من أجل غدٍ موحد يُنتج فيه عصير النشيد الوطني من قشور الأفكار العضوية المتحللة.

على القادمين الجدد إلى هذه البلاد المتقدمة أن يتعرّوا من ثيابهم وسحناتهم ولكناتهم وثقافتهم وأديانهم أيضاً؛ وكتمرين صباحي يصرخون مثل صرخة طرزان في الغابات:

«الاندماج التام حتى في المنام».

الـذين يقررون العيش في هـذي البلاد عليهم محبـة البط وعـدم السـير على طريق الدراجات، وتعلم الشـهقة السـويدية وصـبغ وجوههم بمسـاحيق سويدية بيضاء حتى لو كانوا بيض البشرة بالأصل.

بالطبع، حتى لو فعل القادمون الجدد كل ذلك، فمن غير الممكن أن يحصلوا على فرص متساوية مع سكان البلاد الأصليين في حق العمل، فيجب ألا ننسى أنهم يأكلون البط.

إعادة تأهيل لأطفال خربتهم حكايا الجدات

لنكن واضحين؛

من الذي تسبب بخراب البلاد التي قدم منها اللاجئون! ألم يكن أولئك أطفالاً تربوا في أسرٍ في تلك البلاد، وكبروا وأصبحوا رجالاً ونساء يسنون الخرائب في أصـولها وفروعها! هل أمطرت السـماء الديكتاتوريين أم نبتوا من الأرض كأشجار التين والزيتون!

لقد كانوا أطفالاً، ففي الشرق والغرب لا يولد الناس كباراً.

لحسن الحظ يوجد في السويد قانونٌ لحماية الأطفال من الشرور المحيطة، كالطرق والطقس والجاذبية والأسرة.

لنكن واضحين؛

سـيكبر أطفال اللاجئين في هذي البلاد، وهم يتكاثرون بسـرعة مخيفة. ربما يتطوعون في الجيش، ربمـا ينخرطون في الأحزاب، ربمـا يُقبل بعضـهم في الوظائف الحكومية رغم أن هذا يخضـع لغربلة دقيقة تشـرف عليها كائنات غامضـة ربما هي المخابرات. هل تريدون أن يسـنّوا تشـريعات الخراب كما في

بلدانهم! ما الذي يجعلنا واثقين أنهم لن يقوموا بانقلابات عندما يكبرون كما فعلوا في بلدانهم!

لنكن واضحين؛

أُسر أطفال اللاجئين غير مؤهلة لتربية صالحة وناضجة وابتكارية للأطفال اللاجئين. نحن دولة ديموقراطية، تقدس الطفولة والبط والأيائل وصغار الأرانب، علينا أن نحمي هؤلاء الأطفال من أسرهم. من التربية الرثة والألوان الداكنة وأكل الكوارع. هل تتخيلون أن طفلا غضاً يعيش في بلد ديموقراطي نتركه يأكل الباچة!

السويد بلد ديموقراطي؛ تحمي الأطفال ومزارع الضحكات العضوية. تنزع الأطفال من أسرهم التي ترهبهم بأن الذئب سيأكلهم إن لم يطيعوا أمهاتهم، وهو ما يجعل الطفل يخطئ في حل معادلات المستقبل. ماذا يُضير هذه الأسر أن يُربي أطفالهم أسر سويدية بيضاء تتقن الإيجابية وتحضير حلوى السيملا بطريقة صحيحة وصحية، وتدمجهم في النشيد الوطني للبلاد!

حمامة سويدية تطير بأجنحة بيضاء

السويديون يحبون الأطفال! هذه حقيقة علمية وجدها رحالة مجهول تحت ظلال الزيزفون. يحبون الأطفال أكثر مما يحب الجزراويون المشبك أو المولّيا. الجزراويون يحبون بنهم؛ ويمكن تفهم ذلك لأنهم شعوب عانت من المجاعات وفقدان البوصلة في بلاد تسير على ساق واحدة.

لكن السويديين يحبون الأطفال بأناقة شديدة؛ يتركون مسافة حياد بينهم وبين الأطفال، يدربونهم على فهم آلة الزمن والتعابير المستقيمة الواضحة. يعلمونهم منذ العام الأول نبذ المشاعر العشوائية؛ والتفكير بشكل جماعي

موحد ومستقل! التفكير كفرقة موسيقية تتقدم عرضاً عسكرياً في كوريا الشمالية. يعلمونهم الانضباط التام في التعبير عن المشاعر الإيجابية وخنق الهلوسة الضارة والأحلام التي تشذ عن القطيع لأنها لم تقرأ قانون الطفل.

العالم كله يعرف أن السويد يعاد تصميمها بين حين وآخر لتصبح فردوساً دنيوياً للأطفال والحوامل؛ فردوس مجفف من الفيروسات والبكتريا والمشاعر المؤذية والأحلام الطفولية غير المفهومة والتي قد تتسبب بعرقلة حافلات المدرسة والتقدم العلمي واختراع شيء ما.

لا أريد أن أبدو مجانياً، إذ يمكن كتابة الكثير عن أطفال السويديين، فهم على سبيل المثال يتعلمون كراهية الحلوى منذ الصغر لأنها تسبب التسوس. كما يتعلمون من العائلة بشكل مبسّط كراهية الألوان التي تخدش الأبيض الصافي الذي اعتادت عليه عيونهم بسبب هطول الثلوج المستمر.

إذاً؛ لأن السويد صحراء من البياض؛ والسويديون شعب أبيض، وأطفالهم يولدون بسحناتٍ بيضاء، الطبيعي إذن أن يحبوا الأطفال البيض. أين المشكلة في ذلك!

هؤلاء القادمون من الجنوب والغبار والألوان غير المنسجمة مع نفسها أو صوت الموسيقى، الذين ينشرون الإشاعات والتضليل عن خطف أجهزة الحكومة لأطفال اللاجئين الملونين؛ لا يعرفون السويد؛ ولا يعرفون علاقة السويديين بأطفالهم البيض؛

فأجهزة الحكومة تأخذ الأطفال الملونين لتصبغهم بالأبيض؛ فيصبح بإمكانهم الاندماج مع التفكير الموحد لفرقة الموسيقى التي تتقدم عرضاً عسكريا في كوريا الشمالية، واللعب مع أقرانهم بالآلات الموسيقية المقررة دون أن يعزف أحدهم نغمة ناشزة أو يظهر بلون يخدش الأبيض ولا يلبي طموحات البلاد.

سوء حظ الأطفال الذين عاشوا في الشرق

السويد، وهي بلد تحت ظلال الكنيسة الديموقراطية الأمريكية، تحترم حقوق الطفل، وتحميه من الكلام الطائش، وانفعالات الأمهات التي قد تؤثر على قدرته على حل مسألة في الرياضيات. لا يتركون الأطفال عرضة لعواطف طائشة مبالغ فيها، كأن تقول أم لطفلها الذي قام بمعجزة ورسم وردة بشكل بدائي وبسيط «يا ألله يا حلاتك.. تعال آكلك». اللغة السويدية خالية من المجاز، والسويديون لا يعرفون المبالغة في التعبير عن حبهم لأطفالهم، كما أن الفايكنغ لديهم تاريخ من الاتهامات من الإنكليز بأكل لحوم الأطفال. لذلك جملة كهذه قد تكفي لأن يتدخل «السوسيال» وينتزع طفلها ليحمي حياته.
يا لسوء حظ أطفال الشرق؛ لو كانوا عاشوا في دولة كالسويد لتمت مصادرتهم جميعاً من أمهاتهم، وأعطي كل طفل لأسرة بيضاء ليتربى وحيداً دون إزعاج بقية أخوته الكُثر، الذين يخطفون ألعابه دائماً، وناموا في أسرّة وثيرة من إيكيا، بدلاً عن فراش العيلة الذي كانوا ينامون فيه جميعاً، ولنجوا من عقاب أمهاتهم عندما يكسرون الصحون.

استجابة مستدامة لشعار الاندماج

الدورات العملية المكثفة التي أُخضع لها اللاجئون لتعلم طرق العيش المتحضر، والتثقيف الجماعي أدى لرفع الوعي بمخاطر ثقب الأوزون. القادمون من البلاد المنكوبة بدأت نسبة منهم تنخرط في ثقافة بلدانهم الجديدة وتتسلح بالوعي العضوي لحماية مستقبلها. أثمرت مشاريع الإدماج

في البلدان المتحضرة التي تشرف عليها الحكومات الديموقراطية. صار هناك أنواعاً من المندمجين في السويد يتحدثون لبني قومهم بشكل علمي ورصين عن فوائد الإدماج.

فالمندمج العادي؛ لم يعد يشطف مؤخرته بالماء بعد دخول المرحاض، وبعضهم يرفض استخدام المحارم أيضاً! اعتقاداً بأن ذلك معيق أساسي للتفكير الابتكاري والنظرة الإيجابية للحياة والغيوم الممطرة. بعضهم يتحمس كثيراً في رغبته الإندماجية والتخلص من رائحة الصحراء العالقة في سحنته، فيعلق حلقاً في خصيتيه إذا كان رجلاً أو في سرّته إذا كانت امرأة، من أجل التماهي الفاعل مع ألوان النشيد الوطني الأبيض.

أما المندمج المتطرف؛ فيؤمن بالعلم بشدة ولديه حقيقة مُثبّتة تقول إنّ عدم تنظيف المؤخرة بالماء بعد دخول المرحاض وإحداث الواقعة الكبرى يؤدي لتزايد البكتريا حول فتحتها التي تتفاعل بينياً وترفع معدلات الذكاء! ويبرهن على هذا بكثرة الاكتشافات والاختراعات في السويد.

• يستخدم السويديون من أصول لاجئة والمقيمون في السويد كلاجئين مصطلح «اللواحس» للدلالة على اللاجئين الذين يدافعون بشكل مستمر، طوعي أو مدفوع على شكل مكاسب، عن سياسات وقرارات الحكومة حتى لو كانت ضدهم، والذين يلقون اللوم دائماً على اللاجئين في فشل سياسة الإدماج القسري لأنهم متخلفون. يشير بشكل مجازي إلى لعق الأحذية أو أشياء أخرى.
ينادي «اللواحس» بطرد اللاجئين الذين ينتقدون أي جانب من جوانب الحياة السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية في السويد من البلاد إلى صحراء الربع الخالي إذا تعذر إعادتهم لبلدانهم المتخلفة التي فرّوا منها.

جنة العزلة المحرمة

هذي البلاد جنة العزلة، جنة العيش الفردي المستقل، حيث يفضل الناس الحوار مع الأشياء التي لا تجيد النطق. يتأمل الناس [هنا] ذواتهم لأيام طويلة دون أن يكونوا مطالبين بالوصول إلى نتيجة ما. لقد وصلتِ الناس في هذي البلاد إلى تأمل بياض الثلج وهو يسقط بهدوء، فالثلج في هذه البلاد يتأمل نفسه بينما يسقط على الأرض.

لكن؛ ترف تأمل الذات، وتأمل الهزيمة، وتأمل الانكسار، وتأمل هذا المكان الغريب غير مخصص لـ اللاجئين القادمين من الشرق، فهؤلاء لم يأتوا من بلدانهم كي يمارسوا رياضة التأمل، جاؤوا لاجئين وعليهم دفع ثمن لجوئهم.

الأفراد الذين عاشوا على هامش مجتمعاتهم الأصلية، الذين كانوا ناقدين لثقافة مجتمعهم، الذين لا يرغبون بالتواصل المستمر مع المحيط، الذين لا يحبون الاندماج في محيطهم ولديهم هواجس تأملية، كأن يتأملوا نمو وردة أو يتابعوا لوقت طويل فراشة تطير أمامهم، أو البعوض وهو ينتحر مرتمياً على الضوء، هم عبء على هذي البلاد ومن الأجدى أن يبقوا في بلدانهم ويموتوا هناك ببرميل متفجر أو قصف مدفعي.

أولئك الهاربون من الشعارات، الذين يكنون عداءً للشعارات حتى لو كانت ديموقراطية مزينة بالابتسامات، الذين يكرهون الدجل السياسي المستمر حتى لو كان تحت جمل تتغنى بحق الإنسان في النجاة من الحرب.

أعني نحن الهاربين من عالم مليء بالشعارات، الذين لا نبحث عن شعارات جديدة. الذين نبحث عن فرص متساوية في الحياة دون تمييز كالحصول على العمل حسب مؤهلاتنا مثلا! نحن عبء على هذي البلاد.

قصص نجاح بلغة الإشارة

لاجئ يجد طريقة للاندماج عبر الغناء

لاجئة تندمج عبر الطبخ

لاجئ يندمج عبر العود

لاجئ يندمج عبر لغة الإشارة

هذه عناوين في صحف أوروبية تلبي معايير الصحافة لدى الكنيسة الديموقراطية العالمية، وتستجيب لحملة الدمج الوطنية التي ترفع شعاراتها حكوماتها الديموقراطية، وليست من تأليفي.

الصحافة في السويد مرتبطة بشدة بالحكومة، الإعلام عموماً، بما فيه المستقل فيتلقى دورات تدريبية في لغة الإشارات الحكومية. الريح الحكومية في السويد تجعل الكلمات تميل، بالاتجاه الذي تريد.

فحينما كانت الحكومة ترفع شعار «Welcome Refugee»

كانت الصحف المحلية والوطنية تتسابق لترجمة إشاراتها وتتحدث عن مجتمع متعدد الثقافات، اللاجئون فيه مصدر غنى. كان على الإعلام أن يخلق قصصاً إخبارية عن نجاحات اللاجئين، ولأنه عملياً لم يكن متاحاً أمام اللاجئين الكثير من الدروب للنجاح الحقيقي، لم يكن أمامها سوى النفخ في الفراغ.

يفتتح لاجئ مطعماً في بلدة مهجورة فيحتل الصفحة الأولى في الجريدة المحلية التي تمولها البلدية كقصة نجاح.

يجد لاجئٌ عملاً في شركة تغليف للخيار العضوي المستورد من اليونان فتقدمه الصحف كقصة نجاح.

يزرع لاجئ الباذنجان في حديقة منزله فيلتقي معه الراديو ليسرد للشعب قصة نجاحه.

ينظمون مسابقة لملكة جمال التوت البري، ويمنحونها لـ لاجئة من أفغانستان، فتحصل على تغطية واسعة في التلفزيون الحكومي، الذي يدّعي أنه خدمة عامة مستقلة، كقصة نجاح، تشكر الملكة السويد وأخواتها الإسكندنافيات! التي أتاحت لها أن يتفتح جمالها البري وتحصد اللقب التوتي.

ولولا أن السويديين لا يتزوجون من الغرباء ولا يشجعون عليه لوجدنا عنواناً في إحدى الصحف الديموقراطية: علماء بريطانيون يثبتون أن أسرع طريقة للاندماج هي عبر التواصل الجنسي.

عنصرية تغني لحرية التعبير

عن الكلاب الملونة التي يدللها السويديون

السويديون يشترون الكلاب بكثرة

تراهم يرافقون الكلاب في كل مكان

في الحدائق في الشوارع في المقاهي في القطارات في الليل في النهار..

هناك أقسام ضخمة في كل سوبر ماركت سويدي مخصصة لطعام الكلاب.

ربما لا يصح أن نستخدم تعبير «السويديون يرافقون الكلاب»، لأن الكلاب طوال الوقت مربوطة بحبل بيد السيد السويدي الأبيض الناصع المبتسم، أو السيدة السويدية البيضاء رائعة الجمال. يجرونها خلفهم أو يتركونها تتقدم أمامهم بمقدار طول الحبل الذي يحكمون إمساكه ويتحكمون بطوله بطريقة آلية.

الكلاب التي تعيش في السويد [كما لاحظت خلال عقد من الزمن] تتميز بالخضوع التام لمالكها. مدربة على الخضوع بشكل مطلق، حتى إن صديقة أفريقية قالت لي مرة: السويد بلد متقدم؛ ربما دجنوا سلالة خاصة من الكلاب خاضعة جينياً.

في الحدائق، ولمرات كثيرة ومدن مختلفة، رأيت بعيني كلاباً لطيفة تجلس وتتمسح طوال الوقت بأقدام سيدها أو سيدتها. وبحسب اعتقادي ودون تقديم أدلة دامغة فإن الكلاب التي يملكها السويديون مدربة على الفهم

السريع والعاجل، إذ يكفي إشارة أو إيماءة من السيد أو السيدة لينفذ الكلب ما طلب منه ما بين غمضة عين وانتباهتها.

لا أذكر أني سمعت كلباً تجره سيدة أو سيد ينبح أو يعوي! وحقيقة لا أدري إن كانت الكلاب التي يملكها السويديون تمرض فلم أذهب لأي عيادة بيطرية. كما لم أقرأ القانون السويدي الخاص بالتعامل مع الكلاب؛ فبالكاد كان لدي وقت لأقرأ قوانين اللاجئين المتغيرة بسرعة متناسبة طرداً مع صعود العنصرية؛ لذلك لا أعرف إن كانت ممارسة الجنس مع هذه الكلاب اللطيفة مسموح قانوناً كما في جارتها الدانمرك!

لم أسأل أيَّ سويديٍ إن كان ينظر للكلب بصفته آخر، ولكني رأيتُ سيدة سويدية شقراء رائعة الجمال في الحديقة المشتركة لمنزل صديقي، تصنع حلقة بقطر ثلاثة أمتار من القضبان المعدنية وتحبس كلبها المدلل داخلها دون حبل! وتتمدد خارجها تتشمس؛ بينما تتحاور معه داخل الدائرة المغلقة لساعات طويلة.

الكلاب التي تعيش في السويد تلاطف مُلاكها بشكل دائم، يمكنك أن ترى بشكل متكرر كلباً يعانق سيدة سويدية جميلة في حديقة على العشب أو حتى وهي تجلس على مقعد أيضاً! حتى أني سمعتُ لاجئاً يقول لصديقه مرة: ليتني هذا الكلب.

يمكن القول دون أي تردد أو خشية من مخالفة الحقائق إن السويديين لديهم خبرة متراكمة في التعامل مع الكلاب. وكما استنتج باحثون كثر: السويديون يحبون الكلاب الخاضعة ويدللونها. بل يعتبر الإعلام العالمي السويد جنة الكلاب. كذلك يحبون اللاجئين الملونين أيضاً.

كوبنهاغن أو عاصمة العنصرية في النوردك

وصلتُ كوبنهاغن
حيث تمشي العنصرية في الشوارع عارية
دون لصق ابتسامة على وجهها كشقيقتها السويدية.
هنا تذهب العنصرية إلى مدارس اللاجئين صباحاً
تحاول يومياً إقناعهم بالعودة إلى الحرب
كي يموتوا هناك بسلام
وتبرهن لهم أن حياتهم هنا ستكون أكثر تعقيداً من موت بسيط برصاصة أو برميل.
بعد الظهر تذهب العنصرية لسوق العمل
حيث تعزل الألوان وترتبها فهي تكره اللون الأسود وتدرجاته وتكره الأسماء التي لا تشابه اسمها وتكره الأديان غير المسيحية؛ والمسيحية إذا كان يعتنقها لاجئ.
في المساء تترأس العنصرية جلسة البرلمان وتحاول سن القوانين التي تدهش العنصريين وتنال تصفيقهم:
- إن كلية واحدة تكفي كي يعيش اللاجئ؛ عليه أن يبيع الثانية ليسدد مصاريف الطعام والمأوى التي قدمتها الحكومة الدانماركية.
- تفويض الشرطة والبلدية والمسافرين وعابري الطرقات الدانماركيين بالاستيلاء على هواتف اللاجئين لتسديد ثمن الماء الذي شربوه صافياً في الدانمرك.
- خفض كلفة انتاج العنصرية في الأراضي الدانماركية لتصديرها بأسعار تشجيعية إلى دول النوردك المجاورة.

- إذا رفض اللاجئون المغادرة نحو الحرب رغم المغريات؛ سـنضـعهم في جزرٍ
معزولة دون شمس
ونتركهم يموتون بحرية
دون أن نوسخ أيدينا.

شرائح إلكترونية لمراقبة الأحلام

القادم الجديد إلى السويد ما أن ينتهي من مقابلات الهجرة ويختم على جبينه «لاجئ» يتحول إلى رقم، يصطف بالتسلسل حسب تاريخ ميلاده إلى جانب ملايين الأرقام التي تشكل السكان.

أربعة أرقام. لا تحتاج غيرها لركوب القطارات المارة في الحلم والتي تتوقف عادة في محطات مهجورة يغطيها الثلج. أربعة أرقام تسمح لك بالوقوف في طابور انتظار طويل من أجل شراء أثاث مستعمل لأحلامك المرتجفة في العراء. مع هذه الأرقام يمكن أن تقضي حياتك دون أن تقابل موظفاً سويدياً. كل شيء في السويد يتم عبر تطبيق «الهوية البنكية». فهم يقدسون الدخل والضرائب والخصوصية. ربطوا الهوية بالحساب البنكي لضمان عدم تسريبه لأحد. إنها فكرة عبقرية؛ فلا أحد يأتمن أحد على حسابه البنكي حتى لو كان مفلساً وتراكمت عليه الديون، إذ لا يريد أحد أن يطلع على ديونه أحد. فربما احتاج أن يقترض منه يوماً ما.

مع ذلك ظلت هناك إجراءات تحتاج مقابلة موظف ما، يريدون التخلص منها، فالسويديون شعب يحب العزلة، لا يحب الاجتماع والمهرجانات والحديث مع غرباء. بدلاً عن ذلك يحبون الرحلات إلى جزر الكناري حيث

يتحدث الناس هناك بصــوت عال، وتنبح الكلاب بشــكل متواصــل مما يثير بهجتهم.

يريدون التخلص من حاجة الاجتماع بآخر حتى لو كان سويدياً أبيض مثلهم؛ لذلك بادرت الحكومة بزرع شــرائح إلكترونية تحت جلد الأرقام، بحيث يمكن لكل رقم أن يجري معاملاته في الحياة [وبعضــهم قال حتى في المقبرة] دون أن يقابل رقماً آخر. وهذا يســهل على الأخ الســويدي الأكبر تتبعك ومعرفة ما تفكر به وأنت نائم.

تفكير حر في بلد ديموقراطي

السـويد بلدٌ ديموقراطي، قرأتَ هذه العبارة كثيراً في هذا الكتاب. تؤمن بحرية الفكر، ولديها قانون صـدر قبل مئات السـنين يشـجع السـكان على ممارسـة اليوغا الصامتة والنميمة وزراعة أشجار من الكلمات في حديقة المنزل.

يمكنك أن تفكر في كل شــيء، حتى في علاقة الحكومة ببرنامج تعقيم البشــر الذين يعانون من الأمراض والعاهات الجسـدية والعقلية الذي اسـتوردوه من هتلر، لن يحاسبك أحد.

لكن؛ لنكن منطقيين؛ الموظفون الحكوميون ليس من اللائق أن يعبروا عن أفكارهم السلبية تجاه رب العمل ويسعون لنشرها، هذا أمر بديهي.

إذا كنت قادماً من بلادٍ منكوبة، لا تســمح لك بحرية التفكير وزراعة النخيل المثمر والكلمات الضــالة، فإن هذه البلاد هي المكان المفضــل لانتقاد بلادك. لكن حاذر أن يدب بك الحماس بعد قراءة قانون حرية التعبير وتنتقد هذي البلاد علناً، حتى بلغتك الأصــلية التي لا يقرأها حتى اللاجئون، فإنك ترتكب خطأً جســيماً. ما هو متوقع منك، رداً للجميل، كتابة قصــائد في مديح البط

ومنتجات إيكيا وشهقة السويديين المميزة وخلعهم للأحذية عند الأبواب وتدريبهم الأشجار على الاستيقاظ المبكر.

حتى إن كتبت لن يحاسبك أحد، لكنك لن تجد مكاناً لنشره سوى تعليقه على حبل غسيل داخل منزلك الضيق.

اتحاد الكتاب السويديين لديه قراء محترفون يفلّون الكتب بحثاً عن القمل والصئبان. هناك متطوعون متحمسون يشعرون بالاندماج في أحلامهم، يقرأون ما تكتب بلغتك الأصلية، ومعتادون على كتابة التقارير الكيدية بزملائهم الكتّاب، ليستأثروا بمنح الكتابة التي تهدف لتدجين الكتّاب ووضعهم على صراط رؤية الحزب الحاكم للآلهة وتنمية التحليل العلمي لسبب انقراض الديناصورات. قراء محترفون ديموقراطيون يستلهمون أسلوب عمل فِرق القراءة في اتحاد كتاب ألمانيا الديموقراطية في عصر الشتازي؛ يصنفون الكتب المعقمة، والأفكار الإيجابية التي تساهم في زيادة سرعة القطارات وتكاثر الأيائل، ويبحثون عن الكتابات الضالة التي تشعر البط بالاكتئاب والمواطن السويدي بالتردد والحيرة.

لن يسجنك أحد كما في بلادك المنكوبة، لكنك سترمى في مستنقع العزلة والنسيان ويشطب اسمك الذي من أربعة أرقام من سجل الوجود، هذا كل ما في الأمر.

نشاط سياسي عبر حزبٍ ديموقراطي

السويديون لا يصرّحون بانتماءاتهم السياسية. لا أدري إن كان ذلك جزءاً من الباطنية السويدية أم أنه عُرف عام.

ذهبت إلى حزب سـويدي لأصـبح عضـواً فاعلاً في المجتمع كما طلبوا مني في دورات الاندماج. الحزب الذي اخترته بعناية متحالف بشـكل أزلي مع حزب البعث الديموقراطي الحاكم الذي يقود الدولة والمجتمع منذ ما يقارب مئة عام.

رئيسـة فرع الحزب في المدينة؛ بعد أن أبلغتني بالموافقة على طلبي. سـألتني؛ لماذا اخترت حزبهم. فأفصحت بلغة إنكليزية واضحة إني أطمح أن أكون مؤثراً في الحزب وأنهي التحالف مع الحزب الحاكم والانتقال به إلى صـفوف المعارضة حيث أجد نفسي دائماً.

منذ ذلك الوقت لم أتلق منهم أي رسالة، لم يطلبوا حتى صوتي في الانتخابات.

جنة المثليين التي في الخطابات

في السويد يرتفع علم المثليين خفاقاً، إنها بلاد ديموقراطية حرة [كما أصبحت تعلم أيّها القارئ]. هناك احتفال سنوي للمثليين يحضره سويديون رسميون وخطباء مفوهون. يمشي المثليّون في شوارع السويد دون خشية من أحد.

في هذا البلد ذاته؛ فتاة سويدية مثليّة، بيضاء كالثلج تعود أصولها للفايكنغ؛ أفصـحت في الجامعة عن هويتها المثليّة، دون أن ترفع علم المثليين أو تطالب بأية حقوق خاصة. لم يقبل الطلبة السويديون التشارك معها في مجموعاتهم الدراسـية، لم يجلسـوا بجوارها في مطعم الجامعة لتناول الحلوى المحلاة بشعارات حقوق الإنسان؛ لأنها مثلية.

لأنّها مثليّة؛ تم نفيها إلى مجموعة من اللاجئات من قارات مختلفة وتم عزلهن بشكل طبيعي؛ تشيلية وأفغانية وكوسوفية وسورية، قبلنها دون شعارات أو

خطب وطنية عن حق الإنســـان بعلم ملون بألوان قوس قزح، رغم ذلك لم يفارقها شعور التفوق الجيني تجاههن.

تلفونات السعادة

الأرقام الســويدية الأرضــية، أو الأرقام المجهولة عندما تظهر على شــاشــات تلفونـات اللاجئين تثير الفزع؛ لا يمكن لهـا أن تبشــرك بمولود جـديـد، أو بحصــولك على جائزة نوبل في الصــبر؛ لا بد أن يكون هناك مشــكلة اختُلقت خصيصاً لأجلك لتقع في حفرة ملوثة بمشتقات نفطية.

حتى لو أحبطت هذا الهجوم بطرق سلمية وتركته يرن دون أن ترد. لن يفيدك هـذا، فكمـا أن تجنـب المخـابرات في بلادك أمر مســتحيـل فتجنـب هـذه التلفونات ليس ممكناً إلا بعد أن تصـبح من سـكان المقابر. سـيلحقونك على عجلٍ بإرسال بريدٍ ورقي.

وصـناديق البريد في السـويد هي زنازين بيدك مفتاحها، تخشى فتحها دائماً كي لا تجد نفسك في حفلة تعذيب.

عنصرية وطنية لا تستثني زلاتان

أوه عزيزي زلاتـان، أنـت تشـــفي غليلي بحـديثـك العلني عن العنصـــريـة التي يمارسـها السـويديون ضـدك. أنت أيضاً تقدم لي عزاءً، ليس لي وحدي بل لكل اللاجئين الذين قدموا إلى هذي البلاد وعانوا من العنصرية.

من نحن حتى نتذمر من العنصرية! أمام لاعب محترف من يحبونه يساوون خمسين ضعفاً على الأقل لسكان السويد ومع ذلك خرّب الوطنيون العنصريون تمثاله عدة مرات في مدينة مالمو، وتبولوا عليه.

الموت بخطأٍ طبي

في الشرق المنكوب؛ حيث يحكم الطغاة وينتهكون حقوق الإنسان والنمل والشعير؛ يمكن أن يقتلك رجل المخابرات بوضوح وصلف وعلنية إذا انتقدت نظامه.

في بلدٍ ديموقراطي، يحكمه ديمقراطيون اجتماعيون، حيث الكلام عن حقوق الإنسان والكلاب والقطط مرمياً على الرصيف. حيث يمكن أن يغرّم المرء إذا تحدث مع قطته بصوتٍ عال أو أسمعَ كلبتهُ كلاماً قاسياً.

في البلد المذكور، إذا كنت لاجئاً، أو تحمل جنسيته لكنك من أصل 'لاجئ'، يمكن أن تموت بخطأٍ طبي بسيط ومبهم وغير مقصود؛ على يد طبيب أبيض، أو ممرضته البيضاء كغيمة حالمة، أو على الأقل يمكن أن يفتح صدرك من جهة اليمين لإجراء عملية في القلب. أما إذا انتقدت التقصير والإهمال في المشفى فستجد نفسك خارجه ملفوفاً بآلامك.

الأخطاء الطبية، التي تحدث بالصدفة ضد اللاجئين، كأن تقطع رجلك التي تحتاج لعمل جراحي لاستخراج رصاصة أصبت بها في الحرب، ربما تكون عملاً سريّا تقوم به أرواحٌ هائمة وشريرة تكره اللاجئين وتستخدم أدوات الطبيب أو ممرضته.

نوبل أو جوائز تاجر الموت

محاولة جديّة لفهم السويديين

القديس ألفريد نوبل

لأن العالم مصاب بداء النسيان، أريد أن أذكره بألفريد نوبل، الذي كان قديساً صامتاً يزرع البطاطا العضوية ويوزعها على الفقراء. كان رجل الأحلام الذي آمن بمستقبل آمنٍ للأرض وجارها المريخ، ليعيش الناس بأمانٍ يزرعون المنتجات العضوية التي تجعل البقر يدر الحليب والطيور تعزف السمفونيات.

كان كاهناً يحافظ على الصلوات، ويحبّ مريم. كشف له الربُّ بصيرته وحمّله الرسالة «يا ألفريد أترك كل شيء وازرع البطاطا العضوية لخير البشرية»، وهكذا فعل. أدى مهمّته دون ثرثرة أو ضجيج. ساعد البشرية على النّمو والتطوّر فقد هجّنَ بذارا للبطاطا ينمو في أسبوع في التربة الصالحة وغير الصالحة. اطعمَ الجياع في كل القارات من الهند إلى ليبيريا. علمهم الكلمة وأعطاهم مفاتيح الغيب.

ولأن الأقربون أولى بالمعروف فقد علّم السويديين صياغة الكلمات بهدوء، الكلمات القادرة على جعل البطاطا تنمو بسرعة مدهشة دون انتظار. علّم أهله كيف يقدمون أنفسهم للعالم ببساطة كأن اللّاوعي يقودهم إلى فعل الخير.

كان قلبه واســعاً رحباً منفتحًا، باحثا عن الحقيقة في البذور التي ألهمه الربُّ تهجينها.

اختار القديس ألفريد نوبل مرات عديدة أن يظهر لمحبي الخير والبطاطا في أحلامهم، ليعلمهم كيف يمكن لتاجر موت اخترع الديناميت الذي حصــد أرواح ملايين البشــر ومازال، أن يصــبح قديســاً يتهافت العالم، بل خاصــةُ العالم؛ أولئك الذين يمنحون «أعظم فائدة للبشــرية» أن يحلموا بحمل اســمه وميدالياته وأمواله التي جمعها من فعل الخير بزراعة البطاطا. لا يحمل اسمه المقدس سوى القديسين وكهنة العلم.

السويديون شعب يستحق الاحترام على مهارتهم في تغيير دلالة الكلمات فقد حولوا معنى عبارة «تاجر الموت» إلى القديس. ليس لدى المؤمنين بالرب وملكوته فقط بل صــار حلماً يراود ســكان الأرض والكواكب الأخرى إذا وجد فيها علماء. علّم هذا القديس شعبه الحكمة وتزوير الوقائع والتاريخ.

في زحمة الجوائز التي توزع كل عام على أحباب الرب والمحظوظين وأصــحاب البشــارات الذين خدموا البشــر، لنحلم جميعاً أحلامًا جريئة تتوج مســيرتنا، لقد فتح لنا القديس نوبل أبواب الحلم في الحصول على شرف حمل اسمه.

هذا هو مقام القداســة على مرمى حجرٍ منا، وهؤلاء هم الســويديون، تأملهم جيداً لقد جعلوا من حمل اسم تاجر الموت حلماً للبشرية.

بريطاني من مدينة ناغاساكي

جائزة نوبل، التي أســســها القديس نوبل، مخترع الديناميت الســلمي، الذي يستخدم كسماد عضوي يجعل المحبة تنمو بين البشــر، ويشجع الكتاب على تأمل وردة التوليب، ونمو البطاطا العضــوية، وتشــرف عليها لجنة طالتها

الفضـــائح الأخلاقيـة الـديموقراطية، أعطيت هـذا العـام لكاتـب بريطاني من أصـل ياباني من مدينة ناغاســاكي، اســمه كازو إيشــيغورو، لأنه «كشــف في رواياتـه المشــحونة بـالعـواطف عن الهـاويـة الكـامنـة تحـت شـــعورنـا الـوهمي بالتواصل مع العالم».

مُنح جائزة القديس نوبل لتســاعده على نســيان الهاوية التي حفرها «الرجل البـدين» وابتلعـت مئات الألاف من ســكان مـدينتـه، الـذين رأوا «أمطـاراً من الخراب تأتيهم من الهواء، لم يرها أحدٌ من قبل على هذه الأرض».

ربما هذا ما رجح فوزه على منافسـيه، فالسـويديون يهتمون بشـعور الضحـايا النـاجين من الابتكارات الشـقيقة لابتكار تاجر الموت القديس نوبل.

صديق المجرم الذي حمل اسم القديس

مثل كثيرين، لم أســمع بالكاتب الذي حصــل على نوبل الآداب اليوم، وهناك آخرون كثر من حاملي اســم القديس نوبل وميدالياته لم نســمع بهم. يرفعهم اسم القديس كسحابة ضوء لتراهم البشرية جمعاء.

يســتطيع الأكاديميون الســويديون المحنكون؛ الذين يصــيغون بيان الجائزة بتركيز عالٍ تجعل البشــرية تقتنع بخياراتهم حتى لو أعطوا هذه الجائزة لقطة لم تنطق غير «مياو». يدبجون بياناً متماســكاً يقنع البشـــر والقطط بأحقية القطة التي قالت «مياو» بحمل اســم القديس نوبل. ومن لم يقتنع لديه عدم جدوى مائلة للمنتصف ملونة بالعدم.

نـال شـــرف حمـل اســـم القـديس نوبـل هـذا العـام الكـاتـب النمســـاوي بيتر هاندكه، صـديق مجرم الحرب ميلوسـوفيتش، الذي أشـرف على إبادة الآلاف في مذبحة سريبرينيتسا الموثقة تحت أنظار العالم وشهادته، وينكرها الكاتب.

هذا ليس عبثاً، السـويديون لا يحبون العبث. والأكاديمية تريد أن تقول: عند منح شـرف حمل اسـم القديس نوبل لكاتب ما، فإن إبادة المسـلمين أمر أقل من أن يؤخذ في الحسبان حتى لو كانوا أوربيين بيض.

تذكرة باتجاه واحد لمغادرة ما صاروطناً

القَدرالذي ضلَّ خُطاه

إلى سعد الياسري

كنتُ في الرياض ثم الإسـكندرية، بينما كنتُ أتابع الزمن البطيء الذي تحمله على كاهلك وتسـير به في غابة الأيام في مملكة السـويد. كنتُ أجبر نفسـي على الصـمت، كي لا أعنّفكَ على لا مبالاتك بالثلج، الذي لا نراه إلا في الصـور والمناسـبات. كيف لا يعشـق المرء الحياة مع غزلان الرنّة والعتمة الحالكة، التي هي المكان الطبيعي لأي شاعرٍ يريد أن يتأمل الصمت.

حين وصـلتُ السـويد بخطى منهكة كنتَ عدتَ إلى الصـحراء. لم أفهم ذلك؛ كيف يعود شـاعر إلى الصحراء من بلدان الغابات التي تمنح الإنسـان القدرة على تجاهل الزمن والضوضاء.

لكن لماذا لم تقل لي: لا تأتِ إلى هذي البلاد!

مهاجرآخرمن السويد

إلى صالح حميد

تركني صالح وحيداً وهاجر نحو الشمس..

أخذ في حقيبته الصغيرة نصف الهواء من مالمو! نصـف مقاهيها وشـوارعها، ترك لي حذاءً وكنزةً وقميص كتان بأكمامٍ طويلة.. ورحل. رحل نحو الصـحراء حيث الغناء بصوت عال، لا يعاقب عليه القانون.

رحلة مغادرة باتجاه الشمس

[1]

جئتُ إلى السـويد علمانياً ليبرالياً، وبعد قليل سـأخرج منها نحو الشـرق؛ علمانياً ليبرالياً؛ متقززاً من الليبرالية السـويدية؛ والشـعارات التي يرفعون راياتها على شكل قيم لإخفاء سيوف العنصرية تحتها، تلك التي نحرت أيامي.

[2]

من المؤسـف أن يضـطر الإنسـان [أيُّ إنسـان] أن يسـافر إلى سـتوكهولم؛ المدينة المُعدمة من الحياة، التي ينام سـكانها باكراً، ثم يسـتيقظون باكراً لممارسة أعمالهم بنشاط وابتكار افكارٍ عنصرية جديدة.
من المؤسـف أن يسـافر الإنسـان إلى سـتوكهولم؛ المدينة المصـمتة المسـكونة بالفراغ، حتى لو كان ذلك من أجل استخدام مطارها لمغادرة هذي البلاد.

[3]

أحبُ السـويد حباً يمشـي على سـاق واحدة. لشـدة حبي لها لا أريد أن أموت فيها، كي لا ألوث هذي البلاد النقية بجثتي.

[4]

هذه المرة الاولى التي أنشر فيها مسار رحلة على شبكات التواصل؛ لكن مغادرة السويد شيء يمكن أن يشاركني أصدقائي الذي عاصروا ألمي الاحتفال به.

في الاحتفال بالخروج من المقبرة

مثل عسكري سيسلم العهدة؛ استيقظت باكراً؛ للمرة الأولى أكون جاهزاً للسفر قبل الوقت المحدد؛ تقلصت حاجياتي كالعادة إلى «هاند باك».

وصلت محطة «تي سينترالن» وسط ستوكهولم بوقت مناسب؛ قررت الذهاب في الحافلة فلدي وقت كاف؛ وهو نصف سعر تذكرة القطار.

فتحت تطبيق الحافلات لأحجز تذكرة للمطار، لكني قررت أن أتأكد من وقت الرحلة مرة أخرى، فوجدت أني جئت أبكر ساعتين! قلت: إذاً؛ لأحتفل وحيداً بوداع هذه المدينة؛ سيدة المدن الخاوية.

كشيخ سومري؛ ذواقة الطعام؛ الذين يأكلون ما هو متاح ويسمون كل طعام نعمة؛ قررت أن أحتفل بنفسي. ذهبت إلى فابيانو؛ مطعم أصدقائنا الطليان؛ الذين أخذوا عنا المعجنات وأضافوا لها بصمتهم!

أحب هذا المطعم؛ يجمع الجلسة الحجازية والنظافة السويدية الدقيقة والذوق الإيطالي إضافة للطافة العاملين؛ وأسعاره فوق المتوسط قليلاً قياساً للمطاعم الأوربية.

أذهب إليه كثيراً، وحيداً، ومرات مع أصدقاء؛ في كل مرة أطلب نوعا مختلفاً من الباستا. طلبت كأس نبيذ أحمر، كما أفعل عادةً، وجلست أحتفل بمغادرة ستوكهولم، عاصمة البلاد التي لا تعرّفنا إلا كلاجئين أجانب؛ حتى ونحن نحمل جنسيتها وفضل إجارتها لنا.

هنا من فابيانو؛ أمام محطة «تي سـينترالن» في سـتوكهولم مدينة الملائكة المعقمة، مدينة المومياوات الجميلة الحيّة، أرفع نخبكم جميعاً كما يفعل شيخ سومري.

شكراً للحياة خارج السويد

واقعاً تحت تأثير أغنية مرسيدس سوسا «شكراً للحياة»، أريد أن أشكر حياتي السابقة، حياتي خارج السويد، فقد أعطتني الكثير؛ أعطتني القدرة على استخدام المفردات وقول: لا.

شكراً للحياة؛

أعطتني طفولة قاسية وحرة، كانت البراري مساحتها، والشمس حدودها.

طفولة نبتكر فيها الألعاب من التراب والعدم.

أعطتني شباباً عنيداً ورصيناً قرأت فيه الملاحم وألف ليلة وليلة وكتب السحر والشعر.

أعطتني حلب والرياض والإسكندرية وأثينا وإسطنبول وملقا، إنها مدن الدنيا، مدن الحياة، المدن التي قضيت فيها لحظات من السحر والغفلة والحب.

لم تكن حياة سهلة أو خالية من الآلام، لكنها الآلام التي تزول، الآلام التي يمحوها الزمن، الآلام التي لا تترك ندبات أبدية تلتصق على جدار الذاكرة كمعلقات أبدية. شربتُ رقصتُ سهرتُ تألمتُ بكيتُ ضحكتُ. حياة من الصخب والهدوء والعزلة الاختيارية

أعطتني مشاعر صادقة وملونة

أعطتني دروباً كثيرة وحبيبات وخيبات

أريد أن أشكر الحياة

واقعاً تحت تأثير أغنية مرسيدس سوسا.

لعنة

إذا كان لدى المرء لعنة واحدة فقط فليرسلها بطردٍ بريدي هديةً لدولة السويد.

خلف علي الخلف

شاعر من الجزيرة

شاعر وكاتب وباحث من الجزيرة «الفراتية»، مواليد الرقة قرية «خنيز محمد الخلف» 1969 يحمل الجنسية السويدية.

حاصل على ماجستير في فلسفة الصحافة من جامعة سودرتورن في ستوكهولم (السويد) عن رسالته المعنونة «احتمالات البلوكشين والاقتصادات المشفرة في تنمية الصحافة المستقلة والبناءة». كذلك يحمل شهادة في العلاقات الدولية من جامعة مالمو (السويد). شهادة في العلوم الإنسانية الرقمية من جامعة كالمر (السويد). إجازة في إعداد المحتوى من كلية مالمو للمهن التطبيقية (السويد). إجازة في الاقتصاد من جامعة حلب.

عمل في جريدة إيلاف الإلكترونية في الفترة من 2006 إلى 2013 كباحث ومحلل بيانات ومطور، ويكتب فيها مقالات رأي منذ العام 2003 حتى الآن.

أسس في عام 2005 موقع جدار الثقافي الذي تحول لجريدة إلكترونية لاحقاً، وتوقفت عام 2013.

كتب العديد من الأبحاث باللغة العربية والإنكليزية، ونشر منذ تسعينات القرن الفائت في الصحافة والدوريات العربية.

فاز بجائزة الفجيرة الدولية لنصوص المونودراما في دورتها الأولى عن عمله «گلگامش بحذاء رياضي».

ترجمت بعض أعماله ومقالاته إلى عديد من اللغات: الإنكليزية والألمانية والسويدية والإسبانية والفرنسية ولغات اخرى.

شارك في تأسيس العديد من التجمعات النقابية للكتاب والصحفيين وكذلك التيارات السياسة.

يجيد العربية والإنكليزية إضافة إلى تعلمه اليونانية والسويدية والإسبانية.

إصدارات

نون الرعاة (2004) شعر.

التنزيل (2007) شعر.

كحل الرغبة (2008) شعر.

نواح الغريب: حكاية لم ينقرها الطير (2008) نص.

قصائد بفردة حذاء واحدة (2009) شعر.

يوميات الحرب القائمة (2015) شعر.

يوميات الحرب القائمة (2016) شعر. ترجمة إنكليزية.

يوميات الحرب القائمة (2018) شعر. ترجمة ألمانية.

العبرة في الحواس (2018) شعر.

لنكتب عن السويد (2024) شعر.

ويُقال أعمى «الديوان الأندلسي وقصائد إيلينا» (2024) شعر.

كلكامش بحذاء رياضي (2010) مسرحية مونودراما.

حقيقتان وممثلة واحدة (2012) مسرحية مونودراما.

I Am from Islamic State (2018) مسرحية مونودراما.

ممثل وحيد على مسرح مهجور (2025) مونودراما [الأعمال الكاملة].

الحرّاني (2025) رواية

عن البلاد التي بلا أمل (2011) مقالات سياسية.

أصوات بالأبيض والأسود (2012) حوارات.

نجلا بح والقرضاوي وجهان لعملة واحدة (2013) مقالات.

الدولة المرفوضة: سوريا ودور اليسار في إنتاج الدولة الطائفية (2023) دراسة سياسية.

الحرّانيون السّومريون: في أصول ومعتقدات العشائر الزراعية في الجزيرة والفرات (2022) بحث أنثروبولوجيا مشترك مع قصي مسلط الهويدي.



فكر وأنت تنظر إلى المرآة. سترى انعكاس تلك الأفكار على ملامحك؛ عينيك أيضاً. فكر ببطءٍ؛ الأفكار السريعة تنمو سريعاً وتموتُ سريعاً. فكر كأنك الشخص الذي داخل المرآة وينظر إلى الحياة من خارجها. تأمل هذا الشخص الذي ينظر إليك من داخل الحياة. لا تحاول أن تقلده، أو تعبس في وجهه. تصرف بشكلٍ طبيعي، كشخصٍ ينظر إلى لحياة من خارجها، واعط هذا المتسول الذي ينظر إليك بعض الرأفة وقليلاً من التفهم..

الأشخاص الذين داخل الحياة يستحقون العطف.

KHALAF ALI ALKHALAF

THE COMPLETE POEMS

9 781326 238087

Jidar
Culture & Publishing